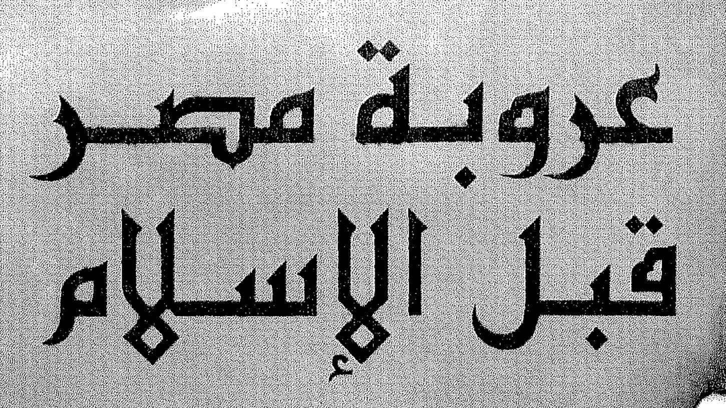


عروبة مصر قبل الإسلام

دراسة

تاريخية إنثريولوجية أركيولوجية

١٩٩٣

دكتور

عبد الفتاح مقلد الغنيمي



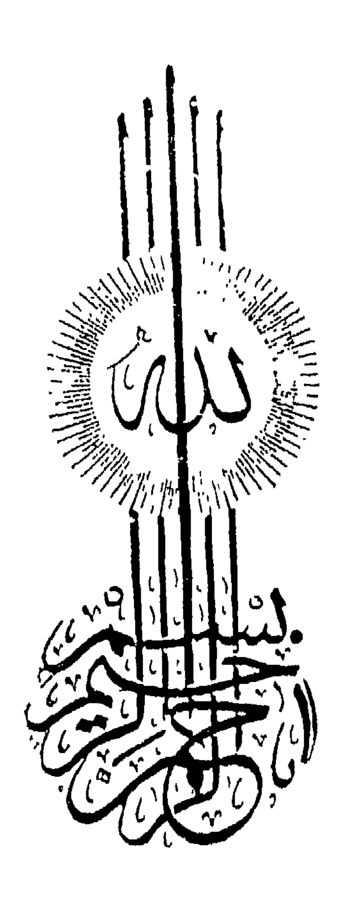
دكتور
عبد الفتاح مقلد الغنيمي

عروبة مصر قبل الإسلام

دراسة تاريخية انثربولوجية أركيولوجية

١٤١٢هـ/١٩٩٣م




الله
بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

الى حلم الوحدة العربية الذى أصبح سرابا بل وهما بعد حرب الخليج •

الى العالم العربى الذى يزيد سكانه عن مائتين واربعين مليونا من البشر •

والى دولة الاحدى وعشرين دولة الممزقة الى كيانات صغيرة تذكرنى بتمزق ملوك الطوائف فى الأندلس عبر الماضى البعيد •

الى الاقلام التى تبحث لتدرس عن الأقليات الصغيرة فى عالمنا العربى الكبير تريد أن توقظ شعورا احتواه الوطن الكبير منذ آلاف السنين خدمة للآخرين •

الى كل هؤلاء جميعا هذه الدراسة التى تضع مصر فى القلب العربى منذ الماضى السحيق البعيد ؟

دكتور
عبد الفتاح مقلد الغنيمى

اقوال تدعم عروبة مصر منذ عشرة آلاف سنة

1 — Colin, M. Atlas of African History. p. 35 — 36.

« ان المناطق الافريقية شمال الصحراء الكبرى كانت ماهولة بأجناس بيضاء تنتمى الى الساميين فى شبة الجزيرة العربية منذ ثمانية آلاف سـنة قبل الميلاد · حيث كان يعيش المصريون فى وادى النيل شرقا ، وفى الغـرب (مراكش والجزائر وتونس) يعيش البربر وفى الصحراء الشرقية المطـلة على البحر الأحمر يعيش النوبيون » ·

2 — Flincers, p. Migrations. J. R. A. I. Vol· 36. p. 12

« ان حضارة الاسرات الفرعونية ظهرت بسبب جنس جاء من الشرق أتى عن طريق البحر الاحمر ودخل مصر عن طريق وادى الحمامات وان هذا الجنس الســامى الجديد القــادم من الشرق لم يمثل استمرار انثربولوجيا فقط بل حضاريا أيضا ·

3 . Littman, E. Nabtaean Inscriptions From Egypt p.p. 5 28

« تم العثور على ٨٣ نقشــا نبطيا فى الصــحراء الشرقيــة المصرية وصولا حتى صعيد مصر الأعلى · تدل على استقرار النبط فى بعض مناطق الصحراء الشرقية وانهم كانوا مستقرين فى وادى الطميلات وان جماعات من النبط سكنت ضـفاف الذيل وفى الصــحراء الغــربية وفى شرق الفرما (العريش) وفى وادى الطميلات (فى محافظة الشرقية) وذلك فى القرن الرابع

قبل الميلاد ·

٤ — جمال حمدان (شخصية مصر · الجزء الرابع ص ٤٠٦ ·

« لقد انتقلت جالية من صعيد مصر الى المدينة بالحجاز قبل الاســلام واستقرت وتوطنت ويقال ان ابنائها هم الذين استقبلوا النبى عليه الصلاة والسلام بالبشر والترحاب قبل فتح مكة » ·

التمهيـــد

ان امانة البحث العلمى وشرف الكلمة المكتوبة وما تتركه من اثــر فى نفس القارىء تقتضى الحــذر والبحث وتحرى الدقة العلمية من مصادرها ومراجعها لاسيما ان موضوع مثل (عروبة مصر قبل الاسلام) يحتاج الى معالجة موضوعية علمية تأخذ خطواتها وابعادها بشىء من التؤدة والتأنى والحذر لاسيما ان الكتابة حــول موضوع مثل هــذا يخضع لوجهات نظــر مختلفة ، لكن تحــرى المنهج العلمى وقياس الآراء المقبولة والمعقولة واقعيــا وعلميا ولا تخضع لادنى اهداف سياسية او رؤى معروفة او محاولة طمس الحقائق وقلب الرؤية لتــكون عكسية ولدحض الحق واظهار الباطل ومحاولة عدم ابراز الجــانب القوى فى البحث تحسبا لهوى النفس او خدمة الاهداف غير معلنة ، كل ذلك وارد فى الحسبان قبل الاقدام على هذه الدراسة ولكم كانت صعوبة الحصول على المصادر والمراجع وتفاوت الآراء وعدم تجانسها فى علاج قضــايا اصول الانسان المصرى الاول القــديم وان كانت قد اتفقت معظــم الآراء على انه حــامى وســامى وان العنصر الســامى اســتطاع ازاحة العنصر الحامى جنوبا حيث ان هــذه الهجرة الحامية قد تعاصرت مع البداية الاولى لعصر الجفاف وانتهاء العصر المطير بينما عمرت مصر بالعنصر السامى عبر وادى الحمامات حيث ازاحوا الحاميين وحلوا محلهم فى العصر الحجرى الحديث وقبل عصر الاسرات . وربما تكون قد امتزجت السلالتين فى بوتقة واحدة قبل ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد . عندما قدمت هجــرة عربية سامية بيضــاء من جزيرة العرب فى ذلك الزمن لتسكن وادى النيل لكى يلعب هــذا الشعب دوره فى احداث تغيرات فى هــذه البنية السلالية بحــكم عوامل خارجية بشكل موجات مهاجرة ســامية احتوتهــا الشعبة المصرية البشرية وخلطتها فى المعدن المتوحد القديم الذى انجب الســلالة الحالية التى هى عربية سواء اكانت سامية او حامية .

فالساميون والحميون من ســكن شــبه الجــزيرة العربية وانهم (اى

الحميون) قادمون من جزيرة العرب وبالتحديد من الجنوب الشرقى للجزيرة مرورا ببلاد الصومال والنوبة وهذا ما عرضنا له فى هذه الدراسة وصولا الى الهدف المنشود منها واضعا النقط فوق الحروف بتحدى علمى لا يقبل النقاش أو الجدل أو الفرية يراد بها حق ولا قولا يراد به طمس الحقائق التاريخية والانثربولوجية والاركيولوجية ٠

ولكن نستطيع القول ان عروبة مصر قديمة قدم أول انسان سار على التراب المصرى ولم تكن عروبة مصر تبدأ من القرن السابع الميلادى عند الفتح العربى الاسلامى ٠ ألم يقل كولين ماكيفيدى فى كتابه أطلس التاريخ الافريقى أنه منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد كانت مصر وبلاد النوبة وشمال افريقية وكل المناطق بشمال الصحراء الكبرى مأهولة بعناصر وأجناس بيضاء تنتمى الى الساميين أصلا وعرقا وسلالة وجنات قادمة من شبه الجزيرة العربية لتسكن وادى النيل ٠ فهل بعد هذا القول من يشكك فى عروبة مصر منذ أقدم العصور وهل هناك آراء لا تقول أن مصر سامية عربية منذ بداية التاريخ المكتوب أم أن هناك أقوال تقول ان المصريين هنود حمر أو جرمان أم أنجلو من عناصر وسلالات غير معروفة ٠

ان الذى يطالع هذه الدراسة يدرك البعد الزمنى العميق فى أصول السلالة المصرية الحالية التى يعود تاريخها العربى السامى الى عشرة آلاف سنة ٠

دكتور
عبد الفتاح مقلد الغنيمى

المقـدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم رسـله محـمد ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه والقائل « كلكم لآدم وآدم من تراب » وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتدى بسنته الى يوم الدين ٠

أما بعـد ٠٠

فتلك هى دراسة تاريخية اركيولوجية انتربولوجية عن عروبة مصر قبل الاسلام توضح كيف أن العروبة فى مصر قديمة قدم الانسـان المصرى الاول الذى كان عربيـا ساميا قادما من الجزيرة العربية وكيف ان مصر لم تكن موطن ومهد الجنس البشرى وان الانسان الاول قدم اليها من الجنوب الشرقى وانه كان فيما اتفقت عليه المصادر والمراجع حاميا ثم قدمت موجة سامية عربية بيضـاء من الجزيرة العربية (كولين ماكيفيدى) لكى تزيح الجنس الحامى وتطرده وتستقر فى أماكن على ضـفة النيـل الشرقية فى (تاسا والبدارى ونقادة ولتكون أول نواة بشرية حضارية ثم ما تلك ذلك من ظهور الكيانات المتباعدة فى وادى النيل ثم ما تلا ذلك من ظهور الكيـان المصرى الموحد فى دولة واحدة ثم ظهـور عصر الاسرات والدول (الدولة القديمة والوسطى والحديثة) ثم مـا تلا ذلك من ظهور الحـكم النـوبى والليبى والاشورى والفارسى واليونانى والبطلمى والرومانى والبيزنطى ثم كان الوجه العربى الاسلامى هو خاتمة مطاف هذه الدراسة ٠

وفى حقيقة الامر فاننـا فى هـذه الدراسة رغم ما قيل عن الشـعب المصرى ووحدة مصدره وأصوله وسلالته العرقية والجنسية والجينية الا اننا نؤكد هنا انه لا يوجد شعب فى عالمنا المعاصر مهما كانت درجة عزلتـه أو تقوقعه الا وقد اختلط بدرجة أو بأخـرى بغيره من الشـعوب والسلالات والعناصر بحيث يمكن القول بأنه لا يوجد شـعبا نقيا ومصر من بين شعوب العـالم بحـكم موقعها المتوسط وتعرضها لموجات بشرية مختلفة سـواء اكانت هجرات سلمية أو غزوات حربية فانهـا لـم تستطع أن تبعـد أو تؤثر فى العرق المصرى العربى السـامى وان كانت مصر قـد عرفت الاختـلاط

الجنسى الا ان النمط المصرى امتاز بالقوة والقدرة على الامتصاص حيث ان لمصر حيوية بيولوجية وقدرة فائقة على الامتصاص واحتواء العناصر الدخيلة وتذيبها فى نسيجها ، لكنها فى كل الحالات فان الدماء المصرية هى دماء عربية سامية انصبت من الجزيرة العربية والمشرق العربى القديم أى هى سلالة سامية وكل ما كان يعتريها من أحداث كان هامشيا فلم تكن على أية حال هذه المؤثرات الوافدة لتغير من الوجه العربى الحقيقى لمصر ولم يكن له أدنى تأثير فى التكوين الانثربولوجى لمصر ، بل ان هذه العناصر كانت تمتص أو تذوب أو تنصهر أو تتحلل ولم يكن لها أدنى تأثير فى التكوين السلالى . فكم من شعوب غزت مصر (الاشوريين ، النوبيين ، الليبيين ، الفرس ، اليونان ، الرومان) لكنها لم تكن الا مادة استطاعت مصر بما لها من قوة وصلابة أن تهضم هؤلاء الفاتحين جميعا .

فلقد كان للصلابة المصرية والقوة الفولاذية والارادة الحديدية والمهارة الحضارية والقدرة الابداعية مقدرة على احتواء كل الموجات الوافدة هجرات ، غزوات ، تسللات وغيرها من أنواع الاختراق للديار المصرية كل هذه لم تكن الا بالبقع السوداء فى كيان عربى سامى أصيل ناصع البياض لم تستطع أن تؤثر أو تقدم أو تأخر فى البنية المصرية ذلك لان التجانس الاصلى للسكان عربيا ساميا سواء اعترف المشككون فى الاثر الجنسى العربى فى مصر حيث انه فى هذه الدراسة نقدم شهادة العديد من رجال البحوث الاوربيين أمثال كولين ماكيفيدى ، فالندربترى ، ليتمان وغيرهم الكثيرين الذين قالوا حقيقة بالسلالة العربية السامية البيضاء القادمة من الجزيرة العربية منذ عشرة آلاف عام من زماننا هذا ولم تتغير صورة الانسان المصرى العربى عبر أغوار التاريخ وأبعاده العميقة ، حيث ان هناك بعض الانثربولوجيين الذين لا يخدمون البحث العلمى الموضوعى والذين يسخرون أبحاثهم لرؤى سياسية أو أهداف غير معلنة يرون مثلا فى مصر وبلاد الشمال الافريقى (المغرب العربى) ان التسمية العربية لهذه الاقطار لم تكن الا ادعاء شائع وعلى هذا يتحفظون ازاء عروبة هذه الاقطار .

ونحن هنا فى تلك الدراسة بما نقدمه من مادة علمية نرد عليهم فى ثنايا كل صفحة بما يدمغهم بالادلة القاطعة ونقول لهم نحن المصريين العرب

الساميين المسلمين والمسيحيين احفاد الفراعنة واحفاد عصور ما قبل التاريخ وما قبل الاسرات وربما احفاد أول انسان عرف الزراعة واستأنس الحيوان وأقام بعض المعالم الحضارية على ضفة النيل الشرقية (تاسا والبدارى ونقادة) من أين جاء هذا الانسان ان مصر لم تكن مهد الجنس البشرى وان سكانها الاوائل جاءوا من خارجها وان مصر لم تكن الموطن الاول للانسان . وان المصرى القديم من أقدم السلالات البشرية على وجه المسكونة . ان الانسان المصرى قدم بعد انتهاء العصر المطير من الجنوب الشرقى عبر الوديان المتصلة بالبحر الاحمر ووادى النيل وانه كان حاميا والحاميين باعتراف كل علماء الانثربولوجيا قادمون من جنوب شرق الجزيرة العربية ثم استقروا فترة فى منطقة القرن الافريقى (منطقة عفار) ثم اتخذوا طريقهم شمالا الى مصر ثم جاءت هجرة الساميين واسعة وكثيفة فى الالف الثامن قبل الميلاد لكى تزيح هذه العناصر ولتقيم حضارة سامية عربية فى التاريخ القديم . ثم ان الانسان المصرى وفدت اليه الزراعة واستئناس الحيوان من الشرق القديم (كولين ماكيفيدى) قبل خمسة آلاف سنة قبل الميلاد ان أوربا فى هذه الحقبة التاريخية كانت مغطاة بالجليد ولم تكن هناك سلالات بشرية أو حضارات والحضارة الاوربية القديمة كانت نواتها اليونان واليونان تاثرت بحضارات مصر الشرقية القديمة ولم تظهر هذه الحضارة الاوربية الا فى القرن الخامس قبل الميلاد وهنا فى مصر حضارة من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد وحضارة من خمسمائة سنة قبل الميلاد ان البعد الزمنى بين الحضارتين اربعة آلاف وخمسمائة عام .

اذن فالشعب المصرى عربى سامى أبيض قادم من الجزيرة العربية والذين اقاموا الحضارة المصرية مصريون عرب ساميون قادمون من الجزيرة العربية وليس من اليونان أو اوربا أو غيرها من الدول الاوربية ان التاريخ المصرى القديم الذى لازالت حضارته تبهر العالم ما هو الا تاريخ شعب هو جزء من الكيان الشرقى الاسيوى الافريقى السامى العربى عبر عن معيشته فى هذا المكان واستطاع بقدراته الخارقة وصلابته أن يعيد الوجود العربى الاصيل الى سابق عهده من خلال الفتح العربى الاسلامى فى القرن السابع الميلادى .

ان هذه الدراسة تؤكد وحدة الجنس والسلالة والاصول العرقية والجينية فالشعب المصرى سواء المسلمين أو المسيحيين ما هم الا شعب واحد اندمج وانصهر فى كيان واحد على مدى القرون البعيدة والعنصر الذى يكون السكان اليوم هو سلالة عربية خالصة وليس يونانية او فارسية أو أشورية و فينيقية أو رومانية أو اغريقية انهم جنس عربى سامى سواء أرضى الجميع أو نفى البعض ، ان كل الدراسات الانثربيولوجية قد قررت انه لا يوجد أدنى تباعد فى الدم والجنس والسلالة والاجنة ولا أدنى فروق ظاهرة أو باطنة بين المسلم العربى وأخيه المسيحى كلاهما ينتمى الى العروبة والسامية وليس الى السلالة الاوربية أو الجرمانية أو الانجلو سكسونية أو القوطية فالفرعونية عربية سامية ٠ والذين يطالعون هذه الدراسة يدركون حقيقة البعد الجنسى للاصل الواحد فلا توجد اختلافات فى السحنة أو الشكل فالجميع من نسل واحد وجنس واحد والدراسات تؤكد تلك الحقيقة فان الخلاف فى الدين أو العقيدة لا يعطى الانطباع بالتباعد الجنسى أو السلالى فالأصول واحدة والا فمن عنده دراسة تنفى ذلك ولا تتفق مع ما قلناه فى هذا الموضوع فليقدمها لنا لكى نستطيع أن نستوضح من أى السلالات يكون الشعب المصرى ومن أين جاء العرب المسلمون ومن أين جاء العرب المسيحيون ٠

ان العرب المسيحيون ينتشرون فى مصر كما هم فى بلاد الشام والعراق وغيرهم من أرجاء الوطن العربى هم سلالة عربية سامية شأنهم شأن المسلمين العرب الساميين فهم فرع فى شجرة واحدة وقد يكونان فرعا فى ديانتان (مسيحى ومسلم) الا انهم من شجرة واحدة فالاصول العرقية واحدة فالمصريون جميعا ينتمون الى الساميين وليس الى الحامين الا أن الحامين قضى عليهم فى الموجة السامية الاولى منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد والملاحظ والمدقق للدماء أو الجينات المصرية يدرك وحدة الدم قبل الفتح العربى الاسلامى وبعد الفتح العربى الاسلامى فقد تكون الدم المصرى منذ ما قبل الاسرات من سلالة سامية عربية فهل فى هذا جدال ٠

ولقد قسمت هذه الدراسة الى عدة فصول : فتناولت فى الفصل الاول ٠ بداية الخلق وقصة آدم عليه السلام وكيفية نزول آدم وحواء من الجنة وما تلى ذلك من أحداث ٠

ثم الفصل الثانى عن الطوفان فى عهد نوح عليه السلام وظهور الكرة الارضية على سطح المـاء منذ أكثر من مائة وخمسة وسبعون مليون سـنة وما تم بعد ذلك من أحداث وما حدث من انقسام الكرة الارضـية الى قارات متعددة وكيف مارس الانسان القديم حيـاته وكيف تطور وأين ظهر الانسان الاول والسلالات التى تفرعت من أبنـاء نوح عليه السلام والهجرات الحامية السامية الى وادى النيل ٠

ثم كان الفصل الثالث عن الانسان المصرى السامى العربى فى عصور ما قبل التاريخ وكيف تكون مع الانسان الحامى فى العصر الحجرى القديم والعصر الحجرى الوسيط وما تم من أحداث فى كلا العصرين وما هى ملامح الانسان المصرى ٠

وجاء بعد الفصل الثالث الفصل الرابع وهو عن لـماذا مراكز الحضارة المصرية فى شرق النيل فى العصر الحجرى الحديث وكيف ان الانسان المصرى قدم من الشرق عبر الوديان المنتشرة ما بين البحر الاحمر ونهر النيل وكيف ظهرت هذه المراكز فى تاسـا والبدارى ونقادة وكيف اسـتطاع انسـان البدارى الذى كان من أصول سامية عربية بيضـاء قدمت منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد أن يزيح سكان تاسا وربما قضى عليهم وكيف كان سـكان نقادة يشكلون الحلقة الهامة فى عصر ما قبل الاسرات ٠

وكان الفصل الخامس عن المصرى القـديم قبـل عصر الاسرات وكيف تكونت ملامح الشخصية المصرية واكتسبت مقوماتها العرقية والسـلالية والجنية ومارست نشاطها الحضارى توطئه لقيـام الكيان المصرى الواحـد وكيف كانت الوديان تغذى السكان بالموجات البشرية القادمة من الشرق ، وكيف أشار الباحثين والعلماء الى أن انسان ما قبل الاسرات واضع أسس الحضارة المصرية فى العصر الفرعونى حيث قدمت من الشرق هجرات سامية ذات نظم وحضارة وتمدين ٠

ثم جـاء بعد الفصل الخامس الفصل السادس ليوضح ظهور الكيـان المصرى المتحد فى دولة واحدة وبدأ من الدولة الاولى وما يطلق عليه الدولة

القديمة نهاية بالاسرة السادسة وكيف شهد عصر الاسرة الثالثة وعصر بناء الاهرام حدوث هجرات عربية سامية أضافت بعدا جديدا فى الدماء المصرية وكيف كانت الموجات العربية لا تنقطع عن العبور الى وادى النيل عبر سيناء واستقرارها فى وادى الطميلات وصحراء مصر الشرقية ثم ما أصاب مصر من ضعف وظهور عصر الاقطاع ٠

وبعده جاء الدور على الفصل السابع ليكون عن الدولة الوسطى وما حدث فى أثناء فترة حكمها من تسرب سلمى بطىء ثم أخذ دور القوة العسكرية والاستعمار والتوطن الهكسوسى وما جــاء من أقوال بشأن الهكسوس وكيف حكموا البلاد ما يقرب من قرن ونصف من الزمان وكيف انهم كانوا غـزوة سالبة فى حيــاة مصر الجنسى السلالى حيث لم يتركوا أدنى أثر على البنية الجنسية المصرية وكيف تم طردهم ٠

وكان الفصل الثامن عن الدولة الحديثة والصلات العربية الســـامية وكيف أن التحامسة والرعامسة مدوا حدود مصر شرقا لتشمل كل بلاد الشرق القديم وشمال غرب الجزيرة العربية وكان نهر الفـرات هو الحـــد الشرقى للامبراطورية المصرية وكيف ان البلاد المصرية خاصـــة المدن الكبرى قـــد شهدت موجات بشرية عربية وكيف أثر هؤلاء القوم فى الحياة المصرية وفى تركيبة السكان السلالية وكيف أتاح بنــاء الدولة الواسعة حركة أوسع لهذه الموجات السامية العربية للانتقال فى كل الديار المصرية ٠

ثم ما جاء فى الفصل التاسع عن مصر فى ظل الاحتلال الاجنبى وما تم من احتلال البلاد ومن قبل الليبيين والنوبيين وان كان ذلك لم يغير فى التركيبة البشرية والسلالية للانسان المصرى سواء كان الليبيون الســـامين أو النوبيون الحامين الا أن هذا يعتبر مقدمة لظهور فترات أجنبية من قبل الاستعماريين الاشوريين والفرس واليونان والرومان وغيرهم ٠

وكان الفصل العاشر وهو يشكل العمود الفقرى فى هذه الدراسة حيث كان الوجود العربى السامى بجوار الكيان المصرى يمده ويغزيه بالهجـــرات الواسعة والصلات العميقة والحركات التجارية والتبادل والهجرة من ســـبأ ومعين وحمير والانباط ومدين وثمود والعلاقات المصرية العربية والنقوش

التى تم العثور عليها والتى تؤكد عمق الصلة السلالية وكيف كانت الموجات العربية السامية لا تنقطع عن مصر وكيف كان أحفاد سبأ فى مصر ينتشرون فى المناطق الشرقية وصحراء مصر ووصولا الى بلاد الصعيد العليا وكيف تطورت هذه العلاقات المصرية العربية عبر اغوار التاريخ وما هو الدور الذى مارسته دولة تدمر العربية وحكمها لمصر فى ظل السيادة الرومانية وكيف ان الحكم البطلمى والرومانى وسيطرته على البلاد الشرقية أتاح فرصة كبيرة لحركة النقلة والترحال الى الاراضى المصرية ٠

ومن ثم كان الفصل الحادى عشر عن مصر تحت حكم البطالمة والرومان وكيف كانت الحركة الاستيطانية الاغريقية فى مصر طوال عشرة قرون نوعا من الاستيطان المعزول فى بعض البقع المصرية وكيف استطاعت قوة وصلابة الشعب المصرى من احتواء بعض هذه العناصر ورحيل البعض الآخر عقب الفتح العربى الاسلامى وتركهم الديار المصرية بالآلاف وكيف انها أسوء حلقة فى تاريخ الشعب المصرى حيث اتخذت فى فترة مصر المسيحية طابع العداء المستحكم للمسيحية والمذهب الارثوذكسى المصرى وكيف وقفت مصر ضد الكنسية فى روما وحافظت على قوميتها المصرية وما حدث من اضطهاد وعنف وتعسف وعزل للانبا بنيامين بطريرك الاقباط وكيف ظل مختفيا عشرة سنوات ٦٣١ ــ ٦٤١م حتى جاء الفتح العربى الاسلامى وكيف ان المسيحية دخلت البلاد فى النصف الثانى من القرن الاول وكيف أن الصراع والخلاف حول طبعة السيد المسيح والصراع بين الكنسية الكاثوليكية والارثوذيكية لم يساعد على تعمق الروح المسيحية الا بعد الفتح الاسلامى وهذا ما يضمه الفصل الثانى عشر عن الشعب المصرى والمسيحية ٠

ثم كان الفصل الاخير والنهائى وهو الثالث عشر خاتمة المشوار الطويل عبر عشرة آلاف سنة ان لم يكن يزيد وهو عن الموجة العربية الاسلامية فى القرن السابع الميلادى والتى كانت عبارة عن همزة الوصل القوية التى تربط الماضى بالحاضر فى شكل هجرة واسعة النطاق بشكل القالب النهائى للوجدان المصرى ولنقول للعالم ان الوجه المصرى العربى قد عاد للظهور مرة أخرى لكنه مرتديا ثوب الاسلام الذى أضاف العمق الروحى للانسان المصرى الذى

خطا قادما من الجزيرة العربية فى شكل هجرة واسعة منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد فهل يوجد فى ذلك ادنى شك او ريب ، ثم كيف كان نظام الارتباع والمرابطة والضيافة والهجرة العربية الداخلية كانت قوية وتخطت خطوات جادة على طريق الكيان العربى المصرى الاسلامى الذى استطاع أن يعيد الصورة الى وجهها الصحيح ٠

ومن ثم كانت نهاية البحث بالخاتمة التى توصلت اليها من نتائج ومحصلات في هذه الدراسة ومن بعدها قائمة المصادر والمراجع التى عولت عليها كثيرا لكى تظهر الصورة واضحة جلية لا لبس فيها ولا ريب ولا تلوين لاهداف سياسية ٠

والله أسأل أن تكون هذه الدراسة خالصة لوجهه العلى العزيز ، عاملة على لم الشمل العربى ووحدة الصف والكيان فى عالم تغيرت فيه الابعاد السياسية وأصبح البعد العرقى والسلالى والجنسى هدفا للوجود والكيان ، ولكن الكيان العربى الذى كان موكدا فى أسرة واحدة وسلالية بشرية تفرع منها العالم العربى منذ ثمانية آلاف سنة لم يستطيع أن يخطو خطوة واحدة لقيام كيان عربى موحد ٠

والله ولى التوفيق ؟

دكتور
عبد الفتاح مقلد الغنيمى

الفصل الاول

بداية الخلق وقصة آدم عليه السلام

قبل الخوض فى تفاصيل وفصول تلك الدراسة يتبادر الى الذهن بل تتسارع عدة أسئلة فحواها نحن الشعب المصرى الذى يعيش على هذه الارض الطيبة من نحن ؟ وما هى أصولنا العرقية وجذورنا السلالية وما هى مكونتنا الجينية ، وما هى الصلات البشرية بيننا وبين شعوب العالم المجاورة والقريبة وما هو البعد الزمنى للانسان المصرى وهل هو وليد البيئة المصرية « وادى النيل » أم هو عنصر وافد الى هذه الديار وان كان وليد البيئة فكيف نشأ على ضفاف هذا النهر وان كان وافد من أين جاء وما هى الطرق والمعابر والاماكن التى جاء منها وهل هو عنصر منفصل عن العناصر التى تتكون منها منطقة الشرق القديم أم أن هناك صلات سلالية بشرية وتجانس بشرى مع سكان هذه المناطق أم هناك تضاد بشرى وجنسى •

ان هذه الاسئلة هى التى سوف نحاول أن نجد لها اجابة شافية كافية قاطعة مانعة باترة لكى نضع النقط على الحروف فى هذا الشأن بعد أن نغوص فى أعماق الزمن البعيد • البعيد ، عبر أغوار التاريخ القديم ومنذ أن كانت بداية الخلق التى اتفقت عليها جميع الاديان السماوية ولا يكون هناك خلاف فى أن مصر هبة الله فى أرضه ، مصر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة(١) •

ويكفى أن ننبه هنا الى أن القرآن الكريم ذكر مصر ذكرا صريحا فى مواقع أربعة ويذكر المفسرون الى انه أشير اليها كثيرا فى القرآن الكريم اشارة غير صريحة وانما تدل عليها القرائن والتفاسير فى عشرين موضعا اخرى

---

(١) وردت مصر نصا وتلميحا فى القرآن الكريم سبعة عشرة مرة (انظر سورة البقرة آية ٦١ ، سورة يوسف ٢١ ، سورة القصص آية ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ ، سورة الزخرف آية ٥١ ، سورة يونس آية ٨٧ • كما انها وردت فى بعض السور القرآنية والاحاديث النبوية الاخرى (انظر صحيح البخارى ومسلم) •

وكذلك فى الاحاديث النبوية التى أوصى بها الرسول ﷺ مما يدل على وجود صلة دم وسلالة وعرق ونسب تجمع بين العرب والمصريين وقد جمع ابن تغرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة فى ذكر مصر ومحاسن القاهرة قدرا كبيرا من أحاديث الرسول ﷺ فى هذا الموضوع ص ٢٧ ـ ٣٤

ومن هنا فان مصر القرآن الكريم والسنة المطهرة لم تذكر فى القرآن الكريم فقط بل هى فى الكتب السماوية (التوراة والانجيل) مذكورة كما فى القرآن ، بل ان مصر ونيلها وحكامها ومدائنها وخزائنها هى البلد الوحيد المذكور بالاسم والتضمين مرارا فى القرآن الكريم ٠

وقد أخذت مصر اسمها من حفيد حام بن نوح ذلك لان الذى بنوا مصر لاول مرة وسكن بها يومئذ هو مصر بن القبط بن حام بن نوح(١) ٠

وكذلك ذكر بعض المؤرخين العرب أن مصر سميت باسم مصر بن بيصر ابن حام بن نوح ثم قبط(٢) ٠

ويذكر المسعودى فى كتابه مروج الذهب جـ٢ ، ص ٢١ ان الساميين الحاميين الشرقيين عندما دخلوا وادى النيل من الوديان المنتشرة فى الصحراء الشرقية وبصفة خاصة وادى الحمامات عند ثنية نهر النيل فى قنا انهم أطلقوا اسم قبط على أول مدخل لهم وكانت قفط المدينة المعروفة ثم أطلق اسم مصر بن بيصر على البلد كله بعد أن تقدموا فيه وعمروه ٠

وعلى هذا فانه يجب أن نجد السبيل أمام وضع الانسان المصرى فى العائلة البشرية وما هو حظه من التجانس البشرى كشعب وشعبة بشرية تعيش فى اقليم محدد بالحدود السياسية العصرية فوق الكرة الارضية وهل الانسان المصرى ينتمى سلاليا وعرقيا الى الجنس السامى أم الحامى أم السامى والحامى المشترك أم ينتمى الى عناصر أخرى كالبوشمن أو الهوتنوت أو الزنوج أم القوقاز أم شعوب هند وأوربية أم شعوب أمريكا

(٢) الدنيورى : الاخبار الطوال ٠ ص ٤ ٠

(٣) جمال حمدان : شخصية مصر ٠ جـ٢ ٠ ص ٢٥٥ ٠

الجنوبية أو الشمالية أم الى طائفة شعوب شرق آسـيا أو شمالها أم شعوب البحر المتوسط ٠

ان كل هذه الاسئلة التى تتزاحم فى العقل البشرى الذى يبحث فى هذا المجال لابد أن تكون لها فى خاتمة هذه الدراسة محصلة علمية مؤكدة من خلال الاخذ بما يتلائم مع المفهوم العقلى والواقع الجغرافى والمكانى والبعد الزمنى وصولا الى المدى البعيد الذى لا يقبل أدنى شك أو ارتياب فى القول ٠ كذلك لان الكثير من أبناء الشعب المصرى الذين يعيشون فى ثراة الطاهر فى تلك الحقبة الزمنية من نهاية القرن العشرين الميلادى ، الربع الاول من القرن الخامس عشر الهجرى لا يدركون أدنى صك بالمعنى المفهوم عن سـلالة وعرقية ونسب وجنس المصريين القدماء الذين سكنوا الوادى القديم وشكلوا الفرشة العريضـة الاساسية التى اسـتمد منهـا الشعب المصرى مقوماته الاساسية وعموده الفقرى الذى ارتكزت عليه خليطة وتركيبة الانسـان المصرى عبر المراحل التـاريخية والانثربولوجية العنيفة والتى اسـتطاعت أن تصهر كل الوفود القـادمة والطارئة المتسـللة وتمتصـها بل تصـهرها صهرا فى بوتقة الانسان المصرى الاصيل بكل ما فى هـذا القـول من معنى ومدلول ذلك لان الانسان المصرى عريق فى القدم يعيش فى هذا الوادى منذ آلاف السنين ان لم يكن منذ الملايين ومن هنا كانت من معجزات التاريخ بقاؤه هذا الدهر الطويل على الرغم من تقلب الاحداث فانه يحيـا حيـاة متصلة متطورة(٤) وهكذا فانه يمكن القول ما هى النواة الاولى التى كونت الانسان المصرى والتفت حوله المجموعات البشرية المهاجرة وكيف كانت هذه الهجرات المتعاقبة ومن أين جاء معظمها(٥) ٠

جاءت الهجرات الاولى من الشرق العربى السامى حيث صحب ذلك ازدياد الهجرة السامية الى مصر حيث كانت الشعوب السامية المجـاورة نسمى مصر قديما ، هكذا تسمى فى الاشورية وسميت فى الارامية (مصرين)

(٤) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية ٠ ص ٣٢٦ ٠

(٥) المقـريزى : البيـان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب . ص ١٦٥ ٠

وفى غيرها من اللغات السامية (مصرايم) وعرفها العرب باسم مصر والمصر فى اللغات السامية تعنى الحد وقد أطلقت الشعوب السامية من أشوريين وأراميين وفنيقيين وعرب على البلاد المتاخمة لهم مصر كما سموا سكانها بالمصريين ثم أطلقت كلمة مصر على القطر عامة · وقد سمى القبط مصر باسم (كيمس) السواد أى الارض السوداء وأسماها الاشوريون فى نقوشهم (هيكوبتاه) وهو الاسم الذى يطلقه المصريون على مملكتهم منف وقد سمع اليونان هذا الاسم فأخذوه عنهم منذ عهود قديمة وأسموها (ايجيبتوس) وورد اسمها هذا عدة مرات فى شعر هوميروس ·

واذا كان لزاما علينا أن نبدأ هذه الدراسة مدعمة بالادلة فانه أولى بنا أن نبدأ بأول البشر آدم عليه السلام ذلك لان الكتب السماوية كلها قد أجمعت على أن آدم عليه السلام هو أول المخلوقات كما جاءت النصوص القرآنية مؤيدة لذلك وانه لم يكن قبله أحد من هذا النوع البشرى وقد تضافرت الاخبار والروايات عن جميع أهل الملل والنحل بأن آدم هو أبو الخليقة وانه أول مخلوق من البشر على الاطلاق وان العالم المعاصر الذى يتكون من أكثر من خمسة بلايين نسمة وألف مليون هم جميعا من ذريته · وان المراد بالنفس الواحدة هو آدم وأن قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة ، ثم جعل منها زوجها) فان المراد من قوله تعالى زوجها ليس الا حواء لانها أصل الخليقة وانها انتشر منها خلقا من الرجال والنساء الكثيرين ومنهما توالد البشر وتناسلوا وكثروا ، ثم تفرقوا فى الارض ·

ويروى فى الصحيحين (صحيح مسلم والبخارى) ان الناس يوم القيامة يلتمسون من آدم الشفاعة فيقولون له يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك الملائكة وأسكنك جنته الا ترى ما نحن فيه الآن ·

ونحن نرى الله سبحانه وتعالى خلق آدم (لا نريد أن نطيل بقضية خلق آدم وما هى المراحل التى مر بها ومرحلة تكوينه لان ذلك ربما يجرنا بعيدا عن صلب الدراسة وحتى لا نتفرع فى أفرع جانبية وان الذى يريد الاستزادة حول هذا الموضوع أن يلجأ الى العديد من الدراسات الاسلامية بهذا الشأن) ·

وبعد خلق آدم فانه سكن الجنة فكان يعيش فيها وحيدا فريدا ليس معه زوج ولا أنيس ، فنام آدم نومة ثم استيقظ فاذا عند رأسه امرأة خلقها الله له لتسكن اليها نفسه تسمى حواء وسميت بهذا الاسم لانهـا خلقت من حى وهو جسد آدم ويروى ان حواء خلقت من احد أضلاع آدم وهو نائـم دون أن يحس ٠

ثم ما كان من سكن آدم وحواء للجنة واباحة الله لهما جميع الاشجار والثمار الا شجرة واحدة نهاهما عن القرب والاقتراب والاكل منها لكنهما نسـيا ذلك وأكلا من هذه الشجرة المحرمة ، ثم هبطا الى الارض بسـبب مخالفتهما لاوامر الله(٦) ٠

وتذكر الروايات ان آدم عليه السلام عندما هبط هو وحواء من الجنة فان نزول آدم كان بالهند وان نزول حواء كان بالجزيرة العربية بمدينة جدة وانهما ظلا يبحثان عن بعضهما الآخر فترة من الزمن وقدم آدم من الهنـد وتحركت حواء من جدة الى جبل عرفات وتقابلا فى عرفة وهو المكان الذى يحتشد فيه المسلمون من بقـاع الارض للوقوف فى هـذا المكان الطاهر حيث بالقرب من جبل الرحمة ومن هنا أخذ هذا الاسم من التعـارف بين آدم وحواء ٠ وقد دفنت حواء فى جدة ويقال ان قبرها لازال فى جدة أما آدم عليه السلام فقد قيل انه دفن بالهند عند الجبل الذى هبط عنده ، لكن الرأى الاصح أنه مات ودفن فى مكة المكرمة بالقرب من جبل أبى قيس(٧) وهو الرأى المقبول اكثر حيث حواء فى جدة والتعارف فى عرفة ٠

---

(٦) محمد على الصابونى : النبوة والانبياء ٠ ص ١١٠ ـ ١١٥ ٠
(٧) محمد على الصابونى : نفس المرجع ٠ ص ١٣١ ٠

الفصــل الثــانى

الطوفان فى عهد نوح وظهور الكرة الأرضية

ذكر ان الفتــرة الزمنيــة التى كانت بين آدم ونوح عليهما الســـلام كانت أكثر من الف عام وما كان من أمر نوح وبعثه نبيــا فى قومه وصبره على ايذائهم له وتحمله وتذكر التوراة ان الفترة الزمنية التى بين آدم ونوح هى ما يقرب من ألف عام وست وخمسون سنة (١٠٥٦) لكن هناك حديثا شريف رواه ابن عباس عن أن رجل سائل رسول الله ﷺ قال (كم كان بين آدم ونوح فقال عليه السلام (عشرة قرون) ٠

ثم ما كان من بنــاء نوح للسفينة وحدوث الطوفان وغرق الارض ولم يبقى على وجهها من الكافرين احد ٠ ثم أمر الله الارض أن تبتلع المياه التى غمرتها وأن تعود الحيــاة كما كانت على ظهر الارض وكانت السفينة قــد رست ووصلت الى جبل يسمى جبل الجودى وهو جبل عظيم جنوب شــرق تركيا الى جانب نهر دجلة بالموصل بالعراق ٠ وقد كانت هنــاك ابحـــاث وحفريات من جانب العلماء الذين توصلوا جميعا الى وجود سفينة نوح بهذا المكان وهــذا يتفق تماما مع ما جاء بكتاب الله الكريم وقرآنه القــويم الخــالد ٠

ولقد كانت ذرية آدم عليه السلام اربعة أولاد أكبرهم (سام وحــام ويافث ، وكنعان (يام) أما يام (كنعان) فقد أبى أن يركب الســفينة مــع أبيه وغرق مع الغارقين وكل الخلائق ينسبون الى أولاد نوح(١) ٠

ويذكر ماكيفيدى ، كولين ، ان العــالم المعاصر كان قارة واحـــدة عظمى وليس ست قارات كما هو الحــال وان هذه القارة العظمى تسمى (بانجايا) وقد طفت كالقشرة بعد طوفان نوح وظهر سطح الكرة الارضية وانها كانت تضم جميع قارات العالم فى كتلة متماسكة واحدة وذلك الحدث كان منذ مائة وخمس وسبعون مليون سنة من السنين(٢) ٠

---

(١) محمد على الصابونى : مرجع سابق ص ١٤٠ ٠

(٢) ماكيفيدى ، كولين : أطلس التاريخ الافريقى ٠ ص ١١ ٠

ولقد كانت هـذه القارة الواحـدة ذات الكيـان الواحـد غير الممزق والمتفرق والمتباعد والمفتت والتى تفتت تبـاعا بفعل عوامل كثيرة هى قارة بانجـايا Pangaea وكانت القـارة الافريقية التى تقع مصر فى طرفهـا الشمالى الشرقى تقع فى منتصف القارة الكبرى والعظمى ٠

ولقد كانت كتلة النتوء الشمالى الغربى المتمثل حاليا فى ساحل بلاد المغرب العربى هو حلقـة الوصل للقـارة الافريقية مع الكتلتين الرئيستين اللتين تتكون منهما القارة العظمى (بانجايا) وكان ذلك منذ اكثر من مـائة وخمس وسبعون مليون سنة وكانت حلقة الوصل المتمثلة فى النتوء الشمالى الغربى لافريقيا معبرا لمجموعة الثدييـات الاولى ومجموعة الحيوانات ذات الجراب كالقنغز ٠ لكى تنتشر فى معظم انحاء اليابسة(٣) ٠

لكن منذ نحو أكثر من مائة وستون مليون سنة أى يكون قد مضى على ظهور قارة بانجايا Pangaea حوالى خمسة عشرة مليون سنة وبالتحديد فى بداية العوامل الطبيعية التى بدأت تظهر على قشرة الارض منذ أن طفت بعد الطوفان ومن ثم بدأت أجزائها تنكسر وبدأت عملية التباعد بين القارات تاخذ بعدا جديدا وبدأت الاجـزاء تبتعد عن بعضها البعض وبدأت تأخـذ أشـكالا تختلف عما كان عليـه الحـال منذ أكثر من مائة وخمس وسبعون عاما وكل ذلك قبل أن تعتريها عوامل الهزات الارضية والانفجارات البركانية والثورات الجيولوجية والتباعدات القارية لتكون على هذه الصورة الحالية التى تظهر بها خريطة العـالم البيضاوية ، ذلك لان رواد الفضـاء الذين صـعدوا الى أجـواء السـماء مرورا برحـلة جاجارين رجـل الفضـاء الروسى حتى المحطات الفضائية التى لا زالت تسبح فى الفضاء لفتـرات طويلة تحمل أكثر من خمسة اشـخاص بكل سـفينة يظلون فى الفضـاء لفتـرة تقتـرب من العـام قـد صـوروا كمـا صـورت الاقمار الـكرة الارضـية بأنهـا كورة فعـلا وليس فى ذلك أدنى خـلاف لكنها اقرب الى تكويـرة بيضـة الدجـاجة ورسـمها يوحـى بأنهـا عـلى شـكل بيضة مصداقا لقوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) لان العرب يطلقون على البيضة « الداحية » ٠

---

(٣) ماكيفيدى ، كولين : المرجع السابق ٠ ص ١٧ ٠

وتؤكد الدراسات انه منذ خمسين مليون سنة حدث أول انكســـار وانفصال عن الكتلة الارضية الواحدة وبدأت هنــاك أجـــزاء منفصلة عن بانجايا وان كانت قد حدثت انفصالات سابقة منذ نحو مائة وستين مليون نسمة • وقد لا يكون مستغربا ان القارة العظمى الام ظلت متماسكة فى كتلة واحدة لمدة ٥٠ مليون (خمسين مليون ســنة) رغم حــدوث بوادر التشقق والانكسار •

وقد لا يعنينا البحث والتحرى عن مجموعات الحيوانات التى كانت تعيش فى تلك الفترة ذلك لان الاخذ بنظرية داروين فى أصل الانســـــان ترفض فكرة ان الانسان أصــله فرد ولكن قد تقبل بالقول بأن الانسان الاول لم يكن على درجة من مكونات الذهن والتقدم العقلى أو التوطن الجسمى أو استخدام اليدين أو الرجلين قد يكون هذا مقبولا ومن الممكن أن نأخذ به فى مرحلة نشأة الانسان الاول فى العصور القديمة الاولى •

ثم نترك جانبا الانكسارات التى كانت تحدث فى أجزاء العــالم الأخرى ونركز على الانكسارات التى كانت لها صلة بالقارة الافريقية حيث ان مصر محور البحث والدراسة جزء من هذه القارة ومن هنا فانه يمكن القـــول انه منذ حوالى خمسة ملايين سنة حدثت آخر الانكسارات والتشققات الكبرى فى كتلة القارة الافريقية حيث حدثت ثلاثة انكسارات بالجانب الشرقى للقارة الافريقية حدث الشق الاول فأزاح شبه الجزيرة العربية عن كتلة القـــارة الافريقية وأدى هذا الانكسار الى ظهور خليج عدن والبحر الاحمر وانتهى بخليج السويس الذى يمثل الآن همزة الوصل البرى الوحيدة بين قــارتى آسـيا وافريقيــا ثم نقترب من السواحل المصرية الشرقية حيث التشـــققات والانكسارات الكبرى التى حدثت بالبحر الاحمر والتى تـ حتاج الى المـزيد من الدراسات الجيولوجية ومع ذلك فانه يمكن ملاحظة مبسطة فهناك تطابق الذى أحدثته هــذه الانكسارات بالنظر الى أية خريطة مبسطة فهناك تطابق تام بين سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية بحيث انك اذا طبقت الساحلين على بعضهما لتطابق كل منهما على الســاحل الآخــر(٤) • وهــذا يعطى

(٤) ماكيفيدى ، كولين : مرجع سابق ص ١٩ ــ ٢١ •

البرهان الاكيد والدليل الواضح على أن شبه الجزيرة العربية كانت متصلة بالاراضى المصرية وشرق افريقيا امتداد من خليج السويس حتى جيبوتى وربما كان الانسان الذى سكن المنطقتين انسان واحد ومع تطابق الساحلين نجد فى منطقة الساحل الجنوبى الغربى للبحر الاحمر وهى المنطقة المعروفة بمنطقة عفار فى بلاد الصومال وجيبوتى والتى تكون منها هذا المثلث قد تكون نتيجة لنشاط بركان حديث نسبيا ملأ هذا الفراغ بالحمم البركانية ولو لم تحدث هذه البراكين القوية لكان التطابق تاما وكاملا بكلا الساحلين للبحر الاحمر ٠

وفى العهود البشرية القديمة أى نحو أكثر من مليون سنة ونصف المليون كان هناك عصر يسمى العصر المطير يقابله فى أوربا العصر الجليدى وكانت الصحراء فيها مراعى وفيها الوحوش من أنواع وضروب وغير قليل من الشجر وهذا العصر الذى اشتمل على فترات طويلة لم ينته فجأة بل بالتدريج(٥) ٠ وفى هذا العصر المطير كان العمران فى النصف الشمالى من افريقية على عكس نمطه الحالى ، كانت الصحراء هى المعمور ووادى النيل واقليم جبال الاطلس هى الغير معمورة بل غير مؤهلة بالسكان على الاطلاق ولم يكن الانسان البشرى قد وصل الى هذه المناطق والتى بها مصر موضوع الدراسة ولذا فان من أكثر من مليون نسمة ونصف قبل الميلاد لم يكن هناك تواجد بشرى فى وادى النيل ، بل كان سواد السكان ومعظمهم ينتشرفى رقعة شاسعة وواسعة تغطى الصحراء المصرية وان كان أكثر هذه الكتلة تعيش فى الصحراء الشرقية وان ذلك لا يمنع وجود بعض العناصر فى الصحراء الليبية(٦) ٠

وخلال هذه الفترة التى كان الجنس البشرى يتحرك فيها فى منطقة الصحراء الكبرى على (أماكن وجود البترول فى ليبيا والجزائر) كان الجليد يغطى شمال أوربا وكندا وخلال هذه العصور الجليدية ساد جو بارد كل منطقة جنوب أوربا وكذلك (قارات أمريكا الثلاث) والولايات المتحدة

---

(٥) محمد عوض محمد : مرجع سابق ص ٣٢٩ ٠
(٦) جمال حمدان : مرجع سابق ص ٢٦٧ ٠

الامريكية حيث حال دون السماح للوجود والسكنى البشرية ، اما فى افريقيا فلم يكن عامل الجو أبرد مما عليه الآن ، وان كان أكثر جفافا واصبحت الصحراء الكبرى تمثل حاجزا لا يمكن اجتيازه بالنسبة للحيوانات بينما بقيت المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى حافلة بمناطق الغابات فى نفس الحدود التى هى عليها الآن وقد ساعدت المناطق العشبية المفتوحة ذات الاشجار المتباعدة على سكنى الانسان وبدأ الانسان الاول يعتمد فى حياته على أشجار الغابات وأصبح الانسان الاول جسمه جسم انسان عادى الا انه لم يكن فى قدرات ذهنية عالية وقد استطاع هذا الانسان أن يسير مستقيم القامة معتمدا على رجليه وكان من نتيجة هذا التطور أن أصبح الانسان يتمتع بذراعين قويتين استطاع أن يستخدمها فى أغراض شتى تعود عليه بالنفع وتسهل له الحياة فى البيئة التى يعيش فيها ولم تمض حقبة طويلة من الزمن حتى استطاع أن يستخدم يديه فى تشذيب بعض الاحجار الصلبة ليستخدمها كأدوات قاطعة وكان هذا الاستخدام هو خطوة الانسان الاولى فى التطور وصنع الادوات ومعنى هذا انه بالرغم من تطور الانسان فانه لم يستطع اجتياز الصحراء وظل على مدى مليون سنة أو ثلاثة ملايين سنة مرتبطا بالمناطق العشبية التى يعيش فيها(٧) .

وتمضى الاعوام والسنين فى حياة الجنس البشرى والانسان الذى أخذ يتطور ويحاول أن يكون بالصورة التى عليها الانسان الحالى فى كل مكوناته الجسمية والعقلية فنجد انه نحو ما يقرب من نصف مليون سنة تطور الانسان تطورا كبيرا لأصبح الانسان العادى هو الانسان المنتصب القامة واستطاع هذا النوع أن يتقدم ذهنيا وعقليا وأن يكون على درجة من الذكاء بحيث انه فكر فى استخدام النار فى العديد من الاستخدامات ونجح فى اشعال النار (عصر البخار ، عصر الكهرباء ، عصر الذرة ، عصر الالكترونات ، عصر الفضاء) والمراحل عصور ، بل أكثر من ذلك نجح هذا الانسان فى استخدام الصوان (الظران) فى الاشتغال عن طريق استخدام احتكاك صوان بالآخر بل انه بدأ يصنع من هذا الصوان اشكالا

---

(٧) سلجمان . س.ج : السلالات البشرية فى افريقية : ترجمة يوسف خليل . ص ٣٨ .

(7) Seligman, C. G. : Races of Africa, p. 32.

مختلفة صنعها بفن وحذق ومهارة ومن المؤكد انه فى هذه الفترة الزمنية استطاع الكلام والنطق نظرا لوجود صلة وثيقة بين المهارة والقدرة على الكلام • وهكذا بدأت هذه الصناعات الحجرية تضع فى بداية السلم الحضارى ثم الاخذ تدريجيا بل شيئا فشيئا فى أساليب الحياة بل فى صنع بوادر حضارة أو مدينة(٨) •

وهكذا فان هذه القدرات التى اكتسبها الانسان الواقف على قدميه المستخدم القدرات الذهنية قد جعلته يدخل فى ميدان المنافسة والتفوق وقد استطاع هذا الانسان الذى كان يعيش فى منطقة جنوب الصحراء الكبرى أن يزيح غيره من العناصر غير المتطورة اما بالذبح والابادة أو طرده الى مناطق وبيئات لم يستطع أن يواصل الحياة فيها فقضى عليه وانتهى أمره فى الحياة •

واثبت انسان المليون سنة ونصف المليون قدرة فائقة على الحركة والهجرة وكسر حاجز الصحراء بعد أن حل الجفاف بها واصبحت هذه بؤرة واسعة الانتشار وتوزيع للكتلة السكانية التى كانت تعيش فيها وتوزعت هذه الكتلة البشرية الى ثلاثة فروع كتلة اتجهت يمينا الى النيل حيث الوادى ويسارا الى الاطلس حيث بلاد المغرب وكانت كتلة أخرى كبيرة وشقيقة قد تحركت لتكون الكتلة السامية(٩) فى الجزيرة العربية او غرب يسيا وانشطرت كتلة مصرية وأخرى الى أطلس المغرب وبذلك انشطرت الكتلة الام الى ثلاث جزر بشرية منفصلة انفصالا تاما وكاملا كل منهما عن الاخرى ولعل هذا يفسر الاصل الجنسى والسلالى والعرقى الواحد رغم الانفصال الجغرافى ورغم ان مجموع هذه السلالات والكتل يشير الى مجموعة واحدة وان كانت هناك بعض التقسيمات تحول هذه الكتل الواحدة الى كتلتين سامية وحامية ويطلق سلجمان على الكتلة الاولى المصريين القدماء الذين ينتمون أساسا الى مجموعة الحامين الشرقيين والذين يألفون مع الحامين الشماليين

---

(٨) برشند ج٠ق : تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسى ص ١٧

(9) Coon, C. S. : Races of Eorop. p. 82.

فى شمال غرب افريقيا والذين يعيشون فى اقليم الاطلس بالمغرب العــربى مجموعة بشرية سلالية واحدة تجمع شعوب المنطقة الممتدة من ساحل المحيط الاطلسى مرورا بوادى النيل انطلاقا الى جزيرة العرب والهلال الخصيب وبلاد الرافدين أجمعت كل الدراســات الانثربولوجية والاركيولوجية انهــم كونوا قوة بشرية واحــدة استطاعت أن تنتشر فى مختلف أنحــاء العــالم القــديم حيث عثر على عظام من هــذه المجموعات فى أوربا وفى الصــين وفى أندونيسيا كما عثر عليــه فى شــمال افريقيــا فى الدار البيضـــاء والرباط ٠

وفى حوالى أربعين ألف سنة قبل الميــلاد عاش الانسان فى المنــاطق التى كانت مأهولة فى ذلك الوقت فى افريقيــا وأوربا وآســيا وهو الانسان الذى اصطلح على تسميته بالانسان البدائى الحديث Homosap iens

وهذا الانسان شديد الشبه بل التطابق مع الانســان المعــاصر الذى يتحــرك على الكتلة الارضــية ويعيش عالم اليــوم المتقدم وان كان يختلف عنه فى اختلافات بسيطة توجــد بين انسان العصر الحالى مثل كثافة شعر الحواجب وكبر الفكين وصغر عظم الدقن أما حجم المخ فهو بالكمال والتمام والتشريح والدقة المتناهية مثل مخ الانسان المعاصر مماثل تماما ولهذا فان انسان الفترة التى كانت تحدد بأربعين ألف ســنة قبل الميلاد وهو صــورة مطابقة للانسان المعاصر ٠ الا انه لم يستطع الوصول الى بلاد العالم الجديد (الامريكتين) وجزر المحيط الهادى(١٠) ٠

وهنــا نســتطيع القــول بكل تاكيــد ان الدراســـات الانثيريولوجية والاركيولوجية التى تستخدم فى دراساتها أرقى أنواع الاساليب العلمية من حيث العمق والتحليل والآلات الحديثة قد أثبتت انه منذ حوالى ثمانية آلاف سـنة بالتحديد قبل الميــلاد فقد كانت المنــاطق الافريقية التى تقع شــمال الصحراء الكبرى بما فيهــا وادى النيل فان الوضـــع كان يختلف فيهــا كل الاختلاف الى حــد كبير فقد كانت تلك المنطقة مأهولة ومسكونة بأجنـــاس

---

(١٠) ساكيفيدى ، كولين : مرجع سابق ص ٣٠ ــ ٣١ ٠

بيضـــاء تنتمى فى أصولها العرقية والسلالية الى عناصر سامية فى شــبه الجزيرة العربية وينقسمون الى جماعات تختلف فيما بينها لغـويا وليس جنسيا (لاحظ هنا ان الاختلاف فى اللغة وليس فى الجنس) اذ أن المؤكد انهم ينتمون الى الشعوب السامية وان الحامية هى لفظ لغوى ويطلق عليهــم بصفة عامة اسم الحامين ففى الغرب مراكش والجزائر وتونس وليبيــا كان يعيش البربر الذين هم من أصول سامية وفى الشرق وادى النيل كان يعيش المصريون الساميون وفى جنوب الصحراء الشرقية المطلة على البحــــر الاحمر كان يعيش النوبيون ٠ وهم ذو بشرة داكنة وأكثر سمرة من البــربر والمصريين وعرب الجزيرة العربية ٠

ويرجع هذا التمييز فى لون بشرة النوبيين الى سبب جوهرى هـــو وجودهم فى المنــاطق الجنوبية ٠ الامر الذى هيأ للطبيعة أن تؤدى دورها فى تلوين بشرتهم باللون الاسمر[11] ٠

وهنا نستطيع أن نؤكد استنادا الى هذه الاقوال التى يذكرها أحـــد رحالات الغرب وهو دون غيره من المؤرخين الاوربيين له طابع خاص متميز اذ انه عالم متمرس فى كتابه التاريخ وله منهج حديث وان كل ما يكتبــه محل بحث وتمحيص ومعتنى به من جانب العلماء فى انجلترا وفرنســـا والمــانيا وايطاليا والولايات المتحدة الامريكية واسبانيا وغيرها من دول العــالم وأن مؤلفاته تترجم الى جميع اللغات الاوربية ليصبح على أوســع نطاق ، كما انه يعتمد على الخرائط البيانية التى توضح أماكن وأزمـــان كل الاحداث السياسية ودائما فان مؤلفاته تكون على مدى الدقة المتنــاهية والتركيز الشديد الواضح تماما[12] ٠

فماذا يقول الذين يشككون فى عروبة مصر وها هو التاريخ يقول منذ أكثر من ثمانية الف ســنة قبل الميلاد بأن مصر عربيــة وأن الفراعنة لـــم يكونوا الا ساميين عرب جاءوا من شبه الجزيرة العربية ؟؟

---

(١١) ماكيفيدى ، كولين : مرجع ســابق ٠ ص ٣٥ ٠

(١٢) مختار السويفى : مترجم كتاب : أطلس التاريخ الافريقى ٠ ص ١١ ٠

الفصــل الثالث

الانسان المصرى فى عصور ما قبل التاريخ
العصر الحجرى القديم والعصر الحجرى الوسيط

بعد أن تأكد ان وادى النيل المصرى لم يكن مهد الجنس البشرى وان الوادى قد وفدت اليه أجنـاس بيضــاء تنتمى الى الساميين فى شبه الجزيرة العربية وهذا يدل على أن سكان مصر الاوائل الذين سكنوا هذه البقعــة من القارة الافريقية ومن العــالم القديم كانوا عناصر وافـدة من خارجها وهكذا يتيقن ان مصــر لم تكن المـوطن الاول للانســـان ، بـل انه من المســـلم به القول ان العنــاصر التى سكنت ديار الوادى آتت عن طريق الهجــرة وان هــذا الوضـــع قد استمر طويلا ، فان القول الشائع بين علماء الاجنـــاس والانثريولوجيين والاركيولوجيين يثبت بالدليــل ان الانســان المصرى من أقدم سلالات الارض وان مصر الدار والارض قد تم تعميرها وسكناها منــذ وقت مبكر موغل فى القدم بل بالغ فيه يسبق فجــر التاريخ بمراحل زمنيــة طويلة ، لكنه لم يكن بالتأكيد يعيش فى العصر المطير على الاقل ، وربمــا كان يعيــش فــى عصر البلاســتيوسين ، أى قـــبل العصر الباليـــوليني Palaeolithic أو العصر الميسوليني Mesolithic ، وهكذا فـــانه منذ أوائل العصر الحجرى تظهر مصر مؤهلة بالانسان السامى القادم من الشرق حيث الجزيرة العربية مخترقا وديان الصحراء الشرقية حيث يتأكد ذلك تماما فى انسان العصر الحديث حيث ان الحضارات التى تدل عـــلى انجازات انسان العصر الحجرى الحديث تقطع الشك باليقين وتقطع كل ألسنة المشككين والحالمين بالاهداف البعيدة ان العروبة أصــيلة فى الديار المصرية منذ العصر الحجرى الحديث وهل الشواهد الاثرية والابحــــاث الانثريولوجية وأماكن السكنى والاقامة حيث ظهور أول معالم حضــارية في وادى النيل تحتمل الشك والتأويل ، ان وادى النيل كان مســـــكونا

بجماعات بشرية تشكل جماعات مختلفة منتشرة فى أماكن متباعدة من الوادى ، تدل على ذلك بقايا الادوات الصوانية والآلات الحجرية ومخلفات السكن والمساكن التى تركتها هذه الجماعات(١) ٠

وقد لا توجد لدينا معلومات محددة عن انسان العصر الحجرى القديم المصرى من الناحية الانثربولوجية وان ما يقال عنه ربما يدخل فى باب التكهن أو التخمين ٠ لكن ما يمكن قوله على انسان العصر الحجرى انه كان يعتمد فى حياته على صيد الاسماك أو الحيوانات وقطف الثمار وحفر الارض للبحث عن البذور ٠

وهما يكن من قول عن الاصول السلالية والعرقية والجنسية للانسان المصرى الاول فى عصر ما قبل التاريخ أو فترة تكوين الاجناس البشرية وكيف عمرت مصر بأجناسها الاولى مادام ان الامر يتفق على ان هذه العناصر كانت وافدة سواء من جهة البحر الاحمر الذى لم يكن بحرا كاملا بل كان بحيرة صغيرة ولم يكن باب المندب هذا يصل البحر الاحمر بالمحيط الهندى وخليج عدن مما سهل حركة النقلة والانتقال وان الجزيرة العربيةكانت كتلة متصلة بالقارة الافريقية وان الجزء الجنوبى من بلاد العرب كان فى العصور الجيولوجية القديمة متصل وكان البحر الاحمر عبارة عن بحيرة لم يكن يشكل حاجزا مانعا للعبور البرى(٢) ٠

وانه ربما يكون قد توزع المصرى القديم مع أقرانه فى شمال افريقيا من الخزان البشرى جنوب الصحراء الكبرى وان كان ذلك لا ينفى نظرية الاصل الاسيوى العربى الجزيرى للمصريين(٣) الوافدين من شمال غرب آسيا أو عن طريق الدلتا ٠ وان كان ذلك القول يشارك مع آراء أخرى

---

(١) سليم حسن : مصر القديمة : جـ١ ص ١٤٤ ٠ جمال حمدان : مرجع سابق ص ٢٥٥ ٠

(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب جـ١ ص ١٥ ٠

(٣) سليمان حزين : تاريخ الحضارة المصرية القديمة جـ١ ص ٢٩ ٠

بأن الانسان المصرى الاول فى العصر الحجرى القديم قد نشأ من اختــلاط وتصـادم عنـاصر وافدة ثنائية الجنس والاصل سامية عربية مع حامية افريقية تستطيع العناصر الاولى فى العصر الحجرى الحديث أن تتغلب على هذه العناصر وأن تزيحها من أماكنها وتتوطد وتتوطن هذه العناصر السامية التى كونت حضـارة زاهرة فى بعض مناطق وادى النيل طمن ثم أصبحت عناصر أصـيلة بالمعنى المفهوم عن قدماء المصريين منذ العصر التـاريخى ، وفى ذلك لا خلاف فى القول بأن كل سكان افريقيا الشمالية ووادى النيـل والنوبة فى العصر الحجرى القديم حوالى ثمانية آلاف سـنة قبل الميـلاد كانوا عناصر بيضاء سامية قادمة من الجزيرة العربية وان سـام بن نوح هو الجد الاعلى لكل هذه المكونات والمجموعات الثلاثة وان كانت هناك بعض الآراء تعارض ما قاله ماكيفيد ، كولين وتذكر ان الانسان المصرى فى العصر الحجرى القديم ظل جنسا خالصا للعنصر الحامى ومع ذلك لا يستبعد أن تكون قد تسربت اليه بعض العناصر السامية فى هذا العصر السحيق تحمل صفات سامية عربية حملتها بعض الهجرات من شمال غرب الجـــزيرة العربية أو عن طريق البحر الاحمر(٤) ولكن من أين جاء العنصر الحامى هذا الى مصر وما هو الطريق الذى اتبعه فى الدخول والوصول الى مصر فانه من المتفق عليه ان الوطن الاصلى للحامين هو قارة آسـيا وبالتحديد فى جنوب الجزيرة العربية فى جنوب شرق الجزيرة وفى ذلك اذ كانت هنـاك بعض الآراء تذكر ان القرن الافريقى (الصومال وجيبوتى) كانت الموطن الاول للانسان الحامى الا ان ذلك لا يمنعهم من انهم وصلوا من جنوب شرق الجزيرة العربية الى هذه المنـاطق مهاجرين ثم اتخذوا طريقهم شـــمالا للوصول الى الموطن النهائى سواء فى حوض النيل (وادى النيل) ، وفى اقليم المغرب وهذا ما حـدث بالفعـل للحاميين الشرقيين فى طريقهم الى مصر(٥) ٠

وعلى هذا فانه يتأكد تماما بأن الانسان المصرى القديم فى عصـور ما قبل التاريخ وفى العصر الحجرى القديم بالذات كان سـاميا قادما من

---

(٤) Hadden, A. C. : Races of man p. 35.

(٥) جمال حمدان : شخصية مصر : جـ٢ ص ٢٦٨ ٠

الجزيرة العربية ثم اختلط بالحامى والحامى قادم أيضا من الجزيرة العربية من جنوب شرق الجزيرة ثم استقر فترة فى القرن الافريقى ثم اتخذ طريقه شمالا وتشعب الى شعبتين احداهما مصرية والاخرى مغربية وفى ذلك نضع النقط على الحروف بأنه لم يكن أوربيا ولا يونانيا أو اغريقيا أو روسيا أو رومانيا أو خليط من الفريقين أو من الانجليز أو غيرهم من السلالات الاوربية أو الحديثة الامريكية ولم يكن سلالة أنجلو سكسونية ٠

ونحن هنا لا نعارض بالاخذ بأن الفرشة الاولى كانت سامية حامية (قادمة من جزيرة العرب ، وليست من بقايا عصور الرومان واليونان والاغريق) ٠

ومن المسلم به ان الساميين والحامين هما من أصل واحد مشترك وان هذا النوع لم يحدث الا منذ فترة حديثة نسبيا وانه ربما كان للجنس الوافد أو البيتين بيت جغرافى مشترك قبل أن ينفصلوا أو يتباعدوا الى سلالتين والذى يقرب فى السلالة الواحدة ان الكنعانيين الذين كانوا يسكنون فلسطين قديما والذين ورد ذكرهم فى التوراة أبناء كنعان بن حام ابن نوح وان كانت بعض الدراسات تدخلهم مع المصريين كحامين لكنهم أيضا قد قدموا مثل المصريين من الجزيرة العربية وما دام الكنعانون حاميين فكيف قدموا الى فلسطين ان أقدم الدراسات السامية القديمة عن الكنعانيين تذكر انهم قبيلة سامية من الساميين الشماليين جاءت أصلا من الجزيرة العربية منذ ما يقرب من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد(٦) ٠

أما الحاميون المصريون فقد ذهبوا عكس اقرانهم الحاميون الكنعانيون حيث نجد ان الجماعات المصرية قد أخذت طريقها فى محاذاة البحر الاحمر حيث استداروا مع ساحل البحر الاحمر الغربى ثم تبعوه حتى دخلوا مصر عن طريق الصحراء الشرقية ومنها انحدروا الى وادى النيل عن طريق الوديان المنتشرة والمتفرعة الى عدة وديان تتصل جميعها بوادى النيل اذ انه فى هذه العصور قدم أقواما ساميين من غرب آسيا غزوا وادى

---

(٦) جمال حمدان : اليهود ٠ انثروبولوجيا ٠ ص ١٠

النيل حينذاك وأخذ بعض التغير يحدث على الشعب الحامى الجنس الذى وقد وعاش حــول النيل ما بين البحر المتوسط وأسوان والناشىء من طبيعة البلاد نفسها(٧) ٠

وقد كان المحــور الجبلى المحصور بين حوض النيل والبحــر الاحمر منذ أقدم العصور ممرا للرعاة نحو الشمال مثلما كان وادى النيل نفســه ممرا للزراع ، اذ أن انتقــال الجماعات البشرية من الصــحراء وحيـــاة المراعى فيها الى الاراضى الزراعية لهو ظاهرة عامة فى بلاد الشرق الادنى القديم تستطيع بوساطتها أن تفهم تاريخ تلك المنطقة الملىء بالاحداث وحركة السكان البدو الذين كانوا يحاولون أن يصلوا الى الاراضى الزراعية(٨) ٠

وفى مرحلة السبعين قرن قبل الميلاد (الالف السابع قبل الميلاد) انتقل الانسان من عملية جمع الطعام الى عملية انتــاج الطعام والمتمثلة فى زرع البذور وجنى المحاصيل الصالحة للطعام وفى زرع البذور وفى تربيـــة الحيوانات المستأنسة ورعى القطعان ٠ وقد حدث هذا التطور فى منطقـــة الشرق الادنى (مصر وبلاد الرافدين والهلال الخصيب حيث تمكن الانسان من زرع القمح والشعير واستأنس الاغنــام والمــاعز والمواشى وقد أدت هذه العملية التحولية الى حيــاة جديدة بالانسان والى زيادة أعداده البشرية والانجابية وقد بدأت هــذه الزيادة وبدأت بمعدل بطىء فى البداية ثم ارتفع معدل الزيادة بمرور الوقت وكانت معظم المجتمعات التى انتهجت الزراعة واستأنس الحيوان كأسلوب حيــاة جديد تعيش مستقرة فى أماكن محددة أخذت شكل القرى ٠ ولم تلعب افريقيا أى دور على الاطلاق فى هـــذه التطورات ولكن حسب قول المؤلف الاوربى انه حوالى خمسة آلاف ســنة قبل الميلاد (٥٠٠٠ ألف سنة) انتقل أسلوب الزراعة وبنــاء القرى والتقدم الحضارى انتقل بأســلوبه الجـــديد للزراعة من وادى الاردن الى وادى النيل أى من فلسطين الى مصر ثم انتقل هــذا الاسلوب من مصر ببطء الى السواحل الافريقية الشمالية المطلة على البحر المتوسط (تونس والجــزائر

(٧) عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر ٠ ص ٧ ٠
(٨) فيليب حتى : تاريخ العرب جـ١ ٠ ص ٢٤ ٠

والمغرب) كما انتقل جنوبا الى بلاد السودان(٩) ٠ وان كان الانتقال الحضارى والمتمثل فى الزراعة واستئانس الحيوانات قد سار بصورة عكسية لصورة الانتقال البشرى حيث قدم الانسان المصرى اذا اخذنا بالقول بأنه قد اخذ طريق البحر الاحمر والوديان الا أن المصريين فى أنتقالهم شمالا قد تركوا قبل وصولهم الى مصر جزء من جسمهم الانثروبولوجى ينتشر فى الصحراء الشرقية بدءا من منطقة أرتيريا وصولا الى الشمال حتى جنوب صحراء مصر الشرقية وهو ما يعرف اليوم باسم البجا هى التى تعد اليوم بمثابة الممثلين الاحياء لقدماء المصريين فى عصر ما قبل الاسرات بل هم صورة حقيقية للمصريين القدماء الذين سكنوا مصر فى العصور القديمة(١٠) ٠

وهكذا يتضح لنا على هذه الصورة ان المصريين القدماء منذ أن كانوا يعيشون عصرهم الحجرى القديم لم يكونوا الا سلالة سامية حامية و حامية سامية وان كانت الغلبة والانتصار للفئة السامية الكثيرة العدد الكثيرة القدوم ٠ ذلك لان الجزيرة العربية منذ اقدم العصور والتى كانت السلالة السامية وجماعاتها الكثيرة العدد والتى تأصلت فى ذلك الخزان البشرى الشهير الذى لم يتوقف عن أن يقذف كاقليم طرد وصحراء فقيرة ولكنها ولودة يقذف بالموجة تلو الموجة الى البلاد المتاخمة والجذابة كوادى النيل والهلال الخصيب(١١) ٠

ولكن ما هى الصورة التى كان عليها حال وادى النيل فى العصر الحجرى القديم لا شك فى أن الوادى كما ورد فى كتابات الكثيرين كان يتلقى نصيبه من المطر اسوة بالاقاليم المجاورة وان كان النيل يجرى به ويترتب على ذلك كثرة البرك والمستنقعات وتمتلىء جوانبه بالاحراش والادغال وتجول فيه قطعان الوحوش واكبر الظن ان السكان كانوا يعيشون على حافة الوادى وعلى الرغم من انه ربما لا توجد جماجم بشرية أو دراسات

---

(٩) ماكيفيدى ، كولين : مرجع سابق ص ٣٩ ٠

(١٠) جريدة الاهرام القاهرية : مارس ١٩٩٢ العدد ٣٨٩٤٠ (تحقيق صحفى عن صحراء حلايب المصرية) ٠

(١١) جمال حمدان : انثربولوجيا اليهود ٠ ص ٨

انثربولوجية ترجع الى العصر الحجرى القديم فان العثور على كثيرا من الصوان (الظران) المنحوت فى صورة أدوات مما ترمى به الفريسة أو تقطع به الاشياء ومن المألوف أن تكون المرحلة الاولى للمجتمع البشرى مرحلة الصيد ثم أخذت الصحراء بعد ذلك تجف تدريجيا وهذا الجفاف كان يحل فى موجات أو فترات من الزمن يندر فيها المطر فيضطرب حال السكان ويلتمسون الماء والعشب فى البقاع التى يكثر بها الماء أو تكون هناك بقية من الماء والعشب ، فيستقر الناس وتعود حيوانات الصيد ويتكاثر السكان وقد استمرت هذه الفترات الى عصور ما قبل الاسرات ٠

اما الوادى فانه أخذ أيضا يتطور فتقل الامطار وتتكمش فيه المستنقعات والبرك ويكثر الناس فى النزول والنزوح من الصحراء ليعيشوا فى كنف النهر ولكثرة الحيوانات أخذ الناس يحبسون صغار الحيوان حتى تكبر أو الى الوقت الذى يريدونه لطعامهم والانثى ربما أبقى عليها اذا بدا انها توشك أن تعلم سكان الوادى فى هذه الفترة بالتدريج كيف يستأنسون الحيوان(١١) ٠ تلد وهكذا تعلم سكان الوادى فى هذه الفترة بالتدريج كيف يستأنسون الحيوان(١٢) ٠

وهكذا ساعد انحباس عصر الامطار وشهدت الصحراء عصر الجفاف وأخذ نطاق المطر ينحسر عن الصحراء الكبرى فى اتجاهين نحو الشمال والغرب وقد دهم الجفاف مسبقا منطقة القرن الافريقى فاضطر السكان الى الهجرة وهكذا اكتملت الصورة النهائية وتم الجفاف النهائى فتراجع بعض من هذه الجماعات من الصحراء المصرية الليبية الى الوادى الخصيب حيث مصادر المياه الدائمة واستأنس الحيوان وتقدم البعض الآخر الى اقليم الاطلس المغربي وهذا يكون الوادى قد شهد جماعات تنزل من الصحراء قادمة ربما من القرن الافريقى شمالا الى مصر وقد تناحرت هذه الوفود مع بداية عصر الجفاف الشديد(١٣) ٠

وكان الانسان فى هذا العصر وهو العصر الحجرى القديم قد استأنس الضأن والماعز والماشية وقد يكون الكلب قد استأنس فى مرحلة

---

(١٢) محمد عوض محمد : مرجع سابق ٠ ص ٢٣٠ ٠
(١٣) جمال حمدان : مرجع سابق ٠ ص ٢٦٩ ٠

سابقة لانه كان يعين المصرى على الصيد وبالتدريج تحول المصريين سكان الوادى الساميين الحاميين (العرب قبل الاسلام) الى قوم مولعين بالصيد واقتناء الحيوانات ثم لم يلبثوا أن أصبحوا زراعا تلك لان المصرى كان شخصا زراعيا بالفطرة وهذا يرجع الى قدم عهد السكان وأجدادهم بهذه الحرفة قد سبقوا الامم وهذا يتعارض مع القول بأن الزراعة لاسيما زراعة الحبوب والقمح والشعير قد وفدت الى مصر من الشرق القديم (فلسطين والاردن) والعكس فانهم علموا الزراعة لمعظم شعوب العالم القديم فلم تكد تقترب الالف الخامسة قبل الميلاد حتى كان الانسان المصرى فى الوادى قد عرف الزراعة وتعلم تربية الحيوان ولم يلبث أن برع فى الصناعات وبخاصة صناعة الفخار وكان ذلك قبل العصر الفرعونى بعدة آلاف من السنين(١٤) ٠

يذكر الدكتور محمد عوض محمد بأن المصريين تعلموا الزراعة منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد فى حين نجد ماكيفيدى كولين يذكر ان منطقة الشرق الادنى القديم قد تعلمت الزراعة قبل سبعة آلاف سنة قبل الميلاد ومن هنا تكون هذه النقلة الحضارية فى زراعة القمح والشعير واستئنس الماعز والاغنام والمواشى قد انتقلت من الساميين الشرقيين الى اخوانهم المصريين بعد أن تعلمونها بألفى عام وهذا يتطابق مع أقوال ماكيفيدى ٠

ورغم ان ثورة الاستقرار الزراعى فى العصر الحجرى الحديث قد وصلت الى مصر حوالى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد الا انها تطورت وأحرزت نجاحا بالغا فى منطقة دخولها فى مصر فقد تعلم المصريون بسرعة كيف يستفيدون من الفيضانات الموسمية لنهر النيل فى رى محاصيلهم وبالتالى فقد أصبحت مصر أو بالتحديد الاجزاء المأهولة منها أكثر تكدسا بالسكان فى العالم فى ذلك الزمن وبهذه الخلفية الاقتصادية حققت مصر أول الانتصارات الحضارية بين القارات الاخرى(١٥) ٠

---

(١٤) محمد عوض محمد : مرجع سابق ٠ ص ٣٣١ ٠
(١٥) ماكيفيدى ٠ ك : مرجع سابق ٠ ص ٤٠ ٠

وقد ساعد على كثرة سكان الوادى انهم كانوا ينزحون الى الوادى بأعداد كثيرة تزداد مع مضى الزمن وقد تعلم أكثرهم تربية الماشية وتعلموا كيف يمارسون الزراعة(١٦) .

ولقد حدث كل ذلك التطور فى أواخر العصر الحجرى القديم مع تزايد الجفاف في منطقة الصحراء الكبرى ومن ثم اخذت هذه الجماعات التى كانت تسكنها تهاجر شمالا وقد وصل التيار الرئيسى من هذه الهجرة الى خليج قابس بتونس حيث انشعبت الى شعبتين غربا الى طرابلس وشرقا الى النيل مصر والاخيرة لم تتجه الى الدلتا وانما الى مصر الوسطى وكذلك اتجه تيار الى مصر العليا .

وبهذا فانه يمكن القول ان مصر القديمة فى أواخر العصر الحجرى القديم وبداية العصر الوسيط كانت قد عمرت بعناصر قادمة من الشرق الجنوبى عبر الوديان المنتشرة فى الصحراء الشرقية (نلاحظ ذلك بالتاكيد في ظهور مراكز الحضارة المصرية القديمة فى العصر الحجرى الحديث) وهناك رواية تذكر ان القدماء المصريين فى رواياتهم الشفوية لبعض الرحالة الاغريق المتأخرين أمثال هيردوت واسكليوس . وغيرهم انهم أشاروا الى تقليد قديم شائع بينهم بأن أجدادهم انما جاءوا من الشر قوانهم دخلوا وادى النيل من الضفة الشرقية للنيل من خلال وادى « رهنوا » وادى الحمامات وغيره من الوديان المنتشرة فى الصحراء الشرقية (الوادى الاسيوطى) واتصاله بالحضارات الاولى فى مصر حضارة (تاسا والبدارى فى محافظة أسيوط بمصر الوسطى) ومن هنا كان تقديسهم لهذا الطريق الذي أطلقوا عليه « طريق الآلهة »(١٧) .

وهكذا إجتمعت على مصر العليا والوسطى مؤثرات شرقية جنوبية وشرقية مباشرة .

---

(١٦) محمد عوض محمد : مرجع سابق ، ص ٣٣١ .

(١٧) أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ٥٨ .

ومن هنا تكون قد أضيفت دماء جديدة الى قاعدة السكان التى كانت منتشرة فى جماعات متباعدة عن بعضها البعض فى شكل تجمعات اشبه ما تكون بالقرى الصغيرة قرب موارد المياه وربما يكون ذلك الوضع السكانى قد بدأ يأخذ شكله التكوينى الجنسى خلال ألف عام فقط ما بين الالف الخامس والرابع قبل الميلاد(١٨) ٠

ونحن نسلم بكل النظريات التى حددت شخصية الانسان المصرى الاول قبل خمسة آلاف سنة قبل الميلاد فى وقت لم يكن هناك سكنى فى أوربا بل كانت تعيش عصر الجليد الذى لم يكن قد انتهى بعد وكان البحر المتوسط كتلة من جبال الجليد ولم يكن يساعد على تحرك الانسان شمالا رغم القول بالعثور على انسان نياندرنال Neanderthalers فى المانيا ونحن نسلم أيضا بالقول بأن انسان أوربا الاول تحرك من جنوب الصحراء الكبرى الى ساحل البحر المتوسط فكيف يعود مرة ثانية الى السواحل المصرية بالبحر المتوسط ومن ذلك قول بعض العلماء ان هناك مجموعات من المجموعة المتوسطة قد وفدت الى مصر ولكن لم يحدد لنا هؤلاء من أين أتى هؤلاء المتوسطون وما هى البلاد التى قدموا منها والمدن التى حددوا منها خطوات قدومهم ٠ بل ان هناك من يقول بأن العناصر المصرية الاولى كانت مغولية صفراء .و زنجية سوداء ونحن لا نميل الى الاخذ بنظرية شعبة البحر المتوسط وشعبة الجنس الاسود الزنجى والجنس المغولى الصفر لان ذلك القول لا ينطبق على الكتل الاخرى المغربية العربيه (سام ــ حام) التى هى نفس السلالة المصرية فكيف تقبل عقلية القول بالسلالة البحر المتوسطية والمغولية القوقازية الصفراء أو الزنجية السوداء بل ان هناك من قال مجموعة النوردى القزمى(١٩) ، كل هذه أقوال مغرضة ولم تقبل عقليا ولا علميا وليس لها أساس من الصحة ٠

واذا كنا نسلم بقدوم العناصر الاولى من الشرق الجنوبى عن طريق وديان الصحراء الشرقية فان ذلك المصدر لم يكن بالتحديد واليقين هو

(١٨) جمال حمدان : مرجع سابق جـ٢ ٠ ص ٢٥٨ ٠
(١٩) جمال حمدان : المرجع السابق جـ٢ ص ٢٦٥ ٠

المصدر الاساسى والاكثر استخداماً لانه ليس من غير المعقول أن تعمر مصر فى تلك العصور بجنس كامل عن طريق بحرى يدور حول كل الجزيرة العربية لكنه كان احد المصادر الهامة ، بل ان طريق وادى الحمامات وغيره من الوديان لم تكن المدخل الهام والاساسى لمصر بل كانت مداخل اضافية فى حين ان الطريق البحرى عبر الهلال الخصيب هو الطريق المعروف والمأهول والمطروق منذ فجر التاريخ وكذلك هو الطريق الذى عرفه الغزاة والعابرين ومن ثم كان يؤدى الى الطريق الرئيسى الذى سلكته الهجرات الى طريق سيناء لانه مما لا شك فيه كانت القنطرة الثانية المفتوحة للهجرات السامية العربية الى مصر منذ القدم(٢٠) ٠

لكن فى هذا المجال أيضا نجد الاثرى فالندريترى يقرر أن العناصر التى قدمت الحضارة المصرية فيما يعرف بحضارات الاسرات الفرعونية أو العصر الحجرى الحديث بأنها حضارة قوم وافدون على اخوانهم الذين سبقوهم فى الهجرة عن طريق وادى الحمامات وان هذه الاجناس كانت سامية ، أسيوية آتت عن طريق البحر الاحمر ودخلت عن هذه الوديان وهكذا كان هذا الجنس الجديد لا يمثل فقط ظاهرة جنسية بل ظاهرة حضارية ودلت على الاستمراريةالانثروبولوجية للعناصر الوافدة فى تكوين الفرشة العريضة للانسان المصرى فى تلك الاوقات من الزمن(٢١) ٠

ولم يكن فالندريترى هو الذى قال بنظرية قدوم العناصر السامية أو السامية الحامية من الشرق عبر وادى الحمامات لكن شاركه الرأى العديد من العلماء والذين منهم هنرى فرانكفورت الذى أشار بدوره الى شعب وادى الحمامات الذى سلك هذا الطريق أو الدرب عبر الصحراء الشرقية قادما من الجنوب الشرقى فى شكل هجرة جماعية كبيرة من البشر سوف يكون لها دورها الهام فى العصر الحجرى الحديث أو ربما فى عصور ما قبل الاسرات حيث سوف نضع هذه الجماعة رحالها وتستقر فى وادى النيل من جهة الشرق وتستوطن مصر نهائيا ويكون لها دورها فى ظهور

(٢٠) عباس عمار : المدخل الشرقى لمصر ٠ جـ١ ص ٩٢ ٠

(٢١) Peterie, F. : Migrations. J. R. A. I. Vol. 3b. ; p. 12.

حضـارات العصر الحجرى الحديث ثم تواصل نشاطها الحضارى بظهـور حضارات الاسرات الفرعونية ٠

ومهما يكن الحـال فى هذه الاقوال فمما لا شك فيه ان هذه الهجرات الجماعية القادمة بجماعات جديدة من السكان عبر جبـال البحـر الاحمر تخترق وادى الحمامات وغيره من الوديان الاخـرى وتشاركها كذلك بعض الجماعات الاخـرى الوافدة عبر باب سـيناء أو خليج السويس وتقيم على ضـفة النيل الشرقية ، لم تكن هذه الموجات الا اضـافة هامة وكبيرة لسكان مصر فى عصر ما قبل الاسرات ٠ وقد كان هؤلاء الوافدون والقاصدون الديار المصرية يفدون مسالمين وادعين يعيشون فى الوادى ويستقر هؤلاء النـاس ويحيون حياتهم العادية(٢٢) ٠

ومن هنا فانه يمكن القول بلا جدال ان العلاقة بين مصر منذ اقـــدم عهودها والجزيرة العربية وغرب آسـيا كانت موجودة منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد(٢٣) ، لكن هناك ما أجمع عليه العديد من العلماء من أن أقدم ما يذكره التاريخ عن هذه العـلاقة هو ما تم مع نهـاية عصر ما قبـــل الاسرات أى حوالى ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد فالمعروف ان اقواما ساميين من عرب آسـيا غزوا وادى النيل حينذاك (اقوال يترى ، فرانكفورت) وأخذ بعض التغيير يدخل على الشعب المصرى (السامى ـ الحامى) الجميع قادمون من الجزيرة العربية ، الذى يعيش حـول النيل ما بين البحر الابيض وأسوان لاسيما فى الجـزء الشرقى من النيل والناشىء من طبيعة البلاد نفسـها لان العنـاصر الجـديدة التى دخـلت البـلاد كانت لهـا مميزات خاصـة(٢٤) ٠

وعلى هذا فانه ليس فى مقدور الباحث أن يعين عدد من الموجـات المهاجرة التى دفعت بهـا بلاد العرب الى مصر فى العصور الفرعونية ، ذلك لان تحـديد هذه الهجرات وحصرها فى تلك الفترة السحيقة فى القدم أمـر

---

(٢٢) محمد عوض محمد : مرجع سابق ٠ ص ٣٣١ ٠
(٢٣) ماكيفيدى ٠ ك : مرجع سابق ٠ ص ٣٥ ٠
(٢٤) عبد الله خورشيد البرى : مرجع سابق ٠ ص ٨ ٠

عسير المنال اذا عرفنا ان تاريخ مصر القديمة ، على الرغم مما وصل اليه العلماء من تقدم فى دراسته لا يزال ينتظر الكثير من الكشوف التى توضح الكثير من الغموض حول هذه العلاقة(٢٥) وان كان ماكيفيدى · فى كتابه أطلس التاريخ الافريقى الذى صدر عام ١٩٨٧م قد أوضح بالدليل انه منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد كانت هناك جماعات بيضاء سامية قادمة من شبه الجزيرة العربية قد سكنت وادى النيل فيما يسمى بالمصريين وعلى هذا فان العرب سكان شبه الجزيرة العربية هم الممثلون الرئيسيون لما يسميه أويجن فشر Fisher بالجنس الشرقى وهو ذلك الجنس الذى يمتاز بالرأس الطويل والوجه الضيق والانف الاقنى ، كما يمتاز بالقامة الطويلة ويوجد فى مؤخرة الجمجمة نتوء شديد وهو ضرب من الجنس السائد فى شمال افريقية ومصر والذى انتشر فى بلاد العرب وغرب آسيا وفى ساحل افريقيا الشمالى وبعض أطراف افريقية الشرقية ·

وهكذا نجد كارل بروكلمان لا يتعارض بل يتفق مع كل الآراء التى اجمعت على أن هذه المجموعة تنتمى الى جنس واحد مهما تباعدت الاماكن وانهم قادمون من جزيرة العرب(٢٦) ·

وهكذا قد فرض الوضع الطبيعى على الجزيرة العربية نوعا من العزلة الجغرافية النسبية ولما كانت هذه الجزيرة التى تحيط بها المياه من ثلاث جهات والرمال من الجهة الرابعة من أشد البلاد جفافا وحرا فى نفس الوقت فقد أصبحت بيئة غير جاذبة أى لا تملك الاغراء الكافى الذى يحبب الآخرين الى الانتقال اليها والسكنى بها وممارسة أمور الحياة اليومية بها · وهكذا لم تخضع هذه البلاد للفتح أو الغزو ولم ينجح أحد فى اختراق الحواجز الرملية فظل سكان الجزيرة كما هم طيلة أزمان التاريخ(٢٧) ·

---

(٢٥) عبد المجيد عابدين (محقق) : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب · ص ٧٧ ·

(٢٦) بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الاسلامية جـ١ · ص ١٢ ·

(٢٧) فيليب حتى : تاريخ العرب جـ١ ص ١٨ ·

ولكن هذه البلاد قد أصبحت من جهة أخرى بيئة طاردة تدفع سكانها عنها فى الاتجاهات المحيطة بها والتى لا شك ان مصر كانت دائما وأبدا من بين هذه البلاد التى كانت تتجه اليها هذه الحشود والجماعات العربية حيث كانت الجزيرة تدفعهم وترغمهم على الخروج منها كلما تضخم عددهم وتجاوزت حاجاتهم نظرا لعدم توافر ما يحتاجون اليه فى هذه البيئة الفقيرة الجدباء ولم يعد أمام سكان هذه البلاد من بديل سوى الهجرة أو التناحر الدموى من أجل امتلاك المصادر والموارد الطبيعية (العشب والماء) وكانت ظاهرة ازدحام الجزيرة بسكانها كخزان هائل فاض بما فيه فكان هذا الخزان يدفع كل ألف سنة بهجرات مكثفة تؤدى الى خروج العرب من جزيرتهم فى شكل هجرات أو موجات متعاقبة وكان السكان الذين تحتم عليهم الظروف أن يبحثوا عن مجال حيوى جديد يعنى بعضهم فى البقاء فى ظل الاوضاع السائدة فى الجزيرة العربية ويتكون شعور عام بفكرة الارتحال ويزداد الاقبال على الهجرة(٢٨) ٠

وهكذا كانت مصر احدى الجهات التى تلجأ اليها هذه السلالات أو الجماعات العربية العديدة عبر التاريخ الطويل لوادى النيل على مدى آلاف السنين وان تلك السلالات قد نزلت أرجاء الوادى على مر العصور وانها أضافت عناصر جديدة الى السلالة السامية القديمة لم تكن من قبل ممثلة فى جمهرة السكان ، ولكن رغم كل هذا فان البحث الانثريولوجى عن سكان مصر لم يحظى الا بالقدر اليسير(٢٩) وان كانت هناك أبحاث ودراسات مثل أحمد البطراوى وموررانت وطومو وماكيفر ، درات اليوت ، سميث ، فيرتشنسكى وغيرهم الكثيرين من رجال البحوث حول الانسان المصرى الا انها قليلة وان كانت جميعها لم تتفق على رأى واحد وان كانت معظم هذه الدراسات قد اتفقت على ان الانسان المصرى القديم سامى حامى حيث ان تاريخ مصر الجنسى بالقطع من سلالة واحدة وان هذه قاعدته الجنسية وتكوينه الجنسى فى فترة الآلاف الخمس قبل الميلاد(٣٠) حيث ان هذه العناصر التى كانت تدخل البلاد من الاقطار

---

(٢٨) عبد الله خورشيد البرى : مرجع سابق ص ٤ ٠
(٢٩) محمد عوض محمد : مرجع سابق ص ٣٢٨
(٣٠) جمال حمدان : مرجع سابق جـ٢ ص ٢٥٨ ٠٠

المجاورة سواء كانت أفـراد أو جمـاعات مسـالمة مثلما كان يشـبه تلك الهجرات الاوربية عندما تم اكتشاف بلاد العـالم الجديد (قارات أمريكا الثلاث) اذ تاخذ بعض الجماعات فى الترحال ثم يلحق بهم آخرون ثـم يزداد عدد المهاجرين الذين يستقر بهم المقـام ، ثم يستقر القادمون الى مصر ويندمجوا مع السكان على مدى القرون وهؤلاء هم العنصر الذى يؤثر فى تكوين السكان لانه يدخل البلاد فى هدوء وصمت ولا يثير عداوة ولا يقوم بتخريب ولا تدمير(٣١) ذلك لان هذه الهجرات تتغلغل وتسرى غالبا فى انحـاء مصر فهى هجرات كلية ويكون تاثيرها الجنسى محققا وذلك فى وقت لم تكن فيه حواجز عنصرية أو لونية أو وعى قومى بالمعنى المفهـوم ولم يكن فى تلك الازمان وسـائل كافية لاجتياز البحر فلم يكن امام هـذه الهجرات الجماعية اذن سوى الالتجـاء شرقا الى بلاد الرافدين أو غـربا الى شـبه جزيرة سـيناء ومنها الى وادى النيل الخصيب(٣٢) ٠

وهكذا كانت مصر فى تاريخها الطويل ومنذ عهد النشأة الاولى تفد اليها عناصر من جهات الجنوب الشرقى والغرب لكن الجهة الشرقية بصفة خاصة هى العنصر المؤثر والفعال والقوى وصـاحب الفرشـة العريضـة لهـذا الشعب وأكبر الظن أن الوافدين من الشرق بدأوا قبل التاريخ المكتوب أى فى قبل عهد الاسرات بزمن طويل جـدا بل فى وقت متقدم جـدا وقـد دامت الهجرة واتصلت فى كل عصر حتى أصبحت مصر وجزيرة العرب مرتبطتين بأقوى الوشائج ٠ ثم ماذا الم تكن شبه الجزيرة العربية ملتصقة بالقارة الافريقية منذ ثلاثة ملايين سـنة ولم يكن هناك بحر أحمر أو خليج عدن ولم يكن هناك خليج أو برزخ السويس(٣٣) ٠

بل كانت مصر وبلاد العرب كتلة واحدة كما ظهر فى خريطة العالم منذ أكثر من ١٧٥ مائة وخمس وسبعون مليون سنة(٣٤) ٠

(٣١) محمد عوض محمد : مرجع سابق ٠ ص ٣٢٩ ٠
(٣٢) فيليب حتى : مرجع سابق جـ١ ٠ ص ١٢ ٠
(٣٣) ماكيفيدى ٠ ك : مرجع سابق ٠ ص ٢١ ٠
(٣٤) أنظر خريطة العالم منذ ١٧٥ مليون سنة (ماكيفيدى ٠ مرجـع سابق ٠ ص ١٧ ٠

وهكذا فان عروبة مصر التى تحمل عنوان هذه الدراسة ليست ظاهرة حديثة ولا ترجع الى الفتوح الاسلامية بعد أن أصبحت مصر جزء من الدولة الاسلامية ، بل انها ترجع الى ما قبل التاريخ المسجل والمكتوب(٣٥) ٠

وقوية وان كانت قد داخلتها بعض الدماء فى فترات تاريخية متأخرة ولكن على أى حال فقد كان المصريون القدماء سلالة قادمة بالقطع الى وادى النيل وانهم عنصر سامى عربى مع تسرب بعض الآثار السلالية اخـــرى لكنها لم تستطع أن تغير التركيب الجنسى للمصريين وحدث الاختـــلاط بين الفرشة العريضة السامية العربية واذ كانت بعض الدراسات قـــد أشــارت الى أن العنصر الحامى هو الوافد الاول وقلنـــا انه قادم من شرق افريقيا رغم انه كان يتوطن فى جنوب شرق الجزيرة العربية ثم اســتقر فى منطقة القرن الافريقى واســتدار مع البحر الاحمر وصولاً الى مصـــر الا ان بعض الدراسات الانثربولوجية وكذلك الاركيولوجية تشير الى أنه قد تكون الجماعات الحامية الاولى ربما قد اختفت اذ انقرضت وحلت محلها الجماعات السامية الثانية ، غير ان بعض الادلة تعرض من ناحية اخرى بأن ثمة السامية الثانية ، غير ان بعض الادلة توصى من ناحية اخرى بأن ثمـــة استمرارية جنسية بمعنى ان هـــذه العناصر جميعها قد دخلت بدرجـــــة أو بأخرى وبصورة ما فى تكوين سكان مصر التاريخية(٣٦) ٠

وهذا يحزم بسامية العناصر الاولى فى تكوين الانسان المصرى القـــديم فى تلك العصور المشار اليها ٠

---

(٣٤) محمد عوض محمد : مرجع سابق ٠ ص ٣٣٢ ٠

(٣٦) جمال حمدان : مرجع سابق جـ٢ ٠ ص ٢٦٢ ٠

الفصل الرابع

لماذا مراكز الحضارة المصرية شرق النيل في العصر الحجرى الحديث

عرضنا فى الفصلين السابقين عن انه منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد كانت مصر مسكونة بعناصر بيضاء سامية قادمة من شبه الجزيرة العربية وانه منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد وفدت الزراعة من وادي الاردن وفلسطين الى مصر بعد أن كانت الزراعة قد عرفت فى منطقة الشرق الادنى خلال سبعة آلاف سنة قبل الميلاد وكيف زحفت هذه العناصر الى مصر منذ جفاف الصحراء وهبوط الانسان القديم الى وادى النيل وكيف ان هذه الجموع قد عبرت الطرق والوديان والمدقات الصحراوية من ساحل البحر الاحمر وصولا الى النيل وكيف ان ظهور العصر الحجرى الحديث قد شهد ظهور أربع مراكز حضارية لا جدال فى أنها كانت هى النواة الاولى لتطور الحضارة المصرية القديمة وقد قامت ثلاث من هذه المراكز الحضارية شرق النيل ومنها حضارة تاسا والبدارى بمنطقة مصر الوسطى بمحافظة أسيوط والحضارة الثالثة فى مصر السفلى فى محافظة قنا وهى عند ثنية النيل شرقا فى منطقة فقادة ، أما المراكز الاخرى فقد كانت فى مرمرة والفيوم(١) وهذين المركزين لم يكن لهما دور فى اثراء حركة الحضارة وتطور الانسان فى العصر الحجرى الحديث ولم تتضح صورة معالم حضارية لهما بل ربما اختفت نهائيا لانهم اتبعوا السير غربا وهاجروا وربما وصلوا بهجرتهم الى أماكن بعيدة قد تكون أوربا حيث أدخلوا حضارتهم الزراعية الحديثة فى هذه المناطق وان بقاياهم تشير الى انهم لم يكونوا جنسيا ساميا أو حاميا بل ربما تدل على جنس البحر المتوسط دون أدنى شبه ٠

---

(١) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ٠ ص ٢٨ ٠

ولقد كان ظهور مؤثرات حضارية متطورة منتشرة فى هذه المواقع الثلاث بصفة خاصة مؤثرا شرقيا عربيـا ساميا وان كانت هناك بقايا عظيمة فى أرجاء الوادى الا أن أقدم هذه البقايا الحضارية فى العصر الحديث كانت فى تاسا بالضفة الشرقية للنيل بالقرب من البدارى (تاسا حاليا قرية من قرى مركز ساحل سليم بمحافظة أسيوط) وتشير الدراسات ان الصفات الجنسية لاهل تاسا (يطلق عليهم الدكتور جمال حمدان (التاسيون) الذين عاشـوا بداية العصر الحـديث انهـم حلقة وصل فى تطــور الســلالات السـامية التى جمعت بين العنصرين المغـربى فى الجـــزائر والعنصر السـامى ممـا يوحى بأنهـم سـلالة سـامية بيضـاء وانهـم عاشـوا بين العصرين الحجريين القديم والحديث ، ثم بعد ذلك تطورت حضارة البدارى وهى أيضـا شرق النيل فى قلب صعيد مصر حيث كانت حضارتهم نموذجا للجنس السامى النقى حيث ان البشرة بيضاء والشـعر بنى قـاتم وكان سكان البدارى قادمون جدد الى وادى النيل ونظرا لقرب المسافة بين الموقع المكان بين دير تاسا والبدارى بحيث لا تزيد عن ثلاثة كيلو مترات فـأن أهل البدارى قد سيطروا على سكان دير تاسا وحلوا محلهم فى التقـدم الحضارى وأزاحوهم وسيطروا عليهم(٢) .

ويتبادر هنا سؤال حـول محـاولة التاثير بأن سـكان هـذه المنطقـة القادمين بالقطع من الشرق عبر الوادى الاسيوطى الذى يمتد من البحـر الاحمر الى هذه المناطق أن بعض الغربيين من المعادين لنظرية الكيان العربى السامى حاولوا ارجاع سلالة هذه العناصر الى عناصر زنجية أو خيـالا بل خيالا الى عناصر أوربية فى وقت كانت فيه أوربا لاتزال تعيش فى الجليد وهل كانت هناك حياة فى أوربا منذ ستة أو سبعة آلاف سنة قبل الميـلاد وهل انتقل الانسان الاول من آسيا وافريقيا الى أوربا عندما ذاب الجـليد وتمكن من عبور البحر المتوسط قبل أن يصبح منطقة يصعب عبورها بعـد تحـول الجـليد الى ميـاه ان الاوربيين يحـاولون ابعـاد كل شيء يمت بصلة قديمة الى مصر والاخوة العربية مع جزيرة العرب وشـمال افريقيا ، ثم لـماذا كان سـكان البدارى زنوج ان تحليل الشعر يثبت انه

---

(٢) جمال حمدان : مرجع سابق جـ٢ ، ص ٢٥٩ .

أسود أو بنى قاتم ولم يكن على الاطلاق خشن مموج وان البشرة بيضـــاء فكيف يكون الزنجى أبيض اللون وكيف يكونوا حاميين وليس زنوج وهم بيض الوجـــوه وكيف يذكر كون ٢٥٥٨ انهم موجة جاءت من الجنوب من قرب منابع النيل الازرق كموجة حامية مبكرة ما تزال بقاياها موجـــودة فى الحبشة والصومال وان كانت قد داخلتها هنـــاك ومنذ ذلك الوقت دماء زنجية كثيرة وانهم أقرب الى الصوماليين(٣) ٠

ثم يحاول كون أن يقول عن أهل البدارى فى العصر الحجرى الحديث ان بياض الوجوه يعود الى انهم اقرب الى سكان جزيرة سردانية بين الاوربيين وهل هذا منطق كيف تكون حركة الهجرة العكسية فى ظروف الجليد وعدم وجـــود حيـــاة على الاطلاق فى أوربا وكيف تم الوصـــول الى منـــاطق شرق النيل فى ذلك الزمن السحيق ان فكرة الجنس الاوربى لا تقبل عقليا ولا منطقيا كما ان فكرة انهم صوماليين قد يأخذ بهـــا مع بعض التحفظ اذا قلنا انهم عناصر حامية قادمة من جنوب شرق الجزيرة العربية واذا سلمنا كما جاء فى التوراة بأن الكنعانيين سكان فلسطين هم أبناء كنعان بن حام ابن نوح وربما قالت بعض الدراسات السامية القديمة انهم قبيلة سامية جاءت أصـــلا من الجزيرة العربية من الساميين الشماليين وان ســـكان البدارى كانوا ساميين أو حاميين من جنوب شرق الجزيرة العربيـــة ثـم استقروا فترة من الزمن فى القرن الافريقى واتجهوا شمالا بشرق على ساحل البحر الاحمر ثم انحدروا شرقا الى الوادى واستقروا فى البدارى حـــيث ظهرت أول حضارة مصرية عرفها التاريخ المكتوب(٤) ٠

وانه كما تقول التوراة ربما كانوا فى جنوب شرق الجزيرة العربيـــة ولكن كيف كان سكان العصر الحجرى الحديث فى البدارى بيض الوجوه وهم صوماليون ٠ ان الدماء العربية السامية والسحنة والانف المتوسط غير العريض نسبيا والفك غير البارز بوضوح يعطى الدليل القوى على انهـــم ساميون عرب ٠ ثـــم لمـــاذا شرق النيل بالذات ولمـــاذا هـــذه المراكز

(٣) جمال حمدان : نقلا عن

Coon. C. S. :Races of Europe. p. fol.

(٤) أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ٦٥ ٠

الحضــارية كانت بالوادى بالقرب من الوديان التى تتصل بالبحر الاحــمر الذى ربما كان بحيرة غير متصلة بالمحيط الهندى فى ذلك الوقت ولم تكن هناك مواقع تحــول دون قدوم أقوام وافدة من الشرق ، ثم لمــاذا الصلة مع افريقيا الاستوائية والمدارية وليس مع الجزيرة العربية الاقرب مكانا والاكثر طردا والاقل خطورة فى الحركة ولا توجد موانع طبيعية تحــول دون الوصول الى مناطق ظهور هذه المراكز الحضارية حيث الوديان التى تصل الوادى بالبحر الاحمر والتى ظهرت على أطرافها هذه الحضــارات ، ثم نأتى بعــد ذلك الى المنطقة الثــالثة لنؤكد بالدليــل الواضح ان هــذه الحضارات قادمة من الشرق حيث ثنية النيل نصف الدائرة فى منطقة قفادة وتقارب هذه الثنية التى تشبه نصف دائرة الى الصحراء الشرقية بالقرب من وادى الحمامات حيث تظهر حضارة نقــادة فى قنــا لتؤكد أن أهل نقــادة قادمون من الشرق وان كان فى أقصى تقــدير قادمون من الجنوب الشرقى ٠ نحن حتى تلك اللحظة لم نتطرق الى ســيولة الحــركة العربية السامية عبر باب ســيناء وخليج السويس لان ذلك سوف نركز عليــه عنــد الحــديث عن مصر العربية الفرعونية فى عهد الاسرات وكيف كانت الهجرات العربية عبر تاريخ مصر الفرعونية ٠

وعلى هــذا فقــد كانت حضــــارة تاســا والبــدارى وما تلاها من حضــارة مرمرة والفيــوم التى انقرضت وحضــارة نقــادة عن ثنية نهــر النيل فى الاتجــاه الشرقى عند قنــا هى معــالم الحضارات المصرية فى العصر الحجرى الحديث(٥) والسلالة البشرية المصرية فى عصر ما قبل الاسرات ولقد كانت تلك المعــالم الحضــارية التى ظهرت فى نقــادة بقنــا تتشــابه فى كثير من النواحى الحضــارية مع حضارة أهل البدارى وان كانت تختلف عنهــا فى بعض الجوانب الحضــارية الاخــرى حيث ان التشابه فى كثير من الاوجه كان كثيرا بينما الاختلاف كان اقل مما يعطى الدليل القوى عــلى أن الاصول السلالية قد تكون واحــدة مما يجعلهم فى واقع الامر من أصول سلالية وعرقية وتناسلية وجينية ان لم تكن واحدة أو مترابطة فعلى أقــل تقدير تكون سلالة متقاربة(٦) ٠

---

(٥) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ٠ ص ٣٤ ٠
(٦) سليجمان : مرجع سابق ٠ ترجمة يوسف خليل ص ٦٨ ٠

وان كانت الصفات السلالية لاهل نقادة تبين انهم كانوا طوال القامة اكثر قليلا من سكان البدارى والانف ضيق وبروز الفك أقل اما الرأس فطويل ويخلو تماما من عرض الرأس ويبدو ان اعدادهم كانت كثيرة وربما يكونوا قد بسطوا سيادتهم وفرضوا نفوذهم على سكان البدارى(٧) ٠

وهذه القسمات فى البنية الجسمية تعطى الدليل على انهم ساميون قادمون من الشرق وليس كما تصور البعض من الاوربيين بأن القشرة السكانية التى كانت تكون الانسان المصرى لا توجد لها أدنى صلة بالجنس السامى او الحامى نظرا لما يسعون اليه من خدمة أهدافهم فى ابعاد العناصر الواحدة بعضها عن البعض وان كان بعضا منهم قد قام بدراسة على جماجم بشرية من مقابر حلوان اتضح من خلال تلك الدراسة رغم ان حلوان ايضا فى الشرق من النيل ان حوالى ٥٠٪ ينتمى الى النوع الحامى و ٥٠٪ الى الجنس السامى ومهما يكن القول فان كل هذه العناصر قادمة من الجزيرة العربية قبل ان تتكون الوحدة المصرية ويتم ظهور الكيان المصرى الواحد ٠

وقد أشار الدكتور جمال حمدان الى أن أحمد البطراوى فى دراسة له عن انثريولوجيا الجنس المصرى القديم والعلاقات بين سكان مصر القديمة وبلاد النوبة قد انتهى الى أن الشعب المصرى قبل عصر الاسرات كان يتكون من مجموعتين مجموعة الشمال وهى التى تعيش فى مصر الوسطى ومجموعة الجنوب وكانت تعيش فى مصر العليا وكيف ان مجموعة الشمال أخذت تتوغل جنوبا حتى ظهرت فى طيبة ومن ثم تم الاختلاط بين المجموعتين الى أن أصبح سكان مصر العليا وسط من الناحية الانثريولوجية بين شعبى الشمال والجنوب وهكذا ساد عنصر مصر الوسطى بعد أن أخذ يتوغل نحو الجنوب وتراجع العنصر الجنوبى نحو بلاد النوبة وربما اكثر جنوبا وان تخلفت منه بعض البقايا فى صعيد مصر بينما كان عنصر مصر الوسطى يزحف مع النهر حتى سار سائدا فى كل انحاء القطر المصرى ٠

---

(٧) جمال حمدان : مرجع سابق جـ٢ ٠ ص ٢٥٩ ٠

وهكذا فانه مع بداية عصر ما قبل الاسرات يتضح أمام أعيننا حقيقة تفرض ذاتها تلك هى ان الانسان العربى القديم : ذلك الانسان الذى كان هو المصدر الاصيل والمنبع النقى لتلك الشعوب التى استقرت منذ أزمان بعيدة فى بلاد الرافدين والهلال الخصيب وبلاد الشام ، ومصر القديمة وكان السبب فى ظهور تلك الحضارات الخصبة الزاهرة التى منحت الانسانية أعظم وأنقى ما فى تراثها من دين وعلم وفن وعلوم متطورة وهكذا كانت الحضارة المصرية وحضارة الشرق القديم هى التى قدمت للانسانية أقدس وأجمل ما أبدعه الانسان(٨) ٠

وهكذا يتأكد لنا بظهور تلك المراكز الحضارية فى مصر الوسطى والعليا وفى مرمرة والفيوم ما يعطى الدليل القوى على ان وجود هذه الحضارة شرق النيل وليس غربه وانها استقرت فى الوادى قادمة من الشرق وان كانت مرمرة والفيوم غربا فان ذلك يجعلها من الفرع السامى أو الحامى الذى اتجه غربا منذ أقدم العصور الى بلاد الشمال الافريقى وان الاصول السامية أو الحامية القادمة من الجزيرة العربية والتى انحدر منها المصريون القدماء فى عصور ما قبل الاسرات يجعلنا نقول يقينا لا شك بل تأكيدا ان كل الاقوال التى حاولت أن تباعد بين الاصل السامى أو السامى الحامى للمصرى القديم لا تستند على دليل علمى أو واقع جغرافى أو سكانى بل واقع بشرى فان العصر الحجرى القديم أو الحجرى الحديث أو عصر ما قبل الاسرات أو قبل التاريخ المكتوب عندما كانت أحداثه تدور حول وادى النيل والشرق الادنى القديم فى بلاد الرافدين وجزيرة العرب ومنطقة الهلال الخصيب كانت كل مناطق العالم القديم فيما عدا الشمال الافريقى وبصفة خاصة اوربا التى كانت مغطاة بالجليد فى تلك الفترة الزمنية السحيقة التى يصل عمقها الى خمسة أو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ٠ وانه اذا أخذنا بالاقوال الاخرى فنحن نؤيدها بل ندعمها وان كانت هذه الاقوال تذكر ان المصريين القدماء شعب أصيل فى بلاده منذ الزمن السحيق وانهم عناصر سامية بيضاء وانه أحدى ثلاث فروع تفرعت غربا وشرقا وان المصريين كانوا الفرع الوسط الذى

---

(٨) أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ١٦ ٠

يسكن وادى النيل وان المصريين القدماء الذين عاشوا قبل الاسرات هم شعب سامي حامي بل جنس متجانس أساسا فى حضـارته وتركيبته وانه مـع هذه المعالم الحضـارية التى كانت مقـدمة لعصر الاسرات وتوحيـد القطر المصري يعطى الدليل بأن احتمالات الاختلاط قد بدأت تقل وان ظهور حكومات وكيانات محلية أو قيام ما يشبه المناطق المترابطة المتواجدة على ضفة النيل والتى كانت تكون بلادا عديدة مستقلة كل منهـا عن الآخـر وتنتشر فى أرجاء الوادى فى شكل جماعات بشرية(٩) ٠

وانه لا جدال فى أن طبيعة مصر الجغرافية والمكانية التى قل أن يكون لها مثيل فى العالم فوادى النيل كما نعـلم تحف به الصحـراء من الشرق والغرب وتمتد تلك الصـحراء شرقا عبر شـبه جزيرة سـيناء والى جزيرة العرب ولا تنتهى الا عند شواطىء المحيط الهندى وتمتد الصحراء غربا حتى شواطىء المحيط الاطلسى مكونة منطقة واحـدة ومن هنـا كان اهتمام الكثير من العلمـاء بالبحـث عن تاريخ الشعب المصرى القـديم نفسـه الذى نشـأ وتكون على مدى آلاف السنين فى أكناف الوادى وافدا من الجزيرة العربية والذى كان يعيش على حافة الوادى(١٠) بل انه لا يوجد أدنى مجـال للشك أو التـأويل فى أن طـريق سـيناء كان طريقـا مفتوحا بل قنطرة مأهولة ومطروقة وممرا لا ينقطع سـيل عبوره والهجرة منـه الى مصر منذ القدم حيث كانت الهجرات العربية تتخذه الطريق الرئيسى والاساسى فى عبورها الى الاراضى المصرية سواء فى الانسياح غربا عبر الدلتـا وصـولا الى المناطق البعيدة أو الانحـدار فى الصحراء الشرقية متخذة الوديان وصولا الى وادى النيل وهـذا مؤكد علميا وتاريخيا على أن طريق سـيناء كان القنطرة العربية المصرية التى تصل شـمال بلاد العـرب مع وادى النيـل الخصيب ، بل ان التبـاين والفوارق الهائلة فى الثروة والغنى بين شـمال بلاد العرب والمنطقة الواقعة الى جانب من سـيناء وهى فقيرة مجدبة وبين ذلك القطر الغنى بزراعته المعروف بخصوبته وعظم انتـاجه منذ فجر التاريخ كان عاملا هاما بل قويا وثابتـا لاجتـذاب العنـاصر البدوية الى مصـر ٠

---

(٩) جمال حمدان : مرجع سابق ٠ ص ٢٦٣ ٠

(١٠) محمد عوض محمد : مرجع سابق ٠ ص ٣٢٩ ٠

حيث كانت تلك العناصر التى تدخل البلاد فى هدوء هى ألتى تؤثر فى تكاين السكان(١١) ٠

ويذكر جيمس هنرى برستدان فى الفترة ما بين أربعة آلاف عام وثلاثة آلاف وخمسمائة وفدت الى مصر هجرة عربية كبيرة لم تتفق الآراء حول سلوكهم طريق شبه جزيرة سيناء وبرزخ السويس أو طريق الصحراء الشرقية واستخدام الوديان التى تصل البحر الاحمر بنهر النيل ، لكن مهما يكن الاختلاف فى الرأى فى الطريق الذى سلكه هؤلاء المهاجرين فان الاقرب الى الذهن انهم أتوا من شبه جزيرة سيناء كما فعلت كل الهجرات العربية السامية التى دخلت مصر فى عصور لاحقة بدءا من عصر الاسرات وصولا الى عصر الفتح الاسلامى وظهور الانوار القرآنية فوق الارض المصرية التى مضى عليها أربعة عشر قرنا وستظل أبد الدهر منارة الاسلام والازهر الشريف وكعبة العرب والمسلمين ومنهل العلم مهما تكن الاحوال (راجع كتابنا دور مصر الحضارى فى افريقيا ، موسوعة المغرب العربى الجزء الاول) ولهذا فان هذه الموجات المهاجرة عبرت سيناء عن طريق الاردن وفلسطين فى غير عنف أو قتال أو بغى أو سيطرة وانهم وصلوا الى جميع انحاء البلاد بنجاح شيئا فشيئا ويبدو ان هؤلاء المهاجرين كانوا أرقى مدنية من المصريين الاصليين أصحاب البلاد الذين لم يعرفوا الآلات والاوانى الحجرية (عرفت بلاد الشرق الادنى القديم الاردن وسوريا وفلسطين الزراعة قبل سبعة آلاف سنة من الميلاد بينما عرفها المصريون قبل خمسة آلاف سنة من الميلاد ٠ كولين ماكيفيدى) وقد عمموا لغتهم فى مصر وأدخلوا معرفة المعادن وبخاصة النحاس كما انهم ادخلوا عبادتهم للاموات ودياناتهم وكتاباتهم وفنونهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية، لكن كل هذه الاضافات السامية الاسيوية لم تكن فى الواقع لتطغى على حضارة البلاد الاساسية وان النازحين لم يكونوا من الكثافة السكانية والتعداد البشرى بحيث يتعادلوا مع السكان الاصليين او يقاربوا تعدادهم لكنهم كانوا أعدادا قليلة بالنسبة لحجم السكان المصريين الاصليين ، لذا

---

(١١) المقريزى : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ٠ ص ٧٧ ٠

سرعان ما اختلطوا بهم واندمجوا فيهم وتطبعوا بطباعهم ولم يؤثر النازحون فى تغيير شىء كبير فى أوجه الحيـاة المصرية اليومية • وبذلك يرجح انه كان هـذا الزحف السامى العربى يمثل نوعا من الغزو الحضارى دون أن يكون له معزى مادى(١٢) •

وهكذا يكون المصريون على علاقة قريبـة جـدا بالشعب السـامى لكن علاقاتهم مع الحاميين السمر ربما كانت أقرب واكثر مباشرة وانه حتى عصرنا الحديث فان المصريين مرتبطون بسكان وادى النيل السودان بطول وادى النيل ولكن لعـل أوثق قرابة لهم هى مع الليبيين الذين يترامون غرب الدلتـا المصرية بطـول سـاحل البحـر المتوسط ، ثـم انه لـمـا تحـولت الهضاب المحيطة الى صحراء واتجهت مختلف الجماعات الى أوطان جديدة فى وادى النيل وعلى سـاحل البحر الاحمر والبحر المتوسط بدأ المصرى يعرف حـدود بلاده وأصـبح مصرى ما قبـل الاسرات منفصـلا عن سائر أعضـاء جنسـه الواحـد مع الليبيين غربا ومـع السـاميين وجمـاعات البحر الاحمر شرقا(١٣) •

الا ان طريق سـيناء استمر صـلة الوصل والربط بين مصر وسائر بلاد الشرق الادنى القديم دون انقطاع اضـافة الى طريق البحر الاحمر وطريق باب المندب الذى كان من السهل عبوره وأسهل مما عليه الآن حيث ان المسافة بين شاطىء باب المندب كانت ضـيقة فى العصور القـديمة وكانت الجزر التى تتوسطه تكاد تكون متصلة بحيث انه لم يكن يشـكل عائقا بحـريا يمنع صلة الوصل بين سكان جنوب الجزيرة العربية وبين سكان القرن الافريقى حيث ان القرن الافريقى كان صـلة الربط والوصل بين الجماعات العربية السامية والحامية القادمة من الجزيرة العربية بعد أن تستريح قليلا فى القرن الافريقى فانها تتخذ طريقها شمالا وتدور دوره مع ساحل البحر الاحمر حتى تجد المنافذ البرية التى تصلها بالوديان التى تنتهى بنهايتها فى الوادى عند تاسا والبدارى ونقادة •

---

(١٢) برستد : مرجع سابق ص ٦٩ •
(١٣) جمال حمدان : مرجع سابق • ص ٢٦٦ •

الفصل الخامس

المصرى القـديم قبل عصر الاسرات
(ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد)

من المسلم به ان الجنس السامى والحامى هما من أصل واحد مشترك وان هذا التفرع لم يحدث الا منذ فتـرة حديثـة للغـاية وان كانت اقـدم من نوع الحاميين الشرقيين (مصر) والشماليين (شمال افريقيا) حيث يرى سلجمان فى كتابه السلالات البشرية فى افريقية ان المصريين القدماء ينتمون فى فرشتهم العريضـة الاولى الى الحاميين الشرقيين وان الحامية تتشابه بقدر كبير مع السامية الى حـد اعتبار ان السامية والحـامية مجموعة كبرى واحـدة وربما يكون الحاميين قد هاجروا من القـرن الافريقى شمالا بعد أن قدموا من جنوب شرق الجزيرة العربية ثم تحركوا شمالا الى مصر مع البدايات الاولى لعصر الجفاف ثم جـاءت بعـد ذلك الموجات السامية ، ومن هنـا فان مصر قبل الاسرات قد عمرت بموجـات بشرية من مصدر شرقى جنوبى عبر طريق وادى الحمامات فى النهاية .

ويذكر ثميث Smith ، ليون فى كتابه المصريين القدماء ان المصرى القديم فى عصر ما قبل الاسرات كما يبدو من صفاته الطبيعية انه كان بيضـاوى الوجـه طويلا وغيرها من الصفات الاخـرى التشريحية التى توضح ان المصرى القديم فى عصر ما قبل الاسرات كما أشـار الى ذلك سلجمان أيضا ان الجماجم التى عثر عليها منذ ثلاثة آلاف سـنة قبل الميـلاد فى المغـرب وليبيا وجميع البربر من ليبيا شرقا الى اقليم الاطلس غربا تشبه جماجـم مصرى ما قبل الاسرات وان مصرى ما قبل الاسرات يشبه الى اليوم بربر المغرب والمجموعة السامية فى الجزيرة العربية أو غرب آسـيا العربيـة هـذه هى اقوال علماء الانثربولوجيا الغربيين من أمثـال اليـوت سميث ،سـجلمان وغيـرهم الذين يؤكدون نفس أقـوال كولين ماكيفيدى فى أن

المجموعات العربية الحالية الثلاث تعود الى سلالة واحدة بل يضاف اليهم أبناء السودان من البجة وأيضا الصوماليين ، ذلك لان النوبيين والصوماليين وعرب الجزيرة والمغاربة فى اصولهم الانثروبولوجية لم يكن التشابه بينهم لمرحلة زمنية معينة انما استمرار بقاء هذا التشابه عبر آلاف السنين(١) ٠

ولقد كانت الفوارق بينهم فى أساليب المعيشة ولذلك لم يترتب تغيير جوهرى فى تكوين السكان بسبب الهجرة المستمرة من جزيرة العرب التى لم تكد تنقطع فى أى وقت من الاوقات وقد التزمت الهجرات العربية الجانب الشرقى من مصر السفلى والعليا كما ان أكثر الوافدين من الجانب الليبى كانوا ينزلون فيما نسميه الآن مديرية الجيزة وفى الصعيد وهكذا يتألف سكان مصر من الجماعات الاولى التى نزلت الى الوادى وما اعقبته من نسل على مدى السنين ومن سيل لا ينقطع من المهاجرين من جزيره العرب وبعض النازحين من شمال افريقيا هذه هى العناصر الرئيسية فى التركيبة البشرية المصرية(٢) ٠

وبهذه الخلفية البشرية السلالية التى اشتركت فى تكوين مصر ، حققت مصر أولى انتصاراتها الحضارية بين البلاد الاخرى حيث استطاع المصريون أن ينشئوا نظام الدولة حين قام الملك مينا فى عام ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد على وجه التقريب بتوحيد مصر العليا (الوجه القبلى) مع مصر السفلى (الوجه البحرى) فى دولة واحدة ، وبلا ادنى شك أول وأقدم دولة فى العالم(٣) ٠

وهكذا ظهر اتحاد كل البلاد من أسوان الى البحر المتوسط تحت صولجان ملك واحد اتفقت كل المصادر التاريخية على انه الملك مينا

---

(١) جمال حمدان : مرجع سابق ص ٢٧٣ ٠

(٢) محمد عوض محمد ٠ مرجع سابق ص ٣٩٢ ٠

(٣) ماكيفيدى ، كولين : مرجع سابق ص ٤٠ ٠

وظهور المصريين القدماء الذين وضعوا كثيرا من العناصر الاساسية فى المدينة العالمية وقادوا العالم الى أول حضارة على وجه الارض(٤) ٠

ومن ثم فانه يمكن القول انه باتحاد الوجهين القبلى والبحرى انتقلت مصر من عصر ما قبل الاسرات الى العصر العتيق أو العصر الطينى (عصر التأسيس والبناء ٣٢٠٠ قبل الميلاد تقريبا) الذى يشمل الاسرتين الاولى والثانية وانه من المكونات الرئيسية للدولة فقد أصبحت هناك حدود دولة يدافع شعبها عن هذه الحدود وازدادت قوة الدولة نتيجة لاتحادها الذي كان له أثره الكبير فى البطش بالقبائل البدوية التى كانت تعبر الى البلاد من الشرق والغرب والجنوب ، لذا فاننا اذا نظرنا من ناحية الجنس والسلالة والتناسل للمصرى القديم فى فترة ما قبل الاسرات التى تكونت من اختلاط سامى حامى ، وقل سامى غالب وانقراض العناصر الحامية الاخرى نظرا للهجرة الكبيرة منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد فانه الوصول الى عصر الاسرات فى الثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وندرك ان مصرى ما قبل الاسرات هو مصرى العصر الفرعونى فهذا استمرار وامتداد لنفس الجنس والسلالة والصفات الوراثية والجينية والانثربولوجية ٠

ومن هنا اذا كانت قد دخلت مؤثرات أجنبية فى الدماء المصرية منذ عصر مبكر جدا فان ذلك ربما يكون فى الاسرة الحاكمة أو المالكة ، لكن الشعب المصرى بصفة عامة من حيث الانماط الجسمية والاشكال البنية والرسوم التى تشير الى صور مصر فى عهد الاسرات من الناحية الانثربولوجية هو امتداد لما قبل الاسرات حتى انه لا يكاد يكون هناك اختلاف عن صورة الانسان المصرى المعاصر وقد حفظت المقابر جماجم كثيرة وقد بحثت ودرست وتدل على انه لم يحدث أى تغيير على سكان مصر فى ظل وحدة الحكم فى البلاد ووجود النظام الملكى فى وقت مبكر لم يتح لاى بلد آخر ذلك لان الظروف الطبيعية قد تضافرت لتيسير الاتصال بين الشمال والجنوب وتبادل الافكار والآراء وتوحيد الاتجاه للبلاد كلها وقد كان الاتحاد فترة من الزمن يقسم البلاد الى مملكتين العليا

(٤) عبد الله خورشيد البرى : مرجع سابق ص ٨ ٠

فى الصعيد والسفلى فى الدلتـا ثم اتحدت الدولتـان فى دولة واحـدة فى وقت مبكر جـدا قبـل أن يكون فى العـالم أى شىء يشـبه مثـل هـذا الاتحـــاد(٥) ٠

ونظرا لكثرة الهجرة فان المصريين القـدماء استطاعوا أن يؤدبوا بدو الصحراء الشرقيين فى شبه جزيرة سـيناء ذلك لان الاقسام الشرقية من مصر ولاسيما المنـاطق المتصـلة بطور سـيناء ماهولة بقبائل عربيـة منذ زمن قديم وطور سـيناء نفسها موطن قديم من مواطن العرب ومن هنا ندرك لمـاذا اقام قدماء المصريين حصونا قوية متتابعة على حدود الدلتـا الشرقية(٦) بالقـرب من المنـاطق القريبـة من برزخ السـويس وكان برزخ السويس قديما يسمى (شور) وهو لفظ سامى معنـاه (سـور) ويعنى غالبا منطقة الحواجز المنيعة من القـلاع التى بنـاها الفراعنة عبر خليج السويس حيث كان العرب ينزلون الارض المصرية المحصورة بين نهـر النيل والبحر الاحمر وفى المنطقة الواقعة شرق النيل (مراكز حضـارات العصر الحجرى الحديث) وكذلك المناطق الواقعة جنوبى البحر المتوسط والمتصلة بطور سـيناء موطن سكنى العرب منذ القـدم ومن هنـا فـان العرب من قدماء سكان مصر منذ القدم لا كما يتصور العـامة والسـذج والمغرضين والذين لا يتعمقون فى دراسـة التاريخ القديم من أن العـرب دخـلوا مصر مع الفتح وانهم لذلك غرباء لا صـلة لهم ولا سلالة وجنس واحـد بينهم وبين المصريين قبل الاسلام(٧) ٠

ان العروبة فى مصر قديمة قدم أول انسان نشـأ على هـذه الارض وسكن الوادى بعد انتهاء العصر المطير زاحفـا الى أماكن الميـاه والصيد بينما اخوة لهم تحركوا غربا الى الشـمال الافريقى والآخـرين شرقا الى الجزيرة العربية وهذا ما تؤكده كل الاقوال والدراسـات الانثربولوجية من المنصفين الغربيين أمثال سجلمان واليوث سميث وكولين ماكيفيدى وغيرهم الذين يدركون عمق العروبة والسامية فى مصر القديمة منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد ٠

---

(٥) محمد عوض محمد : مرجع سابق ص ٣٢٧ ٠
(٦) عباس عمار : المدخل الشرقى لمصر ٠ ص ٩٢ ٠
(٧) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٠ جـ١ ص ٣٤٢ ٠

الفصل السادس

مصر الفرعونية عصر الدولة القديمة
والهجرات العربية

اكتمل المصرى القديم صفاته الانثريولوجية كاملة فى العصر الفرعونى ومنذ بداية عصر الاسرات وقد تدلت هذه الصفات فى الآلاف من الرسوم النقوش والتماثيل التى تحدد لنا المصرى القديم جنسيا ، ولقد كانت أيام الدولة القديمة التى تمثل عصر الاستقرار وهو عصر بناء الاهرام (٢٩٠٠ سنة قبل الميلاد) أيام سلام فى مجموعها ومع ذلك لم يخلو الامر بين الحين والآخر من كفاح ضد بدو الصحراء فى الجنوب والشرق وسيناء حيث يكثر العمران والرخاء فى مصر وتدل كل هذه الظواهر على ان الفراعنة المصريين كانوا يرقبون عن كثب كل تحركات هؤلاء الاقوام البدو الذين أطلق عليهم المصريين كلمة « عمو » والتى معناها عندهم بدوى أو عربى أو أسيوى وهم العرب الذين كانوا يطمعون فى الاراضى المصرية وما حولها(١) ٠

ويؤيد ذلك الرسوم والصور التى عثر عليها فى الآثار المصرية المتعددة والتى تشير الى هجرة الاعراب الذين كانت تضطرهم قسوة العيش وظروف بيئتهم الصعبة فى الاغارة على الاراضى الزراعية حيث تتاح لهم الظروف فى التسرب البطىء والغير معلن فى الاستقرار على حواف الاراضى الصحراوية قريبا من المناطق الزراعية ، بل ان هذه الهجرات عندما تأخذ طابع الكثرة والشدة فانها تهدد بقطع العلاقات التجارية الخارجية وما ينجم عنها من نضوب موارد الدولة ، ولقد كان المصريين القدماء يعملون على القضاء على كل حركة من هذه الحركات المهاجرة كما

---

(١) عبد الله خورشيد البرى : مرجع سابق ص ٩ ٠

كان الحـال فى سـيناء التى كانت منبعـا فياضـا لاستخراج النحـاس والفيروز وغيرها من المعادن التى يحتاج اليها المصرى القديم(٢) ٠

واذا كانت مصر الفرعونية قد حافظت على كيانها الجنسى وحمت حدودها وظهر طابع الدولة المحددة الحدود ذات القـلاع والحصون التى تحمى هذه الديار من الاغارة البدوية والعدوان الا ان عصر الاسرات فى أيام الدولة القديمة وعصر بنـاء الاهرام قد شهد ظهور بعض الصـفات الاجنبية القادمة من الشرق وهم الاسوييين الساميين الذين كان المصريون يشيرون اليهم باللون الاصفر الخفيف مع شعر أسود كثيف ملفوف وكذلك ظهور عناصر سامية ليبية كان يتم تصويرها باللون الابيض أو الافتح مع الشعر الاصفر والعيون الملونة وان هؤلاء الليبيين الذين كان بهم ميل على قدر كبير من الشقرة وهم شعب التمحو أو التحتو ، كذلك فان عصر الاسرات قد شهد أيضـا قدوم العموريين المعروفين فى تاريخ بلاد الشام حيث قدموا الى مصر اما عن الطريق الشرقى عبر سـيناء أو انهم اتجهوا الى نواحى أخـرى ثم قدموا شمال افريقيا ومنها الى ليبيـا ثم مصر ثم كان ظهـور هؤلاء العموريين فى شرق الاردن فى الالف الثالث قبل الميلاد بل ربما فى النصف الاول من الالف الثالث وذلك فى عصر الاسرة الثالثة فى الدولة القديمة وهـذا يشير الى عمق الروابط مع بلاد الشرق القديم(٣) ٠

وهذا يعطى الدليل القوى والاكيد على انه رغم ظهور الكيان المصرى الموحد والشعور القومى بالحفـاظ على الكيان الا ان حـركة الهجـرة السامية من الشرق والغرب (سواء من شبه جزيرة سيناء أو من ليبيـا بقايا الساميين القدماء الذين هم أصل واحـد مع المصريين لازالت تتسرب الى الاراضى المصرية كلما سنحت لهـا الظـروف أو ربمـا بسبب ظروف الزواج والمصاهرة التى كان يقوم بهـا قدماء المصريين حيث تشـير النقوش الى ابنة فرعون مصر العظيم الملك خوفو بانى الهرم الاكبر انهـا ظهرت فى الصورة بشعر أصفر محمر أصهب والبشرة بيضاء وانه ربمـا

(٢) سليم حسن : مصر القديمة جـ٢ ٠ ص ٢٤٩ ٠

(٣) أحمد فخـرى : مرجع سابق ٠ ص ١٤٢ ٠

تكون هذه الفتاة تعود الى أصول ليبية من حيث أمها وهذا يدل على أن الدماء المصرية قد خضعت لمؤثرات أجنبية وربما تكون هذه الدماء والمؤثرات الاجنبية قد ظهرت وأخـذت تنتشر وتتسع وتمتد نحـو الجنـوب وظلت على هـذه الحـال حتى أيام الدولة الوسطى واسـتمرت تتدفق جنوبا حتى وصـلت الى بلاد النوبة آخـر حدود مصر جنوبا ٠

بل ان هذه الهجرة الواسعة فى الدولة القديمة تؤكد ان الهجـرات السامية التى يتضح منها شكل الرأس اكثر عرضـا عما كان موجودا وان كان ذلك محـددا ولا يشكل بعـدا عن القاعدة العـامة فى الجيش المصرى قبل عصر الاسرات انما يعتبر هذا تعـديلا فى البنية السلالية والجينية وتطورات فى الاجنة حيث ظهور جينيات جديدة فى شـكل الرأس والوجـه وقد كانت هذه الهجرات قادمة من الشام(٤) وهى عناصر سامية استقرت بعضـا من الوقت بعد نزوحها من الجزيرة العربية قبل الانطلاق الى الديار المصرية بصورة مكثفة وصـولا الى قصى بلاد الصـعيد جنوبا حتى بلاد النوبة ، وهذا دليل على أن تأثير الساميين (أى العـرب) فى مصر فى تلك العصور كان قويا وفعالا من أن اللغـة المصرية القديمة لا تزال مثار خلاف بين العلماء هى سامية أم حامية أم مزيج من العنصرين(٥) ٠ بل اكثر من ذلك فهناك بعض الاقوال تذكر ان هذه الموجة المهاجرة قدمت من بلاد الشام وربما من سوريا وانها استوطنت مصر ، بل ذهبت هذه الاقوال الى القول أن هذه الموجة المهاجرة هى التى اخترعت الكتابة الهيروغليفية ، بل ان بترى ذكر ذان حضـارة الاسرات الفرعونية قد جاءت معها الحضارة وهى لجنس جديد غـزا الاراضى المصرية من الشرق وهم عراض الرؤوس وهو مصدر أسيوى ، لكن بترى أشار الى انه ربما يكون قادما من العراق ٠

ومهما تكن الاقوال بشأن هـذه الهجـرة الاسـيوية السامية سـواء اكانت قادمة من الشـام أو العراق فانهـا هجـرة سـامية قادمة الى مصر

---

(٤) جمال حمدان : مرجع سابق ص ٢٧٥ ٠

(٥) عبد المجيد عابدين : محقق كتاب البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ص ٧٧ ٠

فى تلك العصور ونلاحظ هنا ان هــذه الهجرات كانت هجرات سلمية وان مثل هذه الهجرات السلمية النشطة البسيطة كانت تحــدث باستمرار أيام قوة مصر وهيبة حكامها الفراعنة وهذه العناصر الوافدة فى عصر الدولة القــديمة كانت من ســوريا أو فلســطين أو الاردن والعــراق والجــزيرة العربية(٦) فانها هجرات سامية صميمة قدمت مصر لكى تنضم الى المصريين الذين هم فى الاصل سلالة سامية منذ ثمانية آلاف ســنة قبل الميلاد والذين قدمت اليهم الزراعة من الشرق منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد وها نحن الآن فى النصف الاول من الالف الثالثة قبل الميلاد حيث عصر الدولة القديمة التى حبــا الله فيهــا مصر بوفرة من موارد الخــيرات واســباب الحيــاة الكريمة مما جعلها تلفت نظر الطامعين فى الوصــول الى اراضيها حتى أصبحت قبلة كل من يريد العيش فى رفاهية وترف(٧) ٠

واذا كان بترى قد ذكر ان الســاميين هــم الذين اخترعوا اللغــــة الهيروغليفية فان غيره من العلماء يوافقه فى بعض من أقواله ويخــالفه فى بعضــا منها ومن ذلك قوله ان اللغة المصرية القــديمة تتشــابه بعض فروعهــا مع الســاميين بــل هى مجــرد خليط من الســامية البــربرية والكوشية ٠

وهكذا كان التسرب أو التسلل السلمى الهادىء البطىء المستمر غير الملحوظ الذى عرفته تخوم مصر عبر العصور بلا انقطاع والذى كان يشتد أحيــانا فى أعقاب الهجرات والغزوات وأحيانا أخــرى كان يحل محلها حــين تنقطع مثلما يسبقها جميعا من النــاحية التــاريخية وبينمــا كانت الغزوات تأتى من قريب أو بعيد كان التسلل قريبــا فى مصدره عادة حيث كانت تخــوم مصر المباشرة تشــهد هجــرة دائمة من الجزيرة العربية وبلاد الشام ومن ليبيــا ، لكن الجانب الاضعف كان من السودان ، ومن هنــا فان نظرة الى تاريخ مصر القديم فى الدولة القديمة نجــد ان الهجــــرات

---

(٦) محمد عوض محمد : مرجع سابق ٠ ص ٣٣١ ٠

(٧) ابراهيم نصحى : مصر فى عهد البطالمة (تاريخ الحضــارة المصرية ص ٤) ٠

السلمية كانت تسود أكثر من الغزوات العسكرية وكانت تحقق أهدافها أكثر من الغزو العسكرى الذى كان يتم طرده لانه جيش الغزو والعدوان ومن هنا كان الاثر الجنسى للغزوات الحربية محدودا للغاية فى الاساس(٨) .

ولقد كان توطن المصريين واهتمامهم بشبه جزيرة سيناء منذ عصر مبكر قد جعل هناك صلة ربط مستمرة ومساعدة على التسرب عبر الانتقال من مناجم النحاس والفيروز حيث كان بدو سيناء يبيعون هذه المنتجات الثمينة فى أسواق وادى النيل ، وتولى فراعنة الاسرة الاولى شئون التعدين فى سيناء وقد عثر فى آثار هذه الاسرة على أقدم رسوم تمثل البدو ، وفى الكتابات المصرية الاولى تتردد كلمة « عمو » والتى معناها اسيوى عربى(٩) .

وقد زار الملك زوسر مؤسس الاسرة الثالثة شبه جزيرة سيناء وعمل على استخراج النحاس وأحجار الزمرد ونقشت زيارته فى وادى المغارة شمال مدينة الطور الحالية وغزا سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة سيناء ونقشت أخبار حملته العسكرية على الحجارة وبنى حصونا ليلجأ اليها عمال المناجم الذين يعملون فى سيناء خوفا من هجمات القبائل العربية التى تمر عبر هذه الوديان أو تسكن بالقرب من هذه المناجم(١٠) .

وتدل الآثار والرسوم على وجود علاقات برية وبحرية سلمية وحربية بين مصر وآسيا وجزيرة العرب والعلاقات التجارية بين مصر والشام (سوريا) فى عهد الدولة القديمة من الحقائق التاريخية التى لا تقبل الجدل أو الشك ، بل هى أنماط مؤكدة وحقائق ترويها المشاهد التاريخية والآثار المصرية القديمة وان هذه العلاقات كان لها أثر فعال وقوى ومؤثر فى نمو مصر وتقدمها وهناك ما يحملنا على الظن أن بلاد

---

(٨) جمال حمدان : مرجع سابق ص ٢٨٠ .
(٩) فيليب حتى : مرجع سابق ص ٤١٠ .
(١٠) أحمد فخرى : مرجع سابق ص ٨٦ .

فلسطين الجنوبية كانت تابعة للفراعنة بعض الشيء ولاسيما خلال النصف الاخير من عهد الدولة القديمة(١١) ٠

كذلك فان بعض التسللات على هدوئها وضالتها استمرت تياراتها متصلة تتراكم حتى لترقى فى محصلتها النهائية الى آثار جنسية لا تكاد تقل عن آثار الهجرات الحقيقية وبعض العناصر الوافدة والمتجددة باستمرار تعطى اشارات تاريخية متوفرة بغزارة اعدادها وتزاوجها مع المصريين واستقرارها فى نهاية المطاف ويذكر عباس عمار نقلا عن ماسبيرو مثلا لهذا الشكل قوله ان الصورة فى مقابر بنى الحسن بمصر الوسطى بالقرب من ملوى بمحافظة المنيا تمثل عددا من هؤلاء البدو العرب يقدمون لفرعون مصر القرابين لكى يسمح لهم بالسكنى فى وادى النيل وقد أذن لفرعون مصر لبعض قبائل أدوم وهى عربية سامية فى السكنى والعيش بشرق الدلتا(١٢) ٠

كذلك شهد عصر الدولة القديمة نموا فى العلاقات والصلات مع الجزيرة العربية وسواحلها الجنوبية الغربية بعد أن تطلع المصريون القدماء الى هذه البلاد البعيدة مستخدمين البحر الاحمر طريقا لهم للوصول الى هذه البلاد وذلك منذ عصر الدولة القديمة أيضا لاسيما فى عصر الاسرة الخامسة حيث قام المصريون برحلات موفقة الى بلاد مختلفة منها بلاد بونت والتى كانت تشمل الشاطئين الافريقى والاسيوى حول باب المندب الذى كان ضيقا جدا ويمكن عبوره بسهولة) مما جعل المصريون يرسلون الحملات بطريق البر تارة وبطريق البحر تارة أخرى الى تلك البلاد للحصول على البخور والعطور(١٣) ٠

ولقد كان المصريون القدماء فى حاجة ماسة بل وملحة ودائمة الى اللبان وغيره من أنواع البخور كالمر والصموغ المعطرة والاخشاب

---

(١١) سليم حسن : مرجع سابق ٠ جـ٢ ص ٢٥٣ ٠
(١٢) عباس عمار : مرجع سابق ٠ ص ٩٢ ٠
(١٣) سليم حسن : مرجع سابق جـ٣ ص ٣٧ ٠

الزكية وكل أنواع البخــور لكى يتم حرقها فى المعابد والهياكل ويستعملونها فى تحنيط موتاهم ·

وكان جنوب بلاد العرب غنيا جــدا بهذه المواد التى يشتد عليهــا الطلب من قبل المصريين ، فقــد اشتهرت بلاد اليمن والســاحل الجنوبى ولاسيما حضرموت التى تقع بين عمان واليمن بأنهــا أرض البخور والمــر واللبــان والراتينج ، وما تزال أشجار اللبان تنمو فى حضرموت وغيرها من انحــاء الجنوب حتى وقتنــا الحاضر وكان المصريون القدماء يحصلون على هذه المواد من بلاد بونت التى ربما هى الصومال أو بلاد اليمن على السواء فلا يستبعد انهــم أطلقوا لفظ (بونت) على هــذين البلدين الذين لا يفصل بينهما سوى باب المندب الذى كان ضيقا جدا جدا عما عليه الآن وكانت الجزر منتشرة به والمسافة قريبة جــدا · وايما كان الامر فقد كان ذلك سببا فى قيام علاقات وثيقة ودائمة بين مصر وبين جنوب الجزيرة ، وقد رأس « ساحو رع » أحد فراعنة الاسرة الخامسة (٢٧٤٣ ـ ٢٧٣١ ق·م) أول حملة بحــرية بطريق البحر الاحمر الى هذه البلاد(١٤)

كذلك فانه اذ كانت حركة التجارة المصرية العربية فى عصر الدولة القديمة قد أخذه تنمو وتطرد مع بلاد جنــوب الجــزيرة العربيـــة الا أن باب سيناء ظل مطروقا أيضــا بحيث كان يغرى ســكان البــادية الشماليين منهم للهجرة الى مصر وكانت الهجرات فى عصر الدولة القديمة والاسرة الخامسة بالذات التى شهدت بعض الضعف تأخــذ شــكل جماعات كبيرة بسبب سوء الاحــوال الاقتصادية فى المناطق المجدبة فى سيناء وشـــمال غرب الجزيرة العربية مما كان يؤدى الى هجرة العــائلات بجميع أفرادها تصطحب كل أسرة معها كل ما تملكه من معدات وحيوان مما يدل على أن الهجرة كان القصد منها التماس مناطق تتوافر فيها وســائل المعيشة لتلك العائلات التى اضطرتها ظروفها القاسية الى أن تترك مناطقها الاصــلية حين عجزت عن أن تجــد القــوت لهــا سكانت مصر هى الملجأ والملاذ الذى

---

(١٤) احمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) ص ٦٠٥ ·

تلجأ اليه هذه القبائل لكى تجد لها مقرا دائما فى أرض مصر لكى تخضع لسلطان البلاد وشيئا فشيئا تذوب فى الكيان المصرى الكبير الذى كان سيل الهجرة العربية لا ينقطع عن القدوم الى هذه الديار مهما اقامت مصر من قلاع وحصون واستحكامات فان الانحدار جنوبا عبر الصحراء الشرقية وأرض الدلتا ومصر السفلى وأحيانا الانحدار جنوبا عبر الصحراء الشرقية وصولا الى جنوب مصر(١٥) .

ومن هنا يختلف الباحثون والمؤرخون فى تحديد عدد الهجرات الحقيقية كما يختلفون فى تحديد آثارها الجنسية بالمقارنة الى الهجرات الكبيرة والتسللات المستمرة والواقع ان الذى يطالع تاريخ مصر عبر أغواره المختلفة وصولا الى نهاية الاسرة السادسة فى الدولة القديمة يدرك تمام الادراك البعد الخطير للاثر الانثريولوجى لهذه الغزوات بحكم تعددها واختلاف مصادرها وان كانت غالبيتها قادمة من الشرق حيث ان هذه التسللات كانت كالسيل الذى لا ينقطع ومن ثم كان لها أثر جنسى مباشر على التكوين السكانى وكانت تترك بصماتها المعتادة والمألوفة على الكيان والتكوين المصرى الجنسى لاسيما ان هذه الهجرات كانت تذوب فى الكيان المصرى ولم يكن بدا لها أن تعود أدراجها حيث أتت لاننا لم نسمع عن هجرة قدمت الى مصر وعادت بعد زوال دولها ، بل انها تندمج وتذوب فى النهاية فى السكان بعد أن استقرت نهائيا(١٦) .

وعلى هذا فقد بدأ المصريون منذ الدولة القديمة يرسلون الحملات لاستكشاف شاطىء البحر الاحمر الاسيوى الافريقى وتوطيد علاقاتهم بمن كانوا يقطنون تلك المناطق ومن المعروف والثابت علميا وعمليا ان التبادل التجارى من أهم وسائل نقل الحضارة والثقافة ولهذا فمن المحتمل أن تكون معالم الحضارة المصرية القديمة وحضارة هذه المناطق قد بدأت تتأثر وان كان الجانب المصرى قد ظهر قويا فى البلاد الواقعة على شاطىء البحر الاحمر وبخاصة فى أرتيريا والصومال وجنوب الجزيرة منذ أيام

---

(١٥) عباس عمار : مرجع سابق ص ٩٥ .
(١٦) جمال حمدان : مرجع سابق ص ٢٨٠ .

الدولة القديمة ولكن عدم القيام بأبحاث اثرية او انثريولوجية كافية فى تلك البلاد حتى الآن قد يحول دون الحصول على تفاصيل كاملة عن حجم هذه الصلات وعن مدى تأثير هذه الصلات فى ذلك العهد(١٧) ٠

ومن ذلك القول بأنه منذ عصر الاسرات والدولة القديمة بل منذ فجر الوجود المصرى فى وادى النيل فان الشعب المصرى يظهر فى صورة وحدة جنسية وسلالية واحدة احادية الاصل متجانسة بقوة فى الصفات والملامح الجسدية ٠

وليس هناك ادنى تباعد فى النمط الجنسى وهذا ما تؤكده الحقائق الانثريولوجية فى أن نمط الانسان المصرى باقيا وثابتا عبر العصور ٠ باستثناء بعض اللمحات البسيطة منذ قيام الدولة القديمة وان هذه البقايا التى ذابت فى كيان الشعب الواحد هى بقايا لا وزن لها فى اى مكان او بقعة فى الارض المصرية حيث ان شكل السكان التام هو انهم قادمون من الجزيرة العربية أو من الهلال الخصيب او بلاد الرافدين والكل يدخل فى نطاق العالم العربى او الشرق الادنى القديم بل ان هذه العناصر قد تجاوزت الحدود المصرية غربا الى شمال افريقيا أو ما يعرف بالمغرب(١٨) ٠

ان الدلالة الانثريولوجية الحاسمة فى انثريولوجيا الشعب المصرى جنسيا توضح الهيكل التاريخى للانسان المصرى منذ عصر الدولة القديمة والتى تعرضت لهجرات امتصها الشعب المصرى مهما تكن قوتها وتأثيرها فان هذه الموجات البشرية لم تستطع ان تزيح السكان الساميين الاصليين ، ذلك لان كل الهجرات التى امتدت من سيناء شرقا وصولا الى مريوط غربا والتى انتقلت من غرب آسيا واخترقت الاراضى المصرية فانها لم تستطع أن تمس الجسم المصرى بشكله الكائن(١٩) ٠ ذلك لان التيارات المهاجرة الى

---

(١٧) احمد فخرى : المرجع السابق ص ٦٠٥ ٠

(١٨) عبد الفتاح مقلد الغنيمى : موسوعة المغرب العربى ج١ ص ٤٨ ٠

(١٩) جمال حمدان : مرجع سابق ص ٢٧٩ ٠

مصر قد حـكم عليها بصورة نهـائية فى انهـا قادمة من الشرق أو الغرب ونادرا من الجنوب أما الشمال الاوربى فى تلك العصور السحيقة فلم يكن موضـوع مطروح للمناقشة أو الحـديث حيث انه منذ ٢٧٥٠ سـنة ألفين وسبعمائة وخمسين عام فى مرحلة الدولة القديمة لم يكن التيـار الاوربى قد بدأ فى صنع حضـارة أو تحـرك انسان ، انما كانت كل أبعاد الهجرة قادمة من الجـزيرة العـربية وغـرب آسـيا وبعـدها افريقيـا (ليبيـا والسـودان) ٠

ولـما كان هذا المصدر للهجرة يقع غالبيتها فى العالم العـربى القـديم (السامى) فان عملية الهجرة لم تكن الا تثبيت للواقع السامى (العربى) القـديم على الارض المصرية مهما حـاولت بعض الكتابات والدراسـات الانثربولوجية أن تضيف أجناسا أخـرى الا انهـا كانت هشـة وضـئيلة ولم يكن لهـا أدنى تاثير على العمود الفقرى للسـلالة البشرية المصرية السامية الحـامية نادرا ومن هنا كان مركز ثقل السكان المصريين دائمـا صـوب الشرق ، وان الجزيرة العربية كانت مثل قطب الدائرة بل النـواة الانثربولوجية والتاريخية القـديمة التى ارتكز حولها الكيان المصرى فى العالم القديم فقد كانت كثافة وقوة الهجرة العربية اكثر مـا كان يفـد من أماكن أخـرى مهما تكن درجة تقاربها بحيث لا ننسى المجال الليبى والنوبى حيث كانت هجرة الليبيين ما هى الا دورة جديدة للجنس السامى أما النوبى فهى حامية سـامية قديمة وهكذا كانت القـاعدة الاصـولية ثابتـة فى أن التجانس المصرى والتآلف من هذه الهجرات كان من الصفات الثابتة غير المضطربة فقد كان الكيان المصرى قد ابتلع وهضم فى كيانه القوى والذاتى كل هذه الموجات المهاجرة ولم تعـد هنـاك عنـاصر جديدة بـل ذابت فى زمرة السكان([20]) ٠

ولقد كان على هذه الجماعات المهاجرة ألا تغلغل داخل الوادى انمـا كانت تكتفى بالعيش على الاطراف بعيدا عن الداخل بحيث تكون لهم التـلال والاراضى الفقيرة بينما تظل الاراضى الزراعية فى أيدى السكان الاصليين

---

(٢٠) محمد عوض محمد : مرجع سابق ٠ ص ٣٢٨ ٠

ثم يحدث الاختلاط والزواج والانصهار وتذوب هــذه الجماعات فى الكيان الاكبر مصر · وقد كانت هــذه صورة الهجــرات العــربية فى عصر الدولة القديمة ، ثم دخلت مصر فى العصر الوسيط الاول عصر الاقطاع .(٢٣٠٠ قبل الميلاد) حيث ســاد الانحــلال السياسى والتفكك الاجتماعى وحل القحط وتتابعت الفتن وانتشرت الفوضى واختل الامن وكان طبيعيا جــدا فى مثل هذه الظروف أن يطمع فى مصر الطامعون ، فأغار بدو الصحراء على الدلتا وعاثوا فيهــا فســادا ولكن أمراء اهناسية الاقوياء الذين اغتصبوا العرش وأرادوا أن ينقــذوا البــــلاد فانهم نجحــوا فى طــرد هؤلاء البــدو من الدلتا(٢١) ·

وقد تم طرد هؤلاء البدو الوافدين لانهم كانوا جيشــا حاول الغــزو والعدوان ولم يحــاولوا العيش فى ســلام انما كانوا غزوا حربيــا تحول الى استعمار طويل العمر نسبيا حيث استطاع أمراء اهناسيا طردهم ومنع تدفق الدماء الغريبة الى الكيان المصرى ذلك لان الاثــر الجنسى للغــزوات الحربية كان محدودا للغــاية لكنه من المحتم ألا يمكن اغفــال اثــر هــذه الغزوات التى تكررت على الكيان المصرى منذ آلاف السنين(٢٢) ·

وقد كانت الهزيمة من نصيب هؤلاء البدو وان كان ذلك لا ينفى بقــاء بعضا من البدو المقيمون فى أطراف شرق الدلتــا والذين امتد تسرب بعضــا منهم الى داخــل البــلاد والذين كانوا نواة العرب القدماء فيما يسمى اليوم اقليم الشرقية ووادى الطميلات وان كانت هذه الجماعات قد سبقت الالف الرابع قبل الميلاد · وقد تحولت أعداد كبيرة من هؤلاء المهاجرين الى مصريين محليين وليس من بدو أسيويين وافدين فقد كان المهاجرون البدو قد عمروا المناطق التى سكنوا فيها وتحولوا مبكرا الى مصريين غير انه من المحتمل أن بعض هذه الهجرات اتجهت غربا الى الشمال الافريقى ·

وللحقيقة التاريخية فان هــذه الهجرات فى تاريخ مصر البشرى تقتصر

(٢١) عبد الله خورشيد البرى : مرجع سابق ص ٢١ ·
(٢٢) Smith, G. E. : Ancient Egyptians. p. 75

على البدو والرعاة وان كانت أحيانا بعض الهجرات من الزراع وهذا دليل منطقى على قدرة الهجرة السامية القادمة من الشرق حيث ان الرعاة عنصر حركى سريع التنقل واحتمالات الهجرة الى الاماكن الغنية والاكثر ثروة ورخاء قائمة عنده لانه يسعى الى استبدال وطن فقير بوطن غنى تسكنه جماعات زراعية مستقرة ثابتة جذورها فى الارض ٠

ولقد كانت كل الهجرات القادمة الى مصر جميعها هجرات سامية وانها أسيوية قادمة من الشمال الشرقى ودخلت الاراضى المصرية عن طريق سيناء وبرزخ السويس وان هذه العناصر جميعها كانت تنتهى الى الفناء وكانت تنتهى ببعضها الى التسرب الى أعماق الوادى وخاصة الصعيد والنوبة الامر الذى ترك اثره الجنسى البعيد على ملامح بعض السكان المحليين الذين يغلب عليهم سمرة البشرة وتموج الشعر والعيون السوداء الواسعة ولوزية الشكل والشعر أسود أو بنى داكن وهو قليل على الجسم والرأس ، ستطيل والقامة متوسطة أو فوق متوسطة والاصل فى الجسم أن يكون نحيلا والعنق مستطيل وان كان قد دخل مصر فى عصر بناة الاهرام سلالة ذات رأس عريض نوعا وجمجمة ممتلئة والشعر لولبى مع سائر الوجه القوقازى وهذا يرجع الى الزواج بعناصر خارجية عن مصر والتى منها أن لون البشرة أكثر بياضا والشعر فيه صهوبة أو شقرة والعيون قد تكون رمادية أو عسلية خفيفة(٢٣) ٠

وأغلب الظن ان أكبر التيارات التى وفدت الى مصر كانت من منطقة غرب أسيا وان أعدادهم كانت كبيرة بأى مقياس وان بدو مصر كانوا من عرب الجزيرة العربية وقد حدثت التحولات فى الاجيال القديمة التى تتحول تدريجيا الى متمصرين ٠

---

(٢٣) محمد عوض محمد : مرجع سابق ص ٣٣٤ ٠

الفصل السابع

الدولة الوسطى والهجرات السامية (العربية)

الهكسوس فى مصر (١٧٣٠ ــ ١٥٨٠ ق٠م)

أعاد فراعنة الدولة الوسطى (٢٠٦٠ قبل الميلاد) لمصر قوتها وعافيتها بعد أن عملوا على اعادة وحـدة البـلاد التى كانت قد تفككت فى عصر الاقطاع (٢٣٠٠ قبل الميلاد) واسـتطاع فراعنة هـذه الاسرة الحـادى عشرة أن يقضوا على الحـرب الاهلية وأن يعملوا ما وسعهم العمل على تهيئة البـلاد لعصر جديد فى حيـاة مصر يكون عصرا يشهد معالم الرخاء والثروة واقرار النظام فى الداخل وتأمين حدود البـلاد الشرقية والغربيـة والجنوبية من غارات المعتدين من الخـارج ٠

ولقد وضعت الدولة نصب عينيها وقف سيل الهجرة المتدفقة عـلى الحدود وخاصة من الشرق عبر طريق وديان البحـر الاحمر وشبه جزيرة سـينا ، وقد عملت الدولة على بنـاء جيش قوى قادرة على صـد غـارات الاعداء وأن يطهر الاطـراف من غارات البدويين والليبيين القـادمين من الغرب حيث كانت هنـاك أقوال تذكر ان مصر فى عصر الدولة الوسـطى شـهدت غارات بدو بلاد شمال افريقيا أكثر من غارات بدو عرب الجزيرة العربية ٠

واستطاع فراعنة الدولة الوسطى أن يطاردوا المعتدين من بدو سيناء حتى فلسطين(١) ٠

وليس ادل على ازدياد حـركة الهجـرة السـامية من الشرق من أن

---

(١) جمال مختار : تاريخ الحضارة المصرية ٠ ص ٩٨ ٠

فراعنة الدولة الوسطى قاموا ببنـاء سور على خليج السويس يعرف بأسم سور الحـاكم وذلك لصـد هجرات أو غارات الاسيويين الساميين من بلاد الدلتـا ، ذلك لان هذه الغارات التى كانت تتم في العصور السابقة كانت موضع شكوى من السكان المصريين نظرا لان هذه الغارات لم تكن تتبـع الاسـلوب السلمى بل كانت من أجل السلب والعدوان وبسط النفوذ بدلا من التسرب السلمى والعيش فى سـلام على أطراف البـلاد . ومن ثـم فرضت مراقبة شديدة عند الحـدود الشرقية المصرية حيث كان بعض البدو يعيشون كمجموعات محدودة على شواطىء البحر الاحمر أو البحر المتوسط الجنوبية والذين كانوا يعيشون فى شبه جزيرة سـيناء .و جنوبى فلسطين وشمال غرب الجزيرة العربية وكانت لهم بعض التوزيعـات فى جبـال سـيناء ومن هنـا جرد المصريون حملاتهم الحربية الى داخل هذه الاراضى الاسيوية وصولا الى فلسطين وما يعرف حـاليا بالاردن وتم تأديب هؤلاء البدو العرب (العامو) الاسيويين الذين يعيشون فى هذه الارجاء وليس لهم مكان معين بل انهـم عرب بدو رحـل يرتحلون وراء المـاء والعشب والاشجار ، ولكن هـذه العـلاقة لم تكن لتسير على هـذا المنوال طوال الوقت اذ كان بدو الصـحراء يخضعون لقـوة الفراعنة ومن ثـم يبـدأون رحلتهم ثانية الى مصر ولكن ليس بالصورة السـابقة بالعـدوان والغزو والسلب ولكن بالطرق السلمية حيث تنتهى المناوشـات التى كانت تقع بين المصريين والبدو وكانت تعود العلاقات بين مصر وجاراتها فى الشـمال الشرقى فى سوريا وفلسطين وغرب الجزيرة العـربية الى أحسن ما يكون من ود وصـفاء بسرعة مدهشة .

وهكذا ظلت الدولة المصرية أهم مملكة فى العـالم لحقبـات تاريخيـه طويلة وذلك منذ عام ٢٣٠٠ قبل الميلاد .

ولم يكن العـالم القديم يشهد فى ذلك الوقت سوى ثلاث امبراطوريات كبرى هى الامبراطورية المصرية التى ضـمت اليهـا المنـاطق الفلسطينية (نلاحظ هنا ان مصر خضعت لها عناصر اسيوية سامية كان من السـهل تحركها الى داخل الاراضى المصرية فى ظل كيان سياسى واحد مما ساعد على ظهور العناصر السامية بكثرة فى داخل الامبراطورية ا) .

ولقد كانت الامبراطورية المصرية أكثر الامبراطوريات رسوخاً والاكثر قدرة على البقـــاء من جميع هـذه الامبراطوريات فقـد بدت مصر وكأنها وجدت لتبقى الى الابد . وقد وضع قدماء المصريين حدود بلادهم من ناحية الجنوب عند المنطقة التى لا يصبح فيها النيل صالحا للملاحة حيث تعترض مجراه الصـخور التى يصعب اجتيازها وهى المنطقة المعروفة باسم الجندل الاول بمنطقة أسوان(٢) .

وهكذا فان تسرب الهجرات العربية من الجنوب كان ضئيلا ولم يكن يشـكل أدنى خطورة على البنية المصرية الجنسية السـلالية ولكن رغم كل التحصينات والقـلاع والحروب فقد ظلت شـبه جزيرة سيناء هى المعبـر الرئيسى للهجرات العربية السامية الى وادى النيل ، لكن بضـم فلسطين الى الامبراطورية المصرية فقد افتخر المصريون بانهم استطاعوا قهر سـكان الكهوف من الاسيويين وسكان الرمال وضربوا معاقل البدو ووطىء حقولهم وأصبح هؤلاء المهاجـرون السـاميون الاسيويون يأتون الى مصر يحملون الجـزية والمحاصـيل الاسيوية وحتى عندما يكونون فى ضيق فى وطنهـم فانهم يسعون فى الاقامة فى مراعى وادى النيل(٣) .

كذلك فانه فى حالة الاستقرار الامنى وتحسن الاحـوال على الحـدود فان مصر كانت تقوم بارسال البعثات على نطاق واسع الى شبه جزيرة سيناء حيث المناجم والمحاجر وكذلك أيضا الى الصحراء الشرقية وان كانت سيناء والصحراء الشرقية لم تكن تستخدم مواردها طوال فترة المناوشات الحربية مع البدو الساميين حيث ظلت مغلقة طوال هذه العصور السابقة . واستمر ملوك الاسرة الثانية عشرة يستغلون محاجر وادى الحمامات فى الصحراء الشرقية وتم افتتاح مناجم جديدة لم تكن تستخدم من قبل فى شبه جزيره سيناء وأعيد استعمال كل مناجم منطقة سراية الخادم أو سرداب الخادم(٤) .

وهذا التوسع المصرى شرقا يترجم مباشرة بأنه اختلاط انثربولوجى مع

---

(٢) ماكيفيدى ، كولين : مرجع سابق . ص ٤٣ .
(٣) سليم حسن : مرجع سابق ج٣ ص ٤٢ .
(٤) جمال مختار : مرجع سابق . ص ١٠٠ .

العناصر الداخلة الى مصر فى سائر الجند والجيوش المرتزقة حيث أمتد استخدام بعض هؤلاء الاسيويين والذين كانت جميع عناصرهم أسـيوية فى الاجهزة المصرية وازداد نزوح هـذه العناصر التى كانت تتسلل باستمرار وكان يضاف اليها أيضا تسلل ليبيا وشبه الجزيرة العربية(٥) ٠

ولقد شهد عصر الدولة الوسطى هجرة أقوام غير مستقرة كانت تشق طريقها الى مصر من آسـيا وافريقية ذلك لان فراعنة هـذه الدولة كانوا يرسـلون الحـملات الى بلاد بونت (الصومال واليمن) منـذ عهد الاسره الحادية عشرة وقد أرسل امنحمات الثانى (١٩٣٨ ـ ١٩٠٢ قبل الميلاد) عدة بعثـات الى هذه البـلاد بغرض احضار العطور والروائح الذكية وكان على المصريين أن يخترقوا الصحراء حتى يصلوا الى البحر الاحمر وبعـد ذلك كان لابد من بنـاء السفن اللازمة لحمل رجـال البعثـة وفى الصحراء الجرداء القاحلة يقابلون قبـائل العرب البدو الرحل الذين يقدمون لرجال مصر الخدمات التى يطلبونها منهم ، وكانوا يستخدمون كأدلاء للمصريين حتى تقطع هـذه البعثة هـذه الصحراء متجهة جنوبا محاذية الشاطىء الخالى من السكان وفى نهـاية المطاف كان عليهم أن ينزلوا عند قوم من النـاس يتاجـرون معهم ثم يحملون معهم عند عودتهم المـر والاصـباغ والمـواد المستخدمة فى التحنيط وهى ذات روائح زكية(٦) ٠

وكان الملك الفرعونى سنوسرت الثالث قد قام بحفر قنـاة فى شرق الدلتـا استطاع عن طريقها أن يصل ما بين نهـر النيـل وخليج السويس وذلك خدمة للحـركة التجـارية ووصـولا الى بلاد بونت (الصـومال واليمن) عن طريق وادى الطميلات والبحيرات المرة وتعد هذه القنـاة أقدم ممر مائى صـناعى يوصل ما بين البحـر المتوسط والبحر الاحمر ، اذ كانت السفن المصرية تشق طريقها فى النيل ثم فى تلك القنـاة وصـولا الى البحر الاحمر ٠ ومن ثم نهـاية الى بلاد بونت ٠

(٥) جمال حمدان : مرجع سابق ٠ ص ٢٨٧ ٠
(٦) سليم حسن : مرجع سابق ج٣ ص ٤٢٣ ٠

ولقد تعددت طرق الاتصال بين العرب الساميين ومصر فكان هنـاك الخط البرى الشمالى عند شبه جزيرة سـيناء والطريق الجنوبى عند باب المنـدب فى حين يربط البرين فى أواسط ساحل الجزيرة العربى خط يقطع البحر الاحمر الى القصير فوادى الحمامات قبالة انعطاف النيل فى ثنيـة قنـا شرقا بالقرب من طيبة العاصمة المصرية القديمة(٧) ٠

ولـما كانت تجـارة البخـور الآتية من جنوب الجـزيرة تمر بوادى الحمامات الطريق الرئيسى فقد أصبح ذلك الخط الاوسط أهم حلقة للاتصال ببلاد العرب الجنوبية وأصبح سكان الجنوب الشرقى من جزيرة العـرب أرباب تجـارة وأصحاب ثروة وقاموا بالوسـاطة فى سوق التجارة بين مصر وما بين النهرين والبنجاب وهى مراكز ثلاثة هامة للمتاجرة فى العصور القـديمة وباسمهم تسـمى البحـر الفاصل بين هـذه البـلدان ببحـر العـرب(٨) ٠

كذلك فى عصر الدولة الوسطى وبالتحديد فى الالف الثانية قبـل الميـلاد تدفق الاريون (أصل سكان ايران الحالية) فى الشرق الادنى وقد كان هذا ألتدافع أو التدفق أن يحرك الساميون فى أن يتجهوا غربا وجنوبا نحـو الحـدود المصرية تتبعهم شرذام من الارين وفى نهـاية المطاف جاءت هذه الموجة الى مصر ولا شك فى أن هؤلاء القـوم الذين أصبحوا يعرفون عند العرب المصريين باسم الهكسوس والتى اتخذت صورة غزوة حربيـة عنيفة واغارة قوية على الكيان المصرى وهنا يتبادر الى الذهن سـؤال وهو هل كان الهكسوس عربا وهل هم ساميين ٠

لقد تحدث جورجى زيدان فى كتابه تاريخ العرب قبل الاسـلام والذى حققه الدكتور حسين مؤنس فقد جـاء ببعض الادلة التى تثبت من خلالها ان الهكسوس كانوا عربا ساميين(٩) غير أن منظور الدراسـات

---

(٧) أحمد فخرى : مرجع سابق ٠ ص ٣٠٨ ٠

(٨) فيليب حتى : مرجع سابق ٠ جـ١ ص ٤٥ ٠

(٩) جورجى زيدان : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ١ ص ٧٣ ٠

لم تؤيد نظرة جورجى زيدان تأييدا تاماً وان كانت عليها بعض التحفظات وقد اختلف العديد من المؤرخين حول صحة نسب وسلالة هؤلاء الغزاة فمن الثابت ان الهكسوس وبرز عناصرهم على الاقل ساميون أسيويون ولكن مانيتون المؤرخ المصرى القديم والذى أخذ عنه دريتون يذكر ان بعض المؤرخين يعدهم عربا فى حين لا يستعيد برسند فى كتابه تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسى أن يكون سكان بلاد العرب الذين كانوا يهاجرون كثيرا الى بلاد الهلال الخصيب (سوريا) قد اتحدوا مع السوريين بعد جهود كبيرة تحت ادارة حاكم قوى وكونوا مملكة واحدة هى مملكة الهكسوس(١٠) ٠

كذلك فان معنى اللفظ هكسوس ـ ملوك الرعاة ـ لا يدل على ان المقصود بهم شعب سامى أو جنس سامى ومن المحتمل أن يكونوا خليطا من سلالات سامية أو غير سامية اندفعت من مكان أو أمكنة بعيدة وتقدمت بجموعها المختلطة للاغارة على مصر السفلى فعبرت طريق سيناء لكونه الطريق الميسور الوحيد للعبور الى هذه المنطقة(١١) ٠

ومما لا شك فيه انهم لم يدخلوا البلاد دفعة واحدة ، بل وفدوا إليها جماعات صغيرة متفرقة كانت تزداد فى أعدادها الى أن أصبح لهم سلطان عظيم فى البلاد وهم قد اقاموا أولا فى شرق الدلتا ولم يحتلوا مصر بمعناها الحقيقى الا فيما بعد (كان التسرب أولا والهجرة هجرة سلمية) وربما امتدت فترة الاستقرار بهدوء الى نصف قرن من الزمان أو يزيد قليلا كانت خلال هذه الفترة تزداد أعداد القادمين والوافدين الاسيويين كل عام وهناك أسباب عدة تدل على أن أولئك الغزاة كانوا قد أصبحوا قوة ثقافية وحضارية وابداعية فى وادى النيل منذ عهد سنوسرت الثانى (١٩٢٨ ـ ١٩٢٠ قبل الميلاد) أى فى منتصف عهد الدولة الوسطى عندنا كانت مصر فى أوج عظمتها وفى ابان عصرها

---

(١٠) برستد : مرجع سابق ص ١٤٢ ٠

(١١) المقريزى : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ٠ ص ٧٩ ٠

الذهبى ومن هنـا كان الهكسوس اذن جماعات مهاجرة من الاسيويين الذين اضطرت قوة العنف والدفع الارى القـادمة من وسـط آسـيا الى أن تطـرد الهكسوس من أماكنهم فنفذوا الى مصر وأقاموا فى شرق الدلتا(١٢) ٠

ولـما كان الملوك المصريون فى تلك الفترة من الضعف بحيث لا يقدرون على صد هذه الموجات المهاجرة فانهـم تظاهروا يتجـاهل هذه الجماعات التى لم يكن أمامها من سبيل الا الهجرة الى مصر حيث تميل الابحاث الحديثة الى الربط بين دخـول هـذه العناصر الرعوية (الرعـاة) الى مصر وبين هجرة قبـائل مغولية قادمة من قلب آسـيا نحـو الغرب حيث دفعت الشعوب التى كانت تسكن هضـاب ايران وبلاد الرافدين ونواحى سـوريا غـربا فغربا مما أدى الى الضغط على رعـاة بوادى الشـام وفلسـطين والاردن فنزلوا شـبه جزيرة سيناء وصحراء مصر الشرقية وارض الدلتـا وكانت مصر فى ذلك الوقت فى فترة ضعف داخلى حتى نهـاية أيام الاسرة الثالثه عشرة(١٣) مما يدل على ان هؤلاء الرعاة قد تأثروا بالهجرات المغولية وذلك لـما استخدمه الهكسوس من أدوات حربيـة حديثة مثل الخيـل والعربات والعجلات فكلها كانت مؤثرات مغوليـة(١٤) وسس الطـارئون الهكسوس عاصـمة لهم هى حت وعرت (أورايس ، صان الحجر) فلما اصبحوا على شىء من الكثرة انضموا فى دولة وانتخبوا لهم رئيسـا أومد (سلاتيس) وعندئذ باشروا غزو مصر وهكذا لم يتـم غزو الهكسوس لمصر بين عشـية وضحاها ، ولكنه تم تدريجيا وعلى مهل فكان يكتسب قـوة بمرور الزمن وهذا الغزو كثير الشبه بما كان يحـدث لمصر سـابقا قبل حـكم الاسرات ٠ ولكن تغلغل الاسيويين فى الدلتـا هذه المرة لم يكن شبيها لـما كان فى عصر الفترة الاولى عندما كان يأتى عدد قليل من البـدو الشرقيين لا يكاد يكون معهم شىء وكان هؤلاء البدو يحسون بالعرفان بالجميل لـما هيأته لهـم الفرصة للاستقرار فى الارض الخصبة وسرعان ما هضمتهم الحضـارة المصرية وتكون قد ذهبت فى تكوين السكان العام وساهمت فى تكوين النمط

(١٢) دريتون : مصر (مترجم) ص ٣٢٢ ٠
(١٣) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٢١٦ ٠
(١٤) جورجى زيدان : مرجع سابق ص ٧٥ ٠

الجنسى بل انصهرت فى البوتقة المصرية وذلك على الرغم مما عسى أن يكون قد حدث من اختلاط بعد ذلك(١٥) ٠

ومن هنا فانه من الجائز أن يكون الهكسوس عناصر مختلطة سامية أو غير سامية وهذا لا ينفى انه ظهر فى لغة بعض هؤلاء القوم بعض الآثار السامية الكثيرة فهذه الآثار اللغوية أن ثبت نسبتها اليهم فانما تدل على أن جماعة من هؤلاء الرعاة كانوا يتكلمون لغة سامية أو لغة متاثرة بها ، ومهما يكن فان الهكسوس قد حكموا مصر فترة تزيد عن قرن ونصف من الزمان الا أن نفوذهم لم يتغلغل الى مناطق مصر العليا اذ اثنينا صحراء مصر الشرقية وكان من الممكن أن لا يبقى أى أثر من تسلل هؤلاء الاسيويين ، لكن هجرة الهكسوس كانت هجرة حقيقية فى تاريخ مصر البشرى وقد كانت هجرة سالبة من ناحية آثارها ونتائجها الجنسية وانتهت الى أنها كانت مجرد موجة عابرة فى تاريخ مصر الانثربولوجى لانها طردت تماما من البلاد ٠ حيث فشل رعاة الانسيس الهكسوس فى مصر ٠ وقد جاء الهكسوس الى مصر فى القرن السابع عشر قبل الميلاد (١٦٧٥ قبل الميلاد تقريبا) وان كان هناك آخرون يذكرون انهم قدموا فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ٠

ولقد كانت فترة قدومهم فترة بارزة فى الاضطراب البشرى العام فى تاريخ الشرق القديم حيث تحركات كثيرة ، مغولية وارية وغيرها من الشعوب التى تتحرك من اجل بقائها بعد أن حل الجفاف ببلادهم ٠

فكما سبق القول خرج الرعاة الآريون من وسط آسيا ربما بسبب موجة جفاف كطوفان وكهجرات تستهدف الاستيطان النهائى والدائم فى مناطق الاستقرار الزراعى واحتل الهكسوس مصر ولكن فى الدلتا وتوغلوا فى جزء كبير من الصعيد وقد طالت اقامتهم الى أكثر من مائة وخمسين عاما (١٥٠ سنة) أما قوتهم العددية فغير معروفة ولكنها كانت ضخمة وكانت تستخدم الخيل والعجلات الحربية ويقدر فلتنر بترى عددها عند الدخول ما بين مليون نسمة وثلاثة ملايين وكان عددهم عند الخروج

(١٥) جمال حمدان : مرجع سابق ص ٢٨٦ ٠

لا يصل الى ربع مليون نسمة وقد يكون الباقى قد ذاب بين السكان أو تخلص المصريين منه بالقتل(١٦) ·

وكما سبق القول فان الآراء العلمية والرأى الغالب يؤكد انهم ساميون وان كانت الاختلافات كثيرة فى نسب شعوب الشرق الادنى القديم وان كانوا ساميين فان البعض يعدهم سوريين قادمون من الجزيرة العربية ثم استقروا فترة فى سوريا وسواء أكانوا عربا ساميين أو أسيويين من أجناس أخرى فان ذلك لم يغير من الامر فى شىء ذلك لان غزوهم جاء الى مصر مصحوب بقوة عسكرية بغرض فرض الحكم بالقوة دون احساس بالاحترام للحضارة المصرية ولا نستطيع انكار أن الهكسوس كانوا قوما ذى حضارة ومعرفة وعلم وتمدين فهم بلا أدنى شك قد اكتسبوا كثيرا من المؤثرات الحضارية المصرية أو العراقية ، بل انهم كانوا أكثر تقدما فى بعض النواحى من جيرانهم فى وادى النيل الذين كانوا يعدون أقدم الشعوب تحضرا فقد أحضروا معهم الى مصر معدن البرونز فى صورة راقية رقيا عظيما وهم الذين جلبوا الخيل والعربات هذه العناصر الجديدة الهامة فى المدينة الى مصر واثروا فى اللغة المصرية القديمة تأثيرا كبيرا يتضح فى الكثير من الالفاظ والمدلولات ، وامتزجوا بالمصريين امتزاجا شديدا حمل بعض العلماء على أن ينظروا الى المصريين كأنهم أمة سامية(١٧) ·

نظرة متاخرة ذلك لان الاصل المصرى القديم يمتد الى الساميين قبل قدوم الهكسوس بعدة قرون ·

ولقد حكم الهكسوس مصر كما سبق القول أكثر من قرن ونصف من الزمان وتعرف فترة الحكم الهكسوسى فى التاريخ المصرى القديم باسم العصر الوسيط الثانى أو عصر الاحتلال الاجنبى ولا نزاع فى أن كل ما أتى به الهكسوس من بعض الاعمال الطيبة التى تؤخذ لهم لا عليهم الا أن يكون ذلك قد تم فى جو من السلام والهدوء وليس فى حروب مستديمة ، بل انه مما لا شك فيه ان هذه الاعمال انما تدل على أن هؤلاء القوم لم يكونوا قوما جفاة متوحشين بل يجب أن ننظر اليهم على انهم قوم

---

(١٦) Peterie, F. : Opcit. p. 21

(١٧) برستد : تاريخ مصر · ص ١٤٠ ·

على جانب عظيم من المهـارة فقد اعتنقوا طرائق الحياة المتمدينة التى تحيط بهم عندما حطوا رحالهم واستقر بهم المكان[١٨] ٠

لكن معظم الآراء متفقة على ان وجودهم لم يغير من الامر شيئا من وجهـة تكوين مصر الجنسى اذ أن الهكسوس خرجـوا من البـلاد كما دخلوها بلا أثر دماء أو جنسى أو سلالى فالثابت أن الهكسوس من جانبهم أو العـامو كما سـماهم المصريون أقامـوا فى مصر كمجتمع مكتف بذاته انثربولوجيا بمعنى انه كان يتزاوج داخليـا هـذا من ناحيـة ومن ناحيـة اخـرى فقد عاشوا فى عزلة تامة فرضـها عليهم المصريون من جانبهم ولم يختلطوا بهـم فظلوا كجزيرة بشرية مقاطعة أو محـاصرة الى أن نجـح المصريون فى طردهم وهزيمتهم وقضى على آثارهم من البـلاد ٠ حيث عادوا الى فلسطين وبلاد الشام من حيث كانوا قد اتوا مباشرة وبهذا يمكن الجزم بأنهم لم يتركوا أدنى اثر جنسى فى تكوين الانسان المصرى ولم يدخلوا دماءه ، كما لم يتركوا بقايا أو فلولا منهم بين السكان[١٩] ٠

وهكذا فانه على الرغم من أن أحمس الاول قد قضى عليهم جملة فى مصر بوصفهم أمة حاكمة فليس معنى هذا انه قد قضى على نفوذهم الثقافى فى البلاد اذ ليس من الضرورى أن يسير النفوذ الثقافى جنبا الى جنب مع النفوذ السياسى او أن ينسب كل منهما الى الآخـر بصفة مباشرة ٠

ويذكر جون ويلسون فى كتابه الحضارة المصرية انه توجد من الادلة ما يشير الى أن ثقافة الهكسوس قد استمرت تطبع الحيـاة المصرية بطابعها الخـاص الى مدة لا يستهان بهـا فى عهد الاسرة الثانية عشرة بعد طردهم من البلاد وعلى كل حـال فالشىء الهـام فى فترة حـكم الهكسوس لمصـر هو أن هذه البـلاد قـد شـهدت لاول مـرة فى تاريخها المجـيد نوعا من الاحتـلال العسكرى والاجنبى وهزيمة سياسية لكنها لم تكن حضـارة ثقافية بالمعنى الواسع وان كان المصريون ينظرون الى هؤلاء الاقوام الرعاة

---

(١٨) سليم حسن : مرجع سابق ٠ جـ٤ ص ١٦٥ ٠

(١٩) Haddon, A. C. : Races of the man. p. 102.

على انهم همجا أنجاس مكروهين من حكم الاله لانهم يحكمون بدون اتخاذ الاله رع رمزا لهم(٢٠) ٠

ولقد كان التماسك البشرى المصرى الواحد ذى الاصول القوية الثابتة والصلابة الفائقة قادرا على قوة المقاومة لصد قوة الغازى وفشله فى أن يحقق أدنى نجاح لإن حيوية الشعب المصرى وطاقته الكامنة منذ القدم ساعدته على لفظ الاجسام الدخيلة(٢١) ٠

ومهما طالت اقامة الهكسوس فانهم خرجوا بعد قرن ونصف من الزمان لان وجودهم كان هامشيا كما كان هامشيا فى حياة المصريين انفسهم لقد دخلوا مصر وبعدها عادوا سكان صحراء مثلما كانت تفعل دوريا كثيرا من القبائل العربية ، الا أن غزو الهكسوس واحتلالهم للبلاد قد كان فيه عظة كبيرة للمصريين اذ أدركوا ما للقوة العسكرية من أهمية كبرى فى حماية الوطن والذود عن حياضه ومن ثم فقد اهتموا بانشاء جيش قوى عامل منظم وبهذا الجيش المصرى العظيم شهدت البلاد ظهور دولة جديدة بل أسرة حاكمة جديدة قامت لتحرر البلاد من الهكسوس لتقيم حكما مصريا فى مصر(٢٢) ٠

اذ أن الواقع التاريخى فى تلك الفترة من نهاية عصر الاحتلال الهكسوسى يجعل القول بأن مصر كانت مجتمعا زراعيا يستحق هذه المغامره الهكسوسية لاحتلال مصر السفلى وبعض أجزاء من مصر العليا ولقد كانت أعمالهم العدوانية واستهذائهم بآلهة المصريين من الاسباب القوية التى عمقت الشعور بالكراهية لدى المصريين والعمل على طردهم بعد أن تعصبوا لعبادتهم ، والواضح انه ينبغى أن نعى أن هناك علاقة بين الانثربولوجية الجنسية والجانب السياسى الذى تمثل فى حكم الهكسوس للبلاد فلو قدر لهذه الهجرة الواسعة التى قدرها بترى ما بين مليون أو ثلاثة ملايين (رقم

---

(٢٠) ولسون ، جون : الحضارة المصرية ص ٢٦٩ ، ٢٧٠
(٢١) جمال حمدان : مرجع سابق ٠ ص ٢٩٤ ٠
(٢٢) عبد الله خورشيد البرى : نفس المرجع ٠ ص ١٥ ٠

مبالغ فيه) بأن يكون قد تسرب سلميا دون الاتجاء لانتزاع الحكم والسيادة من المصريين فكان التأثير الجنسى والسلالى قد أخذ بعادا تغاير الواقع الذى عاشوا فيه كجماعة معزولة قائمة بذاتها ولقد ساعدهم على التمكن فى الاراضى المصرية حالة الاضطراب العام التى كانت تسود العالم القديم فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد(٢٣) ٠

واذ كنا قد ذكرنا ان الفرشة الاساسية العريضة للشعب المصرى قد تكونت بالدم المصرى السامى القادم مباشرة من جزيرة العرب حيث انها قلب العروبة وذلك منذ عصر ما قبل الاسرات وبالتالى اتضحت معالم الانسان المصرى السامى ٠

ومن هنا لم تكن هذه الهجرة الهكسوسية فى مفهومها البعيد الا هجرة طارئة سالبة غير فاعلة وفعالة فى تاريخ مصر بل خرجت كما قدمت لم تغير او تبدل فى الفرشة العريضة المصرية وان كان بعض الانثربولوجيين قد اقتنعوا بأن الهكسوس قوم ساميون الا ان عدوانهم قد حال بينهم وبين الامتزاج مع بقية أبناء الشعب المصرى ، ذلك لأن الساميون على مر العصور لم ينفصلوا عن سامى مصر أبدا ٠

وكان عرب الجزيرة وغرب النيل او سامى الجزيرة وسامى حامى وادى النيل يمثلان قرابة أبدية لم ينفصلا عن بعضهما الآخر أبد الدهر فمن الواضح انها مجموعة انثربولوجية واحدة كما هم جغرافيا وسكانيا مجموعة واحدة ، وهكذا فان السامية العربية قد سادت عالم الشرق القديم والشمال الافريقى خارج الجزيرة العربية وتسربت فى كل هذه المناطق حيث توقفت يومئذ القدم عند سفوح جبال زاجروس وأقدام جبال الاناضول التركية ، وقد يكون الدافع لعدم التجاوب مع الهكسوس فى هذه القرون الثمانية عشرة قبل الميلاد نضع ثمة علامات استفهام يجعل من الممكن ان الهكسوس لم يكونوا من نقاء السلالة السامية التى امتاز بها الساميون الذين سبقوهم أو من جاءوا

---

(٢٣) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ٠ ص ٧٤ ٠

بعدهم فى عصر الدولة الحديثة كما ان الهكسوس قد يكونوا قد أبوا ألا ان يعيشوا بعيدا عن المصريين فى أماكن معزولة ضمانا للحمـــاية من المصريين والعمل على التركيز والاحتشاد بعيدا عن الشعب المصرى احكاما لدرء الاخطار التى حدثت فعلا عندما استيقظ المصريون وأدركوا انـــه لابد من صد تلك الغارات التى عاثت فسادا فى صحراء مصر الشرقية (شرق الدلتا) التى اتخذوها مكان للسكنى وأسسوا دولة قوية عــلى رقعة واسعة من الارض المصريه وزحفوا على مصر العليا لكن نهايتهم كانت على يد أحمس الاول(٢٤)

(٢٤) سليم حسن : مصر القديمة جـ٥ ص ١٤٨ .

الفصل الثامن

الدولة الحديثة والصلات العربية السامية

عندما ظهرت الدولة الحديثة (١٥٨٠ قبل الميلاد) كانت قد تكونت الامبراطورية المصرية التى كانت تشكل فى الحقيقة وحدة افريقية اسيوية مركزها القلب مصر وتضم شمال السودان وفلسطين وسوريا وأدى البعد الزمنى الى توسع فى البعد المكانى حيث سادت الهجرة الداخلية داخل هذه الامبراطورية وأدت الى التجانس والتداخل لا الى التنافر فى ظل الوحدة الكبرى ، ذلك لان الموقع المركزى أصبح مطروقا بل قلب دوامة بشرية وأصبح الوضع غنى وأصبحت مصر ماصة لكل القادمين وأدى ذلك التوسع الى أن لا تتعرض مصر للمصير الذى تعرضت له بلاد أخرى كثيرة من اجتياح الموجات البشرية الكاسحة التى تزيح السكان الاصليين أو تخلطهم ·

ولقد ساعدت الحروب التى خاضها التحامسة (تحتمس) الى وفود قدر كبير من الاسرى والسبايا والاسترقاق وبالتالى اختلاط الدماء بقدر أو بآخر بالمصريين أهل البلاد الذين أخضعوا هذه الانحاء الواسعة لنفوذهم وكونوا أول امبراطورية عرفها التاريخ القديم ·

وقد كان توحد بلاد الشرق العربى القديمة فى وحدة سياسية واحدة شملت فينيقيا وسوريا وبلاد بونت والسودان وجزر البحر المتوسط وبسطت مصر لواء سيادتها على بلاد النوبة جميعها فى عام ١٠٥٠ قبل الميلاد حتى منطقة الجندل الرابع وهى المنطقة التى تعتبر العتبة المؤدية الى عالم جنوب الصحراء الكبرى · وبذلك بدأت مجموعات ناطقة باللغة الحامية تدخل فى نطاق السيادة المصرية(١) ·
Hamitic Langnage Group.

---

(١) ماكيفيدى · ك · مرجع سابق · ص ٤٣ ·

وليس لدينا أرقام أو دراسات توصل الى توزيع هذه الصفات الحامية التى ترجع الى دخولهم مصر الفرعونية فى عهد الاسرة التاسعة عشر الى كونها الوعامسة والتى عملت من جانبها على تنظيم حملات الى بلاد بونت خاصة وكانت أكبر حملة قد أرسلتها الى تلك الانحاء هى حملة الملكة حتشبسوت عام (١٥٠٠ قبل الميلاد) وخلدت أخبارها على معبدها بالدير البحرى بالاقصر(٢) ٠

كذلك فانه فى فترات سابقة فى أواخر عهد الدولة القديمة (٢٢٥٠ قبل الميلاد) فان الصلات المصرية مع البلاد العربية سواء جزيرة العرب واليمن أو سوريا (فينيقيا) قد زادت ومن ذلك فان الفينيقيون والعرب كانت سفنهم تصل الى السواحل المصرية فقد كانت سفن الفينيقيين تبحر باستمرار الى هذه السواحل وهى محملة بالاخشاب المستجلبة من غابات لبنان وكان العرب يحضرون الى مصر وهم محملين بالبخور واللبان والمر من بلاد اليمن السعيدة (اليمن الحالية حيث يزداد الطلب على الصموغ العطرة والاخشاب الذكية والزتنيح ، ويظن ان الذهب أيضا كان يصدر من بلاد العرب الى مصر ولكن من الجدير بالذكر ان المصريين القدماء لم يستقلوا بميدان المصالح التجارية فى الجزيرة العربية فقد كان يسازعهم فى تجارة العطور والمواد الطبية والمعادن منافسون أشداء فى مقدمتهم أبناء بابل(٣) ٠

وفى عهد الاسرة الثامنة عشرة فان سياسة الفراعنة كانت تسير على أساس تأمين البلاد من محاولة غزو القبائل السامية نظرا لان الزحف السلمى البطىء لم ينقطع طوال فترات الحكم المصرى لهذه البلاد ، لهذا نجد ان الملك الفرعونى امنحتب الاول يقوم بغزو سوريا ويعلن تحتمس الاول ان نهر الفرات هو حدود مصر الشرقية وبذلك امتدت حدود مصر شرقا لتشمل كل القطاع السامى فى تلك البقعة من العالم القديم ٠

---

(٢) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ٠ ص ١٦٨ ٠

(٣) فيليب حتى : تاريخ العرب جا ص ٤٤ ٠

وليس هناك أدنى شك فى أن حرية الحركة لم تكن تفرض عليها قيود فى ظل الدولة السياسية والكيان الواحد وان حركة الساميين الاسيويين الى مدينة طيبة كانت ميسرة والصور والرسوم الفرعونية فى عهد الدولة الحديثة تظهر وفود تلك الجماعات بصورة مستمرة لتقديم الجزية للفرعون ، كذلك فان أهم الوثائق التى بقيت لنا منقوشة على جدران معبد الكرنك هذا النص الذى يحدثنا عن السبب المباشر الذى حدا بالفرعون سيتى الاول لمهاجمة قبائل (شاسو) البدو الاسيويين فى فلسطين حيث ان هؤلاء البدو قد قاموا بالثورة على الحكم المصرى للتخلص من تسلط مصر على بلادهم وحكمها واخضاع هؤلاء البدو للسيطره المصرية(٤) ٠

وفى عهد الاسرة الثامنة عشرة وبصفة خاصة فى عهد سيتى الاول وابنه رعميس الثانى نجد ان هناك عناصر أسيوية سامية كانت تفد على مصر بصفة مستمرة وبلا انقطاع وتقيم فى كل الاراضى المصرية بوصفهم رعايا الدولة الواسعة .و بصفة انهم أسرى حرب يستخدمون عبيدا للآلهة ولقادة الجيوش أو علية القوم أو بوصفهم من التجار ورجال الاقتصاد والمال الساميين الذين يتاجرون فى أنحاء الامبراطورية وكانوا من الجنود المرتزقة الذين كانوا يعملون فى الجيش المصرى بجانب الجنود الوطنيين ، كذلك زاد وفود وهجرة العناصر البدوية السامية الى مناطق الشرقية لكى يستوطنوا وأدى الطميلات للاقامة فى شرق الدلتا وقد ورد فى سفر التكوين ان الفرعون منح يوسف عليه السلام وأهله مقاطعة مصرية تقع شرق الدلتا هى (مقاطعة جوشن) وان لفظ جوشن من أسماء العرب القدامى(٥) ٠

كذلك تحدثنا الكتب المقدسة عن هجرة الكنعانيين الى مصر والذين سكنوا وادى الطميلات والشرقية Land of Gashen وهذا ارتباط حقيقى الى حد كبير فى أن حركة الهجرة كانت كلية فى عهد الدولة الحديثة ،

---

(٤) سليم حسن : مصر القديمة جـ٦ ص ٣٨ ٠

(٥) الهمذانى : صفة جزيرة العرب ص ٢٠ ٠

ومن هنا فان هذه التسللات على هدوئها وضآلتها استمرت تياراتها المتصلة تتراكم حتى انها فى نهاية الامر تترك آثارا جنسية وسلالية لا تقل عن آثار الهجرات الجماعية والراجح عموما أن ظاهرة أسرى الحروب لعبت فى مصر القديمة وخاصة فى عصر الدولة الحديثة دورا شبيها بدور تجارة الرقيق فيما بعد فى العصور الوسطى لاسيما ان هناك العديد من الآلاف العبيد كانوا يجلبون الى المدن المصرية الكبرى كل عام بحسب حالة الحروب والوثائق التاريخية تسجل مثلا أعداد ضخمة من الاسرى فى طيبة العاصمة كما تسجل تسربه أو توطنه ثم تمصير هذه العناصر(٦) ٠

ذلك لان الغزوات المصرية فى عصر الدولة الحديثة قد تطورت معها حالات الهجرة فان تلك العصور قد شهدت اشارات الى آثار انثريولوجية فقد أدت الفتوح المصرية شرقا مع الاسيويين .و غربا مع الليبيين أو مع النوبيين فان تلك الحروب وخاصة تلك المنتصرة التى أحرزها التحامسة والرعامسة من الفراعنة المحاربين كانت تشهد تدفق أفواج الاسرى الى العاصمة يسحبون خلف العربات الحربية العديد من الاسرى من جميع الاجناس التى عرفها ذلك الزمان ، كذلك كانت المدن المصرية الكبيرة تزخر بهؤلاء البدو الوافدين الذين يقومون بتأدية الاعمال ومن ثم يتم الذوبان فى النسيج المصرى الذى يمتص كل هذه العناصر ٠

ففى مدينة برر عميس عاصمة الملك وفى منف وغيرها من المدن قد أنشئت احياء كاملة لهؤلاء المهاجرين من الكنعانيين والفينيقيين الذين جاءوا الى مصر مصطحبين معهم آلهتهم وأربابهم المحليين ، ومن ذلك نجد ان الجيش المصرى قد اعتراه تغير مادى باختلاط الدم الاجنبى به وقد كان هذا الأختلاط لا ينقطع من الشرق والجنوب ونلاحظ فضلا عن ذلك انه فى العهد الذى تلا عصر رعميس الثانى قد اختلط الدم المصرى بدم الاقوام الذين كانوا يسكنون غربى مصر وهم الليبيون كما نجد نفس الظاهرة شائعة من جهة الحدود الشرقية فقد اختلط الدم المصرى بالدم السامى ٠ ولكن على الرغم من كل هذا الاختلاط فى الدم نجد ان المصريين من جهة

(٦) عباس عمار : مرجع سابق ص ٩٠ ٠
Maspero, G. : Life in ancient Egypt and Assuria. p. 32.

أخرى قد تغلبت عقليا وخلقيا بحسالة من ثقافة قديمة وعريقة ومدنيسة وطيدة الاركان ثابتة الدعائم على هؤلاء النزلاء من كل الجهسات وصبغتهم بثقافته وجعلهم جسزء من الكيان والشعب المصرى(٧) ٠

غيسر أن الفينيقيين والفلسطينيين (الكنعانيين) كان لهما أثسرهما الواضح والبسارز فى الحيساة المصرية لاسيما من ناحية تاثير اللغسسة اذ نجسد أن الكلمات الكنعانية كانت تتدفق بقسدر عظيم على اللغة المصرية ولم يكن ذلك قاصرا على أسسماء السسلع والبضسائع والاسلحة والخيسل والعربات وأدوات الحسرب بل تخطى ذلك الى الالفاظ السامية التى تستعمل فى أداء التحية مثل كلمة السلام وكذلك الالفاظ الدالة على الثيسساب هسذا الى العسديد من العبارات المنمقة من اللغسات الاجنبية التى تدل على حسن الذوق والثقافة العسالية فى اللغة المصرية(٨) ٠

وهكذا فان الصسلات المباشرة والاختلاط الشديد الذى لم ينقطع أبدا فى العصور القديمة وزاد فى فترة الدولة الحديثة بين المصريين والساميين والذى كانت الفتوحسات المصرية والحسملات العسسكرية وتوسع نطسساق الامبراطورية من أهم بواعثه قد جعلت اللغة المصرية تتاثر كثيرا باللغسسة السامية لذلك كانت هناك العسديد من الالفساظ المصرية التى تشبه الالفساظ السامية ولاسيما الكلمات السامية العربية المشتقة من أصل ذى حسسرفين ومنهسا رع ، خم ، ماء ، وغيرها الكثير من الكلمات كما كان هناك شىء كبير من التشسابه بين قواعد اللغسات السسامية وقواعد اللغسات المصرية القديمة(٩) ٠

كذلك فان عبسادة الاله السسامية الوافسدة مع هسذه الشسعوب التى استوطنت البسلاد المصرية وخاصة المدن الكبرى قد جلبت معها هذه العبادة للآلهة التى كانت تعبد فى السابق فى الاقاليم الاسيوية التى خضعت لحكم الامبراطورية المصرية وان عدد هذه الآلهة التى تعبد قد ازداد دخولها فى

---

(٧) سليم حسن : مرجع سابق ٠ جـ٦ ص ١٥٢ ٠
(٨) سليم حسن : نفس المرجع جـ٦ ص ٥٩٤ ٠
(٩) ولفنستون ، اسرائيل : تاريخ اللغات السامية ٠ ص ١٩ ٠

زمرة الآلهة المصريين بصفة مطردة مثل الآلهة قادش وكذلك اله الحرب رشب والاله غتا ، والآلهة عشيت ، والآلهة بعلات سامون ، وكانت هذه الآلهة موضع تبجيل المصريين انفسهم .ما الاله « بعل » السامى الاصل فكان موحدا عند المصريين مع الاله « ست » الذى كان يعد الهة البلاد الاجنبية وهو الذى عبده الهكسوس عندما احتلوا مصر لفترة تزيد عن قرن لنصف من الزمان ثم هوت عباده ولم يعد له ذكر دينى بعد طرد الهكسوس ٠ والتى كانت عندما نبدأ الاحداث التاريخية الخطيرة نسجل الصراع العنيف بين الرعاة من الشرق والغرب والامبراطورية المنظمة المستقرة فان الاساطير تروى لنا الصراع الدائم بين أوزوريس وأخيه ست بين قوى الحضارة والاستقرار وقوى البداوة والعدوان وتروى بعض هذه الاساطير أن أعداء أوزوريس كيف ظفروا به ومزقوا جسده اربا ونثروا جسمه فى كل قاطعة حتى جاءت الاخت ايزيس فجمعت الاشلاء وبعثت فيه الحياة وأمكن لنجله (ابنه) حورس أن يطرد الاعداء ومن الاشارة الى أوزيرس وأخيه ست تبين لنا من الناحية العرقية والسلالية انه ليس بين البدو الغزاة والحضر المستقرين فرق ، انما الفرق فى أسلوب المعيشة لذا لم يترتب تغير جوهرى فى تكوين السكان بسبب الهجرة المستمرة من جزيرة العرب التى لم تنقطع فى أى وقت من الاوقات(١٠) ٠

لكن عبادة الاله ست لم تلبث أن أعيدت للعبادة مرة ثانية فى عهد الاسرة التاسعة عشرة فى عهد الرعامسة ، كذلك ظهرت عبادة الآلهة « عتشارت » آلهة الحياة والفزع بصورة واضحة فى تلك الفترة فقد كان لها معبد تعبد فيه فى الحى السامى الكبير الذى كان يخصص للساميين الاسيويين فى العاصمة منف وكانت عبادتها سائدة ومنتشرة فى عهد الاسرة السادسة والعشرين كما بقيت قائمة فى منف وفى السرابيوم حتى عصر متأخر فى مصر وقد سمى سيتى الاول باسم اله المقاطعة التى نشأ منها ، كما أقام رعميس الثانى لهذا الاله المعابد فى أنحاء القطر المصرى وأيا كان الامر فان عبادة الالهة الاجنبية كانت منتشرة فى مصر مما يدل على أن عبادة الآلهه الاسيوية السامية كانت لها أهميتها فى نظر الانسان

(١٠) محمد عوض محمد : مرجع سابق ٠ ص ٣٣١ ٠

المصرى الذى لم يكن يرى فى قيام هؤلاء الساميين بعبادة آلهتهم لا يشكل عدوان على الآلهة المصرية(١١) ٠

وعلى هذا فان الوفود البدوية الشرقية السامية والغربية السامية (المغربية) لاتزال تفد الى مصر فى رحلات متصلة ثم يمرون بمرحلة طويلة تنتهى بهم الى الاندماج التام فى السكان الاصليين ولذا فاننا نرى النظام القبلى فى مصر معدوما وليس من المعقول فى شعب زراعى أن يحتفظ بنظام قبلى بدوى لا يمت الى حياته بصلة والقبائل البدوية لا وجود لها الا فى شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية والغربية وعددها قليل وقد امتلأت هذه المواقع الثلاثة بمواقع عديدة للاستقرار حول المياه والآبار والواحات ووادى النطرون وبعض المشروعات الزراعية فى الجهات الشرقية(١٢) ٠

وهكذا فى ظل الدولة الحديثة وقيام الامبراطورية فان عملية وفود الرعايا الساميين بأعداد كبيرة قد تحولت الى هجرة واسعة النطاق مختلطة النوع فقد اخذت مجموعات سامية وأسيوية تنزح الى مصر أولا فى موجات محدودة فى فترة الفتح المصرى فى عهد التحامسة (تحتمس) ثم راحت هذه الموجات تتصاعد الى أن أصبحت موجات زاحفة والدليل على ذلك وجود أحياء كثيرة للساميين فى منف وطيبة وبرر عميس ووادى الطميلات ٠

وسجلات الآثار المصرية فى الدولة الحديثة تؤكد باستمرارية وبانتظام جماعات البدو الشرقيين تطلب الاذن بالدخول الى مصر أو تتسلل عبر سيناء من الجزيرة العربية والشام الى صحراء مصر الشرقية أو أطراف الوادى والدلتا حيث تضرب بجذورها الى الابد ومعنى ذلك بصورة واضحة وقوية ان تعريب مصر هو سابق لفترة طويلة جدا لظهور الاسلام ذلك لان

---

(١١) سليم حسن : مصر القديمة جـ٦ ٠ ص ٥٩٦ ٠

(١٢) محمد عوض محمد : المرجع السابق ٠ ص ٣٣٥ ٠

الاختلاط الجنسى والسلالى والدموى والعرقى بين الشرق القديم والجزيرة العربية ومصر هو كذلك قديم ومتناهى فى القدم(١٣) .

لذا فان التقارب الانثربولوجى والتقارب البيولوجى هو الذى يفسر الاثر الجنسى البعيد المدى والعميق الجذور فى مصر فرغم الاعداد الكبيرة التى احتوت فى تلك الامبراطورية المصرية منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد والاختلاط البعيد المدى الدائم مع المصريين فان هـذا لم يغير من التركيب الاساسى لجسم السكان أو دمهم ذلك لان القاعدة الجنسية واحدة وهى ان العنصر المصرى ماهو الا بدوى عربى قديم . وهكذا كانت الوحدة الخلودية (الخالدة) بين مصر وبلاد الجزيرة تأخذ مسارها الواسع النطاق كلما تطورت الحياة فى ذلك الجـزء من العـالم القديم(١٤) .

والخلاصة الموضوعية ان المصريون الساميون عرب ما قبل الفتـح الاسـلامى فى جملتهم مختلطون اختلاطا تاما فى أصـولهم السـلالية والعرقية مع الساميين (العرب) قديما حتى لم تعـد تمثل الا بعد عربيـا على أرض مصرية افريقية(١٥) .

ومن هنا فلا جناح علينا اذ قررنا فى النهاية ان مصرى هذه العصـور فى الدولة الحديثة منذ أكثر من خمسة عشر قرنا قبل الميلاد لم يكن الا رابطة قوية بين الطرفين لم يكن الدين الاسلامى هو صـلة الربط فقط بل ان الاغلبية الساحقة المصرية منذ الفرشة العريضة القديمة ليست الا جـزء من المجموعة السامية التى كانت من الطبيعى أن ندرك عظم الاهمية لموقع سيناء المعبـر الهام لهذه القبائل وأن يحرصوا على أن يكونوا سـادة على هذا الطريق الهـام مهما يكن وضـعهم فى الدولة الحـديثة ذلك لان وجـودهم فى تلك المنطقة وسكناهم هذه المناطق التى احتفظوا بهـا لعـدة قرون وخضـوعهم

---

(١٣) جمال حمدان : مرجع سابق جـ٢ صـ ٢٩٨ .

(١٤) رابح لطفى جمعه : سبأ بين التاريخ والنص القرآنى . مجـلة الدارة ١٤١٢هـ ص ٨١ .

(١٥) Keith, A. : Anew theory of human evolation. p. 30b.

للسيادة الفرعونية وامتداد النفوذ لملوك الأسرة الثانية عشرة حتى الأسرة الثامنة عشرة فقد كانت سيطرتهم على هذا الطريق تدفع بهم الى التحكم فى معظم جهات سيناء(١٦) ٠

كذلك فان المنطقة التى تقع شمال صحراء النفوذ أو فى بادية الشام هذه المنطقة التى ضمت الى السيادة المصرية فى الدولة الحديثة كانت هى نفس المنطقة التى أمدت مصر بالموجات السامية العربية عبر أقدم العصور ، بل هى المستودع الذى كان يغذى الموجات العربيه الى مصر والذين كانوا يعيشون فى البادية وجابت قوافلهم وابلهم صحارى آسيا وافريقيا وتكلموا لغة سامية ٠

وهكذا فان هذه الموجات النازحة فى تلك العهود كانت تكون جاليات تعيش فى كبرى المدن كما سبق القول بحكم انها تعيش فى ظل دولة واحدة ولانها عاشت حينئذ فى كنف حكومة مصرية (التحامسة . الرعامسة) ولانها كانت تحمل معها ألسنة مختلفة عن اللسان المصرى الا انه لم يتح لها فى تلك العهود الانطواء تحت لغة رئيسية واحدة تجمع شتاتها وتؤلف بينها وبين المصريين الملمين بلغتهم الا انهم سرعان ما ذابوا فى المجتمع المصرى رغم وجود أحياء خاصة بهم ولان هذه الجماعات كانت مفرقة العبادات الدينية لا تجمعها عبادة اله واحد ، بل عدة آلهة ، الا انه لا يمكن انكار انها كانت تمثل المرحلة الاعدادية القديمة فى تعريب مصر منذ ذلك العصر المبكر(١٧) ٠

---

(١٦) عباس عمار : نفس المرجع ٠ ص ٩٢ ٠

(١٧) المقريزى : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ٠ ص ٩١ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل التاسع

مصر فى ظل الاحتلال الأجنبى

فى منتصف القرن العاشر قبل الميلاد تعرضت مصر فى عصرها الفرعونى المتأخر أو ما يمكن أن نطلق عليه عصر الاحتلال الاجنبى أو النفوذ الخارجى وقد تعرضت مصر الاحتلال الليبى فى عام ٩٥٠ قبل الميلاد وقبل ذلك بوقت طويل كان الفينيقيين لا يعرفون أدنى معلومات عن مصر تتجاوز منطقة الدلتا ، أما العرب فقد توفر لديهم قدر كبير من المعلومات عن شواطىء البحر الاحمر ومن المحتمل أن يكونوا قد رسموا فى أذهانهم على الاقل ملامح خريطة توضح طرق اتصالهم بمصر من جميع الجهات الشمالية والجنوبية والوسطى ، أما الفينيقيون من اهالى صور فقد قاموا باكتشاف سواحل الشمال الافريقى المطلة على البحر المتوسط ، وقد بدأوا هذه المهمة وانتهوا منها فى غضون القرن الثانى عشر قبل الميلاد ولا أحد يشكك فى أن هذه الحقيقة التى يؤيدها احتكار تجار صور للتجارة مع اسبانيا فى القرون التالية مما يدل على وصول التأثير الاسيوى السامى العربى فى ذلك الوقت المبكر الى أوربا وحدثت هجرات سامية عربية وليس هجرات أوربية وكان المعتقد أن هذه الاتصالات قد تمت فى لحظة وقوع مصر فى ظل الاحتلال الليبى فى القرن التاسع قبل الميلاد أو على الاكثر فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد ففى القرن التاسع قبل الميلاد أو الثامن قبل الميلاد على أقل تقدير اجتازت سفن الفينيقيين مضيق جبل طارق وأسسوا مدينة قادش باسبانيا Cadiz (١) .

ومن هذا الحدث التاريخى يمكن القول ان الفينيقيين الاسيويين الساميين العرب استطاعوا أن يقيموا لهم قواعد على سواحل المغرب

---

(١) ماكيفيدى ، كولين : مرجع سابق ص ٦٥ .

المطلة على المحيط الاطلنطى وبالمثل فان العرب قد بحروا فى ذلك الوقت الى الشاطىء الجنوبى لخليج عدن الذى كان فى ذلك الوقت امتداد للصومال ثم عرفت هذه المنطقة فيما بعد باسم ساحل القرفة ٠

وكان المصريون قد فقدوا سيطرتهم على بلاد النوبة حوالى عام ١٠٠٠ (عشرة قرون قبل الميلاد) وفى مطلع القرن الثامن قبل الميلاد ظهرت بلاد النوبة من جديد على خريطة العالم باعتبارها دولة مستقلة على رأسها ملوك أقوياء استطاعوا أن يحتلوا الوجه القبلى (المصرى) مصر العليا فى عهد حكم بعض الفراعنة الضعفاء من الاسرة الرابعة والعشرين ومن ثم كان الاحتلال النوبى عاملا لزحف العناصر الحامية الى البلاد المصرية[٢] ٠

وفى نفس الوقت امتدت حدود المملكة النوبية حتى وصلت أقصى اتساع لها اذ استطاع الملك « يفنخى » (٧٥١ ـ ٧١٦ قبل الميلاد) أن يخضع الوجه البحرى (المصرى) مصر السفلى ويكون أول فراعنة الاسرة الخامسة والعشرين بعد أن كونت الاسرة الليبية الحاكمة الاسرة الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين ، ولكن هذه الاسرة لم تستمر فى الحكم طويلا فقد ارتكبت أحد أبناء الملك (بعنخى) ٧٥١ ـ ٧١٦ قبل الميلاد قبل أن يخضع الوجه البحرى (المصرى) مصر السفلى ويكون أول فراعنة الاسرة الخامسة والعشرين بعد أن كونت الاسرة الليبية الحاكمة الاسرة الثالثة والعشرين والاسرة الرابعة والعشرين ولكن هذه الاسرة لم تستمر فى الحكم طويلا فقد ارتكبت أحد أبناء الملك بعنخى وهو الملك طهرقا (٦٨٨ ـ ٦٦٣ قبل الميلاد) حماقة اغضاب الاشوريين الذين كانوا يعتبرون فى ذلك الوقت سادة معظم انحاء الشرق الادنى فأرسل الاشوريين جيشا الى مصر اكتسح النوبيين وطردهم من مصر بسهولة ومنذ ذلك الوقت لزم النوبيون حدود بلادهم الاصلية ولم يظهروا مرة أخرى شمال الجندل الثانى وقد سيطر الاشوريين تماما على معظم دول ودويلات الشرق الادنى ماعدا مدينة صور عاصمة

---

(٢) سليم حسن : مرجع سابق جـ٧ ص ٥٨ ٠

الفينيقيين فقد عجزت جيوش الاشوريين عن اقتحامها وذلك لانهـا كانت تملك أقوى أسطول فى منطقة البحر المتوسط اضـافة الى انها كانت مدينـة تجـارية تتمتع بموقع حصين عبـارة عن جزيرة صـغيرة قرب الشاطىء اللبنانى ٠

ولقد كان انتشار الفينيقيين على الشـواطىء الافريقـة وانشـائهم المستعمرات على سواحل تونس خصوصا فى قرطاج وأوتيكا وسـاندت القوة الاقتصادية الفينيقيين فى الصمود أمـام الاشوريين فى صور نظرا لانهم كونوا ثروة عظيمة بسبب اكتشافهم أسرار مناجم الفضة فى أسـبانيا وبسطوا نفوذهم السامى العربى على منطقة من التحصينات الكثيرة الممتدة فى شكل مستعمرات فى المنطقة المنحصرة بين سـواحل تونس وسـواحل جزيرة صقلية(٣) ٠

---

(٣) ماكيفيدى ، كولين : نفس المرجع ص ٤٥ ٠

وكان طهرقا الحاكم النوبى المصرى قد رأى فى قيام دولة اشور خطرا يهدد كيانه فى مصر ومن ثم فقد اخذ يمد يد العون والدعم والمساندة الى القبائل البدوية العربية فى شبه جزيرة العرب وسيناء وبلاد الشام لكى يسبب مضايقات لمملكة أشور فى بلاد الشام التى كانت قد خضعت لهم فيما عدا مدينة صور وتعترض طريق قوافلها التجارية مما اضطر ملوك أشور الى ارسال تسع حملات متواصلة لمعاقبة هذه القبائل العربية التى لا تقهر ، ثم كان الغزو الاشورى لمصر فى القرن السابع قبل الميلاد ودخلوا مصر لاول مرة فى عام ٦٦٣ قبل الميلاد(٤) ٠

كما ان فى أخريات العصر الفرعونى ازداد تدفق الاجانب حيث أخذت بعض الاسرات الحاكمة تعتمد على الجنود المرتزقة خاصة الذين يجلبون من حوض البحر المتوسط الشرقى وجزره والذين اقاموا بصفة اساسية فى مدن الدلتا وفى عهد الاسرة السادسة والعشرين كان بسماتيك أكبر من شجع اليونانيين على الهجرة الى مصر لمساعدته فى حروبه الداخلية ومنح الجنود منهم أراضى زراعية ليزرعونها وسهل للتجار منهم سبل الاقامة ويبدو ان هذه الاعداد لم تكن ضئيلة حيث واجه الملك امازيس الذى حكم بعد بسماتيك عدة مشاكل اقتصادية واجتماعية خطيرة آثارها اتساع نطاق هجرة اليونانيين الى الدلتا فعمل على تركيزهم فى مناطق معينة ٠

ونجح الفرس فى الاستيلاء على معظم أراضى الهلال الخصيب وتم لهم الاتصال بالعرب واحتكاكهم بهم احتكاكا مباشرا وبالرغم من أن جميع اقوام آسيا قد اعترفوا بسلطان ونفوذ حكم الفرس فان العرب استعصوا على الفرس ولم يخضعوا لحكم فارس وانما كانوا يحالفونها ولولا المساعدة السخية التى قدمها العرب لما استطاع قمبيز أن يفتح مصر عام ٥٢٥ قبل الميلاد فهم الذين مهدوا السبيل الى احتلالها ، ذلك لانهم قدموا له العون والمساندة حين طلب العون منهم وأمدوه بالماء والجمال التى حملوا الماء فوقها بعد أن ملئوا به قربا كثيرة حملوها فوق ظهورها وساعدوه بعد ذلك مساعدة كبيرة فى اجتياز الصحراء وقد لجأ قمبيز الى العرب كما يزعم هيردوت بناء على مشورة أحد رجال فرعون مصر

---

(٤) فيليب حتى : تاريخ العرب جـ١ ص ٤٨ ٠

الذى خان سيده وهرب منه وذهب خلسة الى الفرس وحسه ملكهم قمبيز على فتح مصر وأشار عليه بأن يستعين بالعرب لكى يتم له تحقيق أهدافه وكان من بين الفرق العسكرية التى شاركت جيش الفرس فى فتح مصر فرقة من العرب كان على رأسها قائد فارسى من أبناء دارا ويظهر ان هؤلاء العرب كانوا عرب مصر القاطنين فى الصحراء الشرقية(٥) ٠

وهذا يؤكد الصفة العربية الخالصة للمنطقة الشرقية من مصر والتى ظهرت فيها القبائل العربية فى التاريخ القديم بأسماء مختلفة بعد أن أخذت مصر بنصيب وافر من الوجدان والكيان العربى والذى امتد حتى بلاد المغرب العربى الذى غشته الحضارة الفينيقية وهى ذات الصلة الوثيقة بالثقافة السامية فترة من الزمن(٦) ٠

وهكذا شهد القرن الخامس قبل الميلاد وجودا عربيا مكثفا فى الاقسام الشرقية فى مصر ولاسيما المناطق المتصلة بطور سيناء حيث كانت القبائل العربية منتشرة على نطاق واسع وتطبع تلك المناطق بالطابع العربى ومن الطبيعى ان هذه القبائل استقرت هناك قبل ذلك الوقت بزمن طويل(٧) ٠

وهكذا رغم الغزو الليبى وحكمه البلاد لفترة أسرتين متتاليتين وقدوم عناصر ليبية خلف السلطات الحكمة وكذلك قدوم عناصر حامية خلف الاسرة النوبية لكن هذه الجماعات لم تكن الا جماعات صغيرة لم تؤثر فى الهيكل السكانى البشرى العريض الفرشة السامية اضافة الى الوجود المكثف الذى كان ينتشر فى المناطق الشرقية من البلاد مثل وادى الطميلات والمناطق المتاخمة لشبه جزيرة سيناء ولم تستطع هذه الغزوات الا أن تؤثر تأثيرا بسيطا على البنية الاساسية للشعب المصرى الذى كان اتصاله بالعرب واحتكاكه بهم مباشرا ومتصلا رغم قيام الدولة الاشورية ثم الفارسية

---

(٥) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٢ ص ٢٤٢ ٠

(٦) محمد عوض محمد : مرجع سابق ص ٣٣٧ ٠

(٧) جواد على : المرجع السابق ص ٢٨٦ ٠

باحتلال مصر الا ان حملة قمبيز قضى عليها فى رمال الصحراء الغربية وان كان هناك خليطا من الفرس مع الشعب المصرى(٨) ٠

وهكذا كان الاتصال بين الشعبين المصرى والعربى من سكان الجزيرة العربية متصلا وواضح المعالم بشكل مؤكد منذ القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد وربما بدأ بالشكل العربى عبر شبه جزيرة سيناء ومضيق باب المندب ومن ثم حدث التزاوج بينهما وكان هيردوت المؤرخ اليونانى قد زار مصر حوالى أعوام ٤٤٨ ـ ٤٤٥ قبل الميلاد وزار المناطق الشرقية من مصر حيث ذهب الى مكان يقع تجاه مدينة يوطو (حاليا كوم الفراعين بالقرب من أبطو وهى عبارة عن ممر ضيق فى الجبل يتفرع من سهل فسيح يتاخم سهل مصر من الناحية الشرقية بالقرب من الصحراء الشرقية فى امتداد صحراء سيناء قبل حفر قناة السويس حيث شاهد الحيات المجنحه التى كانت تطير فى الربيع من بلاد العرب صوب مصر ولكن الطائر (أبا منجل) لا يدعها فى طريقها بل يبيدها ويقول الاعراب انه من أجل ابادة أبا منجل للحيات (الثعابين) التى تهاجم مصر فان المصريين أحسوا بهذه الخدمة فقاموا بتقديس هذه الطيور ، ويبدو ان الجبل الذى تحدث عنه هيردوت هو أحد جبال الصحراء الشرقية فى مصر وبذلك تكون بلاد العرب التى يعنيها هيردوت هى صحراء مصر الشرقية الواقعة بين النيل والبحر الاحمر وبوجه عام فان بلاد العرب التى يتحدث عنها هيردوت فى كتابه هى البلاد العربية القريبة من مصر فى فلسطين والاردن وسوريا والاجزاء الشمالية الغربية من الجزيرة العربية(٩) ٠

وكان أقدم من تحدث عن الجزيرة العربية وشعبها العربى من اليونان هو (اسكيلوس) ٥٢٥ ـ ٤٥٦ قبل الميلاد ثم جاء من بعده المؤرخ المشهور هيردوت (٤٨٤ ـ ٤٣٠ قبل الميلاد) فجاءت كتاباتهم عن الجزيرة العربية مليئة بالمفاهيم الخاطئة ٠

---

(٨) صبحى حميده : فى أصول المسألة المصرية ص ٣٧ ٠

(٩) هيردوت فى مصر : ترجمة وهيب كامل ٠ ص ٧٠ ٠

ومن هنا فانه يمكن القول انه منذ احتلال الليبيين للوطن المصرى ثم جاء بعدهم النوبيون ثم الإشوريين ومن بعدهم جاء الفرس فان مصر تحولت الى مستعمرة من الناحية السياسية وبذلك فان الاستعمار قد دخل البلاد تحت هذه الصفة متبعا بسلالة جنسية هى سلالة غير مصرية ومن ثم كانت حالته هى حالة غزو عسكرى لا هجرة قبلية سلمية لكنها لم تكن بالصورة التى يمكن أن نطلق عليها استعمارا استيطانيا ، ذلك لان قدوم الغزوات العسكرية كانت تصحبها جيوش جرارة ربما كان بعضها يستقر أو ينزح عندما يتم تحرير البلاد أو ربما يندمج وتذوب فى النهاية فى السكان لكن بعض الغزوات العسكرية استطال وجودها وتعمقت الى حد يقترب منها كثيرا من الهجرة الدائمة بل الاستعمار الاستيطانى أيام الغزوة الاغريقية والتى كانت استعمارا اغريقيا بصفة خاصة وهكذا كانت الغزوة الاغريقية غزوة استعمارية بمعنى الصورة والوضوح وان كانت هذه الجماعات الاغريقية المتسللة لم تلبث أن تحولت الى غزوة عسكرية وعلى أية حال فان التوطن الاغريقى كان فى بداية الامر توطنا مدنيا ورغم ان التوطن الاغريقى كان معمرا مستوطنا بل انه نجح وأقدم استعمار مستوطنى طالما انتشرت منه خلايا صغيرة زرعت نفسها فى مستعمرات حول سواحل البحر المتوسط وعلى كل حال فقد تركز الوجود الاغريقى فى الدلتا فى الدرجة الاولى وفى شمال مصر وفى منطقة مريوط بالبحيرة والفيوم ٠

وعموما أقام الاغريق كطائفة منعزلة مميزة الى حد كبير والذى يلقى نظره على الفيوم ومريوط يلاحظ انهما يمثلان منطقتين منعزلتين عن بقية البنية السكانية المصرية الى جانب بعدهما جغرافيا عن بقية الكيان المصرى وربما يكون ذلك ضمانا للعزلة عن جسم الشعب المصرى ولعدم الاحتكاك به ومن هنا كان الاستعمار الاغريقى محددا بتوزيع جغرافى بعيد عن الكيان الاساسى للشعب المصرى بحيث يمكن القول انه كان استعمارا منعزلا محددا فى مناطق بعيدة وان كان يوجد بعضا من الاغريق فى المدن المصرية الكبرى وانهم ربما اختلطوا مع بعض العناصر وربما قد تكون

لا تمت الى أصــول مصرية عريقة وربما تكون من بقايا اقليــات استعمارية سابقة كالفرس والاشوريين والنوبيين أو الليبيين(١٠) ٠

ولقد كان ظهور الاغريق فى القرن السادس قبل الميلاد وشهود القرن الرابع قبل الميلاد الغزو اليونانى مع قيــادة الاســكندر الاكبر لهذا الهجوم الذى شهد هجرة اغريقية يونانية واســعة وعلى الرغم من أن الهجـــرة الاغريقية كانت قبل قدوم الاسكندر بثلاثة قرون كانت مصر فى تلك الفترة تخضع للحــكم الفارسى وكان الفرس يتمتعون بسيادة البحــر لذا فـــان الاسكندر قرر أن يقضى على سيادتهم البحرية بالاســيلاء برا على قواعــد الاسطول الفارسى ولذلك سرعان ما استــولى على شواطىء آسيا الصغرى وفينيقيا ومصر واستطاع الاسكندرأن يدخل مصر فى خريف عام ٣٣٢ قبل الميلاد وما كاد يصل الى منف حتى ســارع الى تقديم القرابين للآلهة المصريه ومن ثم ترك الديار المصرية عام ٣٣١ قبل الميلاد واستطاع فى العــام نفسه أن ينزل بدارا ملك الفرس هزيمة فاصلة ثم أوغل فى قلب آســيا حتى وصل الى ولايات البنجاب بالهند للاســتيلاء على ولايات الامبراطورية الفارسية وحين عــاد الى بابل واتتــه المنيــة فى يونيــو ٣٢٣ قبــل الميــلاد وبوفاة الاسكندر يبدأ فى العالم الاغريقى العصر الذى اتفق عليه المؤرخون بتسميته « العصر الهلينى » وكانت مصر تاريخيا بسبب الهجرة الاغريقية والعسكرية قد أصبحت اكثر اتصالا بالعالم الاغريقى لذا فان العصر البطلمى ينتمى الى العصر الهلينى الذى ينتهى بموقعة اكتيوم عام ٣١ قبل الميلاد تلك الموقعــة التى بسط الرومان فى أعقابها سلطانهم على مصر(١١) ٠

وهكذا نرى من خــلال هذا العرض لفترة الاحتلال والسيطرة الاجنبية على مقاليد الامور فى مصر أن البلاد قد بدأت تأخذ بعــدا جنسيا وسلاليا مغايرا الى حــد قريب عن البعد القديم حيث بدأت هناك أفواجا قد لا تكون لها أدنى صــلة بالساميين أو الحاميين (فيما عدا الليبيين والنوبيين) ومن

---

(١٠) جمال حمدان : مرجع سابق جـ٢ ص ٢٨٣ ٠

(١١) ابراهيم نصحى : مصر فى عهد البطالمة (تاريخ الحضــارة المصرية جـ٢ ٠ ص ٥ ٠

ثم بدأت دماء جديدة وفصائل جنسية لم تكن تشارك المصريين أصولهم العرقية القديمة وان كانت تلك العناصر قد بدأت بصورة استيطانية بشعة فى الزحف الاغريقى الذى بدأ فى القرن السادس قبل الميلاد فالعناصر الاشورية وان كانت سامية الا انها ازيحت عن طريق القهر الفارسى وكذلك الغزو الفارسى لم يكن له أدنى تأثير على البنية الجنسية فى حين اننا نجد الهجرة والغزوة الاغريقية اليونانية الهلنية قد تركت بعدا مغايرا على وجه الحياة المصرية وتسللت الى اماكن عديدة ومتفرقة فى الديار المصرية وان كانت البنية المصرية القوية قد استطاعت أن تمتص هذه الغزوة فى كيانها القوى • الا أن آثارها لازالت باقية حتى وقتنا الحاضر ومن ذلك فاننا نجد الدكتور جمال حمدان يورد لنا قائمة بالاسماء الاغريقية التى لازالت منتشرة بين المصريين حتى وقتنا الحالى والتى استطاع أن يتحصل عليها من خلال بحث شاق فى دائرة المعارف البريطانية وقاموس لاروس الفرنسى (شخصية مصر الجزء الثانى ص ٢٨٤ ، ٢٨٥) •

وعلى كل حال فان تلك الهجمة الاغريقية اليونانية الهلنية الرومانيه لم تكن الا نقطة فى محيط عربى واسع عريض كان يشكل وجه الحياة المصرية حيث ان الوجود الاغريقى الغريب عن البيئة المصرية العربية السامية القديمة الاصيلة كان يقابله على الوجه الآخر كيانات عربيه قوية خالصة العروبة على الحدود المصرية الشرقية تقف بالمرصاد لكل تحرك مضاد يريد أن يقلب الوجه العربى الاصيل فى مصر الى وجه آخر مهما كانت قوة الدفع العسكرى والحشد البشرى الا ان الكيان العربى المصرى الصميم كان ولا يزل أبد الدهر كيانا عربيا شرقيا ساميا افريقيا اسيويا لم تكن التحديات والهجمات تنال منه شيئا فكم تعرضت مصر للمحن والشدائد ، لكن الوجه العربى الباسم هو الصورة الحقيقية العميقة والاصيلة لكل ما يجرى على أرض مصر •



الفصل العاشر

(سبأ ومعين وحمير والانباط ومدين)

الوجــود العــربى

كان الوجود العربى قويا فى الفترة التى سبقت وصــول الاسكندر الى مصر عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، ومن ذلك نجد ان جموعا عربية كبيرة من قبــائل معين اليمنية تركت أوطانها فى جنوب غرب الجزيرة العربية فى الالف الثانى قبل الميلاد وانتشرت فى جميع أنحــاء الحجاز وهضــاب طور سيناء المصرية ، فى حين هناك بعض الآراء تذكر ان هذه القبائل المعينية هى نفس القبائل السامية التى دخلت مصر وحكمتها اكثر من قرن ونصف ثم طردت منها وأصبحت تعرف باسم الشاسو او الهكسوس والصحيح فى ذلك الى أن المعينين قد هاجــروا شــمالا وغزو جنــوب فلســطين وكونوا دولة مستقلة فى منطقة غزة الحــالية استطاعت أن تحــــافظ على كيانها وأن تحفظ وجودها فى تلك المنطقة حتى قدوم الاسكندر الاكبر الى بلاد الشرق الادنى القديم وقد حاصر الاسكندر الاكبر هذه المدينة زمنــا طويلا وتمــكن من أن يدمرها تدميرا فانسحبت قبيلة معين العربية الى بلاد طور ســيناء والحجاز حيث كونت مستعمرات باسم معان واسمها فى النقوش مصــران واسمها الرسمى « معان مصران » وهى مجاورة للبتراء وانتقلت هــذه المستعمرة الى حيــازة دولة ســبأ حوالى عام ٦٤٠ قبل الميلاد ثم اســتولى عليها اللحيانيون (٥٠٠ ــ ٣٠٠ قبل الميلاد) ثم تلاها الانبــاط فحكموها وهكذا أصبحت معان مركزا للسلطة المعينية فى شــمال الجــزيرة الغربى ومركزا تجاريا هاما لعب دورا اقتصاديا فى أرض مدين شرق شبه جزيرة ســيناء(١) .

---

(١) فيليب حتى : مرجع سابق . جـ١ ص ٧٠ .

كذلك تم العثور فى أماكن متفرقة فى مصر كالجيزة وفى منطقة ادفو بأسوان وفى منطقة قصر البنات فى قنا على كتابات معينية بالخط الحسن تشير الى وجود صلات تجارية بين مصر والمعينين والى وجود جالية معينية كبيرة فى مصر · بل ان من هذه النصوص من هو مؤرخ فى السنة الثانية والعشرين من حكم بطليموس الثانى بن بطليموس الاول · وان هذه النصوص قد كتبت بعد عام ٢٦١ قبل الميلاد وهى على كل حال وثيقة هامة جدا بالرغم من قصرها لانها تتحدث عن وجود العرب الجنوبيين بمصر فى ذلك القرن البعيد كما انها تتحدث عن كاهن من أهل معين وربما يكون أحد الكهنة الذين كانوا يخدمون فى المعابد المصرية فى تلك الفترة بالرغم من أن أصله أجنبى وكما كان يستورد اليها البخور والمر وغيرها مما يلزم المعابد المصرية وربما كان يصدر المنسوجات المصرية الى بلاد المعين فى مقابل استيراد أدوات المعابد(٢) ·

اضافة الى معين فقد وجد السابئيون أول ما وجدوا كانوا فى شمال غرب الحجاز فى المنطقة الغربية من فلسطين ثم هاجر بعضا منهم الى مصر والبعض الآخر جنوبا الى اليمن ·

وقد وردت فى حوليات الملك الاشورى سرجون (٧٢٠ ـ ٧٠٤ قبل الميلاد) وحوليات ابنه سنحريب (٧٠٤ ـ ٦٨١ قبل الميلاد) نقوش باسم ملكين سبئيين هما ايتيا مارا Itiamara وكرب ابل اخضعهما هذا الملك الاشورى وأجبرهما على دفع الجزية ولان المسافة بين أشور وسبأ الجنوب بعيدة جدا فان النقوش الاشورية تفسر على أن هذين الملكين لابد أن يكونا ملكين فى شمال غرب الحجاز لقربهما من بلاد ما بين النهرين واستخدموا هذا التفسير لدعم مقولة ان مملكة سبأ وجدت بالقرب من فلسطين(٣) ·

---

(٢) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٢ ص ٣٨٢ ·

(٣) Montgomery, James. : Arabia, and the Bible. p. 25.

وقد كانت هذه المستوطنات السبئية القريبة من الحدود المصرية على صلة مستمرة معها قد تكونت بفضل قيام مملكة سبأ الجنوبية بارسال مجموعات من الحراس والجنود لحراسة طرق القوافل الى مصر والشمال وخاصة ان مثل هذه المنطقة تتشعب فيها طرق القوافل المتجهة الى بلاد الرافدين والشام وآسيا الصغرى وفلسطين ومصر ، ولما ضعفت مملكة الجنوب ازدادت مملكة الشمال قوة وازدهارا ٠

فقد بدأت سبأ الشمال تتعرض لتيارات حضارية مصرية وكنعانية وآرامية وهلينية وبالذات مع مصر البطلمية فى الاسكندرية وقد وقفت سبأ الشمال مع البطالمة فى صراعهم ضد حكام بلاد الشام وقد قامت مصر بمساعدة (معين مصران) دولة معين عندما تعرضت لهجوم السبئيين فى حرب الجنوب والشمال(٤) ٠

وتؤكد بعض الروايات ان القتال دار فى معركة رفح الشهيرة التى حدثت فى عام ٢١٧ قبل الميلاد كذلك فان بطليموس الرابع قام بصد انطيوخوس الاكبر عندما قام بمحاولة غزو مصر ورده على أعقابه خاسرا ، بل ان النقوش المصرية الهيروغليفية كانت تشير الى السليوفين باسم الفرس كذلك فان كتاب العرب فى التاريخ القديم وفى النقوش العربية هناك اشارات الى أن هؤلاء السليوفيين هم الميدين الفرس وقد تلقحت حضارت شمال غرب الجزيرة العربية بحضارة مصر الفرعونية ومصر الهلينية كما تعرض سكان الشمال السبئيين للاختلاط مع عناصر مصرية فاكتسبوا البشرة البيضاء وهنا يتضح امتزاج الدماء من المصريين الى العرب الذين عرفوا بالعرب المستعربة أو العرب العدنانيين ، بل ان اللغة السامية الشمالية اختلفت عن اللغة السامية الجنوبية ، ولعل فى سيرة اسماعيل عليه السلام جد العرب العدنانيين ما يرمز الى الاختلاط فهو من أب أرامى وأم مصرية وتزوج من قحطانية وفى هذا ما يرمز الى الاختلاط الجنسى والسلالى والحضارى وان الهجرات السامية كانت دائما من الجنوب الى الشمال

---

(٤) رودكاناكيس : التاريخ العربى القديم ٠ ترجمة فؤاد حسنين على ٠ ص ٢٩٣ ٠

تجاه مصادر المياه الدائمة مثل الانهار وعلى ذلك فان انهيار سد مآرب في القرن الخامس قبل الميلاد الذى تسبب فى السيل العرم نتج عنه انتشار قبائل الجنوب فى الحجاز وفى وسط الجزيرة فاصل قبائل العرب فى الشمال تفاخرت بأن أصولها العريقة فى الجنوب وهى منطقة الساحل الجنوبى الشرقى وسواحل الخليج العربى والساحل الشرقى للجزيرة فقد كانت هذه المناطق من أقدم المناطق التى استوطنها الانسان فى الجزيرة اذ تمتد آثار الانسان فيها الى عصور ما قبل التاريخ(٥) ٠

ومنذ الالف الثالث قبل الميلاد كانت حضارات بلاد النهرين تمتد الى ما يعرف حاليا بعمان (ماجان) وبلوخيا (ربما سواحل الخليج) وظلت هذه المنطقة تحت تأثير حضارات الرافدين حتى سقوط أشور التى تأثرت بالحضارة المصرية القديمة ثم تحولت للنفوذ الفارسى فى مطلع القرن الخامس قبل الميلاد ٠

كما يذكر ان أول من تحدث عن الجزيرة العربية وسكانها هو هيردوت وذلك ضمن دراساته عن الولايات التابعة للامبراطورية الفارسية والتى كانت من بينها مصر وقد زاد ذلك الخضوع للفرس لعظم الاتصال بين مصر وبلاد الجزيرة العربية وتسهيل حركة النقلة والترحال والتبادل التجارى والثقافى والتأثير الحضارى وبالطبع تدفقت الحضارة الاغريقية على هذه المنطقة بعد الفتح المقدونى فقدم الاسكندر مصحبا معه بعض المصريين فى حملته الى فارس عبر الخليج العربى ٠

وقد عمق من الصلات بين مصر وبلاد الجزيرة العربية ما جاء فى نصوص التوراة من تجارة القوافل بين الجزيرة وفلسطين ومصر حيث ان جزيرة العرب كانت مصدر المواد المترفة المستخدمة فى المعابد المصريه كالذهب والعطور والبخور والنوابل واللؤلؤ وخشب الصندل والحرير وريش النعام والخيول العربية الاصيلة وهذا يبين ان أهمية الجزيرة العربية فى اقتصاد بلاد الشام ومصر وفلسطين فقد كان التجار العرب

---

(٥) عبد الله حسن مصرى : الجزيرة العربية قبل الاسلام ٠ ص ١٧٨

يحتكرون تسويق البخـور واللبـــان وكان ذلك يجـــلب لهـــم ثـروة كبيـــرة(٦) ٠

وكانت طرق القوافل تعبر صحراء النقب ووادى عربة حتى غزة بسيناء ومن ثم يتم تصدير التوابل العربية الى دول البحر المتوسط بحرا والى مصر بـــرا ٠

ولقد كانت الدعامة الاولى التى قام عليها اقتصاد دويلات الجنـــوب العربى هى انتـــاج وتسويق وتوزيع اللبـــان والبخور والمر فقد كان الطلب على هذه الســلع شديدا فقد كانت المعـــابد الوثنية القديمة فى مصر وبلاد الهلال الخصيب تستخدم هـــذه المواد بكثرة فى معـــابدها ، كما ان النقوش المصرية مثـــلا تحدثت عن بلاد البخـــور بانها ارض مقدسة فمنها ياتى غذاء الآلهة بل ان المر استخدم فى صناعة العقاقير وتحنيط الموتى وترتبط الاخيرة بالدين المصرى القديم وبسبب شدة الطلب على البخور خـــلال الالف الاول قبل الميلاد جنت البـــلاد العربية الجنوبية ثروات هائلة لتجارتها مع المصريين ووصلت قمة هـــذا الثراء فى أواخـــر القرن الاول قبل الميلاد ومنتصف القرن الاول بعد الميلاد اى قبيـــل قيـــام الامبراطورية الرومـــانية وانهـــم كانوا يستوردون من مصر التماثيل البرونزية وقطع التحف والاوانى الفضـــية المشغولة والزجاج المصرى والتى عثر على كثير من التماثيل المصرية فى جنوب الجزيرة العربية(٧) ٠

ومن أقوال الدكتور جواد على فى كتابه عن العرب قبل الاســـلام والذى يعتقد ان المعيذين الذين عاشوا فى مصر حينذاك وخلقوا لنـــا هـــذه النصوص السابق الاشارة اليهـــا هـم من دولة معين الاولى القـــديمة التى عاشت فى اليمن وازدهرت منذ الالف الثانية قبل الميلاد فى منطقة الجوف

---

(٦) التوراة : سفر الملوك الاول الصحاح العاشر ١ ـ ٢ الفقـــرة العـــاشرة ٠

(٧) Dawe, Brain : Southern Arabia. p. 24.

الخصبة بين نجران وخضرموت وهذا من رأينـا غير ممكن لان دولة معين الجنوبية هذه قد زالت حوالى عام ٦٥٠ ق٠ م وأفسحت الطريق لدولة سبأ التى ورثتها (هناك نظريات جـديدة تثبت عكس ذلك ومنها البحـوث التى ظهرت ان هذه الآراء تعارض أقدمية معين عن سـبأ ذلك لان هنـاك آراء تؤكد ان دولة معين وقتبان تسبقان فى قيامها ظهور دولة سـبأ ويحـدد تاريخا وتقديرا لقيـام الدولة المعينية والقتبانية وهو خلال الالف الثـانى قبل الميلاد ، أما أنصار التاريخ فيؤكدون ان سـبأ هى التى سبقت كلا من معين وقتبان ويحددون عصر سبأ القديم الى مطلع القرن الثامن قبل الميلاد بينما يحددون نهاية القرن الثامن ومطلع القرن السابع كتاريخ لقيام دولة معين وقتبان(٨) ٠

ومن كل ذلك فلا خلاف فى أن المعانيون قد هاجروا الى شمال الجزيرة العربية وعاشوا فى طور سـيناء وكونوا دولة باسم معان ، فاذا عرفنا انه فى عام ٢٦١ قبل الميلاد كانت معان قد خضعت لدولة الانباط التى قامت هناك منذ وائل القرن الرابع قبل الميلاد وعرفنا ان الانباط كانوا حينذاك فى حالة من التحالف أو الخضوع مع البطالمة استطعنا أن نجد مبررا لقـدوم المعينين الى مصر وقيامهم واقامتهم بهـا مع اشتغالهم بالكهانة فى معابدها ولا يمنع القول بأن هؤلاء المعين المعنين أنفسهم قد زاولوا النقل التجارى بين مصـر ودولة حمير المزدهرة فى الجنوب حينذاك(٩) ٠

(٨) Jamme, Albert : the Chronology of Ancient South Arabia p. 15.

(٩) أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ٩٤ ٠

دولة الانبـــاط

لعب الانباط دورا كبيرا فى تعميق البعـد العربى الاصـيل بعلاقتهم مع مصر وكما هو معروف ومتعارف عليـه ان النبط أو الانبـاط فرعا من الاسماعيلية (ابنـاء اسماعيل) وهؤلاء الاسماعيلية هو الاسم القـــديم لعرب البـادية فى الشمال الغربى من شـبه الجزيرة العربية ويبدوا ان منطقة ارتحالهم كانت تبدأ من شـمال الحجاز وتمتد شمالا وغربا الى برزخ السويس وبلاد الطور جنوب شـبه جزيرة سـيناء والانباط شـعب عربى عريق باتفـاق العلماء ولا يتجـاوز ما وصل الينا عن تاريخهم القديم الا فى القرن الرابع قبل الميلاد على وجه التقريب وربمـا يكون قبل ذلك بقليل ٤٥٠ قبل الميلاد أو بعد ذلك بقليل ٣١٢ قبل الميلاد وانهـم استطاعوا أن يكونوا ويقيموا لهم كيانا سياسيا قويا فى منطقة واسـعة من الارض تمتد من سوريا شمالا وبلاد العرب جنوبا وبين الفرات شرقا والبحر الاحمر وشـبه جزيرة سيناء غربا بعد أن كانوا قد استطاعوا أن يزحفوا على منطقة شرق الاردن ويحكموا قبضتهم عليها وبعد فترة من الزمن وحوالى المـائة الاخيرة قبل الميلاد صـار ملكهم الحارث ملكا على دمشق وفى هـذه الفترة كانت دولة النبط منيعة الجـانب يخشاها السكان القريبين منها وكل القاطنين بلاد الشام وكان يرهبها الرومان(١٠) ٠

ولم يتخذ الانباط دمشق عاصمة لهم لبعدها عن محور الدولة فكانت عاصمتهم سلع فى وادى موسى ولكن خوف وخشية أهل روما فى ذلك الوقت من ازدياد نفوذ الانباط ومنافستهم اياهم فى المنطقة وخوفهم من أن يمتد سلطان النبط على كل بلاد المشرق بما فيها مصر قد دفع امبراطور روما الى ارســال حملة حربية كبيرة لمحاربة النبط فخربت ديارهم ومملكتهم بالكامل عام ١٠٦ ميلادية واسـتولى الرومان على بلاد حوران التى كانت جـزء من مملكة النبط ٠

(١٠) حمدى البكرى ، مراد كامل : تاريخ الادب السريانى ٠ ص ٩ ٠

ولقد كانت دولة الانباط شأنها شأن دول شمال الجزيرة العربية تعتمد فى عمرانها على التجارة والانباط مملكة عربية لم يعرف رجال التاريخ العربى الكثير عن أخبارها ولا عن أمرها وقيامها شيئا وان كان قدومهم الى شرق الاردن فى مطلع القرن السادس قبل الميلاد فنزلت أرض الادوميين وانتزعت منهم البتراء فيما بعد ثم امتدت سلطتهم ونفوذهم من قاعدتهم البتراء الى النواحى المجاورة وعرفت مملكة النبط فى طور سيناء باسم بترا العربية وزهت البتراء فى ختام القرن الرابع قبل الميلاد وظلت نحو اربعمائة سنة تشغل مركزا خطيرا على طريق القوافل الذى يقطع الصحراء واصلا من سبأ الجنوب وبين ثغور بحر الروم . والظاهر انهم دخلوا تحت حكم البطالمة فى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد وقد عنى بطليموس الثانى بارسال حملة تأديبية الى الانباط واخضاع الادوميين وسكان البحر الميت وشرق الاردن وذلك لضمان الحصول على التجارة الشرقية القادمة بطريق البحر الاحمر وبلاد العرب[11] .

وفى عام ٤٧ قبل الميلاد التمس يوليوس قيصر من ملكوس الاول (مالك بن عبادة) ملك الانباط العربى كتيبة من الخيالة الفرسان لاكتساح الاسكندرية ثم عقدت روما محالفة مع الانباط لصد هجمات عنيفة كانت موجهة من قبائل الصحراء على الحدود الشمالية المصرية وسمحوا بمقتضى هذه المعاهدة المعقودة بين الطرفين سمح باقامة حامية رومانية فى مدينة (القرية البيضاء) التى كانت تابعة لهم ، كما أسهموا بالف جندى نبطى فى الحملة التى سيرتها روما عام ٢٤ قبل الميلاد على بلاد العرب بقيادة ايليوس جالوس ويظهر من وصف بلنيوس (٢٣ ــ ٧٩ ميلادية) للعربية الغربية ان النبط يومئذ كانوا من أبرز سكان القسم الشمالى الغربى من الجزيرة اذا كانوا اصحاب تجارة يتاجرون مع مصر والشام والعراق ولهم قوافل تسير خاصة الى غزة وتدمر . ومن ذلك لم يكن الانباط اهل زراعة بل كانت قوانينهم الموروثة تحرم زراعة الحبوب أو الاشجار ويعاقبون من يخالف ذلك بالقتل ويشددون فى العمل بهذه

---

(١١) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام . جـ١ ص ٢٥٠ .

القوانين وانما كانت التجارة حرفتهم الرئيسية وكان عماد ثروتهم الاتجار بالمواد الطبية والمر واللبان والبخور والعطور وغيرها من العطريات يحملونها من اليمن وغيرها من بلاد جنوب الجزيرة الى مصر وشواطيء البحر المتوسط ولم تكن تمر تجارة فى أيامهم بين الشرق والغرب الا على أيديهم ويحملون الى مصر على وجه الخصوص (القار) لاجل عمليات التحنيط الذى نبغ فيه المصريون دون غيرهم(١٣) ٠

وسيطر الانباط على مدينة الحجر (مدائن صالح) فى شمال الحجاز فى القرن الاول الميلادى عندما بلغت البتراء قمة مجدها ودخلت تحت سلطانهم مدينة ايالة الواقعة على خليج العقبة والتى كانت من المدن المهمة تقصدها القوافل من الشام ومصر وجزيرة العرب كما تقصدها السفن القادمة من سواحل مصر أو من موانيء افريقية والمحيط الهندى ٠

ولقد كان من الطبيعى أن يدرك الانباط عظم الاهمية التجارية القيمة لموقع سيناء وأن يحرصوا على أن يكونوا سادة على هذا الطريق كما كانوا سادة على الطرق التجارية المتفرعة من البصرة الى دمشق ثم الى العريش الحالية (رينو كولورا) حتى يضمنوا بهذه الزعامة التجارية فى تلك المنطقة قوة سياسية تلك الزعامة التى احتفظوا بها لعدة قرون وكان طبيعيا أن يمتد نفوذهم لضمان أمن هذه الطرق الى معظم جهات سيناء التى سيطروا عليها سيطرة تامة(١٣) ٠

ثم زالت دولة النبط عندما قضت روما على سيادتهم القومية عام ١٠٥ ميلادية وحولوها الى ولاية تابعة لروما ثم تحول الخط التجارى عنهم(١٤) ٠

وقد أدى التدهور الاقتصادى الى تدهور سياسى وقلاقل اجتماعية وان السبب فى تدهور اقتصادها هو دخول السفن البطلمية

---

(١٢) جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام ٠ ص ٩ ٠
(١٣) عباس عمار : مرجع سابق ص ٩٦ ٠
(١٤) فيليب حتى : تاريخ العرب ٠ جـ١ ص ٩٦ ٠

المصرية والسفن الرومانية كسفن منافسة للسفن العربية فى نقل البضائع والسلع الشرقية مع الهند وتوقف طريق القوافل البرى بعد أن حول الرومان التجارة الشرقية الى الموانى المصرية على البحر الاحمر ، غير انه ثبت ان العرب استمروا فى الثراء والازدهار حتى بعد أن سيطر الرومان على البحر الاحمر ، لكن بالطبع فقدوا عامل الاحتكار العربى للتجارة واكتشف البحارة المصريون الاسكندريين سر الاسرار البحرية لموعد هبوب الرياح الموسمية وتوظيفها فى الملاحة بين الشرق الاقصى والسواحل المصرية ، لكن تلك السيطرة الرومانية وقبلها البطلمية دفعت بعض الباحثين الى عهد قريب الى أن يعتمدون على أقوال المؤرخين فقط فى اثبات تسرب آثار النبط الى مصر حتى استطاعت الكشوف الجغرافية أن تدعم هذه الاقوال وتزيد عليها وتؤكدها وتضيف أماكن كثيرة فى شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية (اقاليم مصرية) كانت مراكز لهؤلاء الانباط وقد أثبتت الابحاث الاثرية الاولى وجود نقش نبطى شرق مدينة القرما وفى تل الثقافية فى وادى الطميلات ونقوش أخرى تثبت أن تجار النبط كانوا يترددون على الصحراء الشرقية ، ثم استطاع الاستاذ ليتمان أن يعثر على نقوش نبطية فى الصحراء الشرقية ونشرها عام ١٩٥٣ ، ١٩٥٤م ثم جمعها فى كتاب أورد فيه ثلاثة وثمانين نقشا أو خربشة عثر عليها فى ستة عشر موضعا تمتد من سيناء شمالا وتتجه الى الجنوب فى الصحراء الشرقية حتى تبلغ صعيد مصر العليا وهذه المناطق (شمال أبى درق ، أم دمرانة ، بير الداخل مكان قريب من رأس جمسة ، بير أم خلفة ، بير أم عنب ، بير الجضامى ، حمامة ، قصور البنات (طريق وادى الحمامات) أبو قوقيع – محطة الحمراء ، شمال وادى زيدون ، منيح ، منيح الحير ، تل الشقافية ، كثب القلس(١٥) ٠

ان هذه النقوش والمخربشات التى عثر عليها ليتمان داخل الاراضى المصرية لدليل قوى يؤكد ويدعم البعد العربى الخالص والسلالة العربية الاصلية ودوام الصلة والاتصال فى ظل ظروف الاحتلال والسيطرة

---

(١٥) عبد المجيد عابدين : محقق كتاب البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ٠ ص ٨٣ ٠

الاستعمارية الاغريقية البطلمية الرومانية وان هذا البعد العربى منذ ستة قرون قبل الميلاد ليؤكد عمق الصلات المصرية العربية أو بالمعنى الواضح والعصرى العربية العربية ذلك لان وجود هذه الآثار النبطية داخل الاراضى المصرية انما كان وجودا أو صلة بين الاخ واخيه أو بين ابناء العمومة الواحدة على أبعد تقدير وان العروبة لم تكن وليدة القرن السابع الميلادى كما يتصور بعض البلهاء أو من لا يجيدون قراءة التاريخ أو من يحرفون البعد الجنسى والسلالى والجينى بين عرب ما قبل الفتح واخوانهم عرب الفتح فى مصر . ان هذا العرض عن هذا الفصل بصفة خاصة والذى أردنا فيه أن يكون فصلا سابقا للفصل الذى يليه وهو مصر تحت السيطرة الاغريقية البطلمية الرومانية الهلينية . انما يحدد معالم الطريق بوضوح وبصراحة أن البعد العربى فى مصر قديما قدم أول انسان يخطو فوق الثرى المصرى .

ونعود الى الحديث عن ما يثبت عمق الصلة المصرية بالحديث عن هذه النقوش لنقول انه من دراستها يتضح أن بعض أصحابها كانوا من أصحاب القوافل الذين كانوا كانوا يتاجرون مع مصر وان ثلاثة نقوش منها يدل على ان أصحابها كانوا من المستقرين الدائمين الذين كانوا أصحاب ابل فى سيناء أو الصحراء الشرقية وان بعضا من هذه النقوش يدل على أن بعضا من الصناع النبط الحرفيين الذين استقروا فى بعض مناطق الصحراء الشرقية لكى يمارسوا بعض الصناعات والتى منها صناعة التعدين واستخراج المعادن ولاسيما معدن الذهب الذى كان يستخرج من وادى العلاقى بالصحراء الشرقية(١٦) .

كذلك فانه يتضح ان مصر كانت مقرا دائما للعديد من القبائل النبطية التى كانت منتشرة فى بعض المدن والتى كانت لهم بها بعض الاحياء التى ينزلون فيها وانهم لم يتخذوا مصر مجرد مكان يمرون به أو يعبرون بتجارتهم منه الى مناطق أخرى ، بل كانت لهم منازلهم ومساكنهم التى ينزلون فيها ومعابدهم التى يتعبدون فيها فقد عثر فى جهة (قصر الخيط) الذى لا يبعد كثيرا عن الفرما على بقايا أبنية نبطية ظهر فيها آثار أحد المعابد وذلك

---

(١٦) Litt mann, E. Nabatacen inscriptions From Egypt .PP. 5—18.

كما يقول بعض الباحثين أن النبط كانت لهم مستعمرات فى وادى الطميلات ينزلون فيها ومما يلفت النظر ان النشاط التجارى فى مصر كما تدلنا النقوش كان قد بلغ أشده بعد زوال مملكتهم عام ١٠٦م وليس ببعيد أن يكون القضاء على مملكتهم من العوامل التى دفعتهم الى بذل أقصى جهد، وتركيز اهتمامهم فى توسيع نشاطهم التجارى في بلاد افريقية بوجه عام ومصر بوجه خاص(١٧) ٠

ومن هنا فقد ظل جماعة من النبط يمارسون التجارة وقيادة القوافل حتى بعد فتح الرومان لبلادهم كما تبين ذلك من بعض الكتابات النبطية التى عثر عليها فى طور سيناء وفى مصر نفسها فى الصحراء الشرقية ومنها ما هو مؤرخ بعام ٢٦٦ بعد الميلاد وقد تبين أن أكثر الكتابات النبطية التى عثر عليها فى الاماكن المذكورة تقع على الطرق القديمة الموصلة الى جزيرة العرب أو البحر الاحمر ، وان وجودها فى هذه الاماكن دلالة على أن أصحابها كانوا أصحاب تجارة يتجرون فيها بين مصر والجزيرة العربية وموانىء ساحل البحر الاحمر ولاسيما ساحل النبط المقابل لبر لمصر(١٨) ٠

ولا شك فى أن مهارة الانباط فى الرحلة والتجوال قد أكسبتهم نفوذا وسلطانا فى هذه البلاد ، بل تعدى هذا النفوذ الى أوربا فقد استطاع أحدهم أن يصبح امبراطورا على روما وهو فيليب العربى (٢٤٤ ـ ٢٤٩ ميلادية) وقد عثر الباحثون (المنقبون) على بعض النقوش النبطية فى ايطاليا وذلك يعطى الدليل القوى على أن النفوذ النبطى العربى قد تجاوز مصر غربا وعبر البحر المتوسط فى ظل السيطرة الاقتصادية النبطية واستطاع أن يصل أحد أفراد النبط الى أن يصبح ملكا على الامبراطورية الرومانية الواسعة فى القرن الثالث الميلادى وقد اتبع ذلك العثور على الكثير من النقوش النبطية فى روما الايطالية(١٩) ٠

---

(١٧) عباس عمار : مرجع سابق ص ٩٦ ٠
(١٨) ولفنسون ، اسرائيل : تاريخ اللغات السامية ص ٢٧٢ ٠
(١٩) حمدى البكرى : مرجع سابق ص ٩ ٠

ولقد ساعد على ذلك التفوق الحضارى والاقتصادى ان الانباط المسافرين فى حركة التجارة استخدموا طرقا كان قد تم تحصينها وتقوم بحراستها قوات رومانية ضمانا لوصول هذه المواد التجارية الى أوربا وكان الرومان حريصين على أن يتخذوا لهم طرقا فى الصحراء الشرقية يستخدمونها فى تنقلهم من البحر الاحمر عبر الصحراء الشرقية وتلالها ووديانها وصولا الى نهر النيل وليس من اليسير أن نحدد تاريخا لانشاء محطات القوافل التى اتخذها الرومان فى الصحراء الشرقية ولعله من العسير أيضا أن نعرف مدة بقائها ، ذلك لان معرفة متى تركت الحاميات الرومانية هذه المحطات وغادرت الصحراء الشرقية هو من الصعوبة بمكان ولكن ربما كان القرن الخامس الميلادى تاريخا لجلاء الرومان عن هذه المحطات ، مما ساعد على انتشار الانباط فى أماكن متفرقة فى مصر ٠ لانه من يدقق النظر يدرك فى ضوء ما سبق قوله ان الجماعات النبطية الكثيرة المنتشرة فى الاراضى المصرية لم يقتصر نشاطها على سيناء والصحراء الشرقية وحدهما بل انه ثبت أيضا ان هناك جماعات كثيرة نبطية قد سكنت على ضفاف النيل فى العديد من المدن وفى الصحراء الغربية وفى شمال افريقية ويؤكد ذلك القول بالانتشار الواسع للانباط فى جميع الاراضى المصرية وشمال افريقية بين الاقوال التى ذكرها ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان عن الحديث عن بلدة اجدابية التى تقع فى الاراضى الليبية بين برقة وطرابلس من قوله ان أهل اجدابية ذو يسار وأكثرهم أنباط يعملون فى التجارة وذلك عما رواه أبو عبيدة البكرى الاندلسى[٢٠] ٠

ويذهب اسرائيل ولفنستون فى قوله أن جهود المستشرقين فى البحث عن مواطن النبط الاولى ذهبت دون جدوى وان أعلامهم وأوثانهم ولغتهم فيها الكثير من العربية وبعضهم يقولون انهم أعراب ويرجح انهم أرام وعرب اختلطوا ويقولون ان العرب خلطوا بين النبط والانباط وهذا يعنى انه مغز يفرق بينهم[٢١] ٠

---

(٢٠) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ١ ٠ ص ١٠٠ ٠
(٢١) ولفنستون ، اسرائيل : مرجع سابق ص ١٣٥ ٠

وفى حقيقة الامر كما سبق أن أشرنا ان النبط عرب باتفاق العلماء وان أسمائهم كانت أسماء عربية أصيلة وقد انبعثوا من البادية وجابت قوافلهم وابلهم صحارى آسيا وافريقية وتكلموا لغة سامية متفرعة من اللغة العربية الفصحى وشاركوا العرب فى جاهليتهم فى عبادة بعض الاصنام المعروفة عند عرب الحجاز ووصفهم بعض المؤرخين القدامى الذين عاشوا في القرن الاول الميلادى بأنهم عرب(٢٢) ٠

وقد ذكر الرومان كما سبق القول فى مصادرهم التاريخية بأن الملك والامبراطور فيليب الذى حكم روما عام ٢٤٤ بأنه نبطى عربى وبأنه كان عربى المولد وكان قد نشأ وترعرع فى مدينة بصرى فى جنوب الشام ثم دخل الجيش الرومانى وتدرج فى سلك العسكرية وتقدم فيها وأصبحت لــه مكانة حتى تم اختياره امبراطورا للبلاد(٢٣) ٠

وقد ذكرت بعض المصادر ان هؤلاء النبط أو الانباط يعودون فى نسبهم الى أبيهــم (نابط نابت بن اسـماعيل) أو نبط بن باسور بن ســام بن نــوح(٢٤) ٠

وقد كانوا موجودين فى مصر والعراق والشــام وفى الحيرة ودومــة الجندل وفى المدينة المنورة ٠

ومن هنا فان وجودهم فى الاراضى المصرية والاقطار الاخرى أضــاف بعــدا جديدا فى السلالة وانتشارها فى أجــزاء متعددة من العــالم العربى وقد انسلخت العديد من البطون النبطية من قبائلها العربية لسبب من الاسباب وذابت فى المجتمعات المتحضرة كما حدث فى مصر وينتهى بهـا الامر الى انهــا تؤثر فى تلك العناصر وتجعلها مستعربة مهاجرة الى المنطقة التى تسكن

---

(٢٢) جواد على : نفس المرجع جـ٣ ص ١٢ ٠

(٢٣) جواد على : المرجع السابق جـ٢ ص ٦٦ ٠

(٢٤) محمد عزه دروزة : تاريخ الجنس العربى فى مختلف الاطوار والادوار والاقطار ٠ ص ٣٢٠ ٠

بها وربما كان من يوجد بها من غير العرب النبطيين ولكن ربما كانوا فى سلالتهم القديمة عروبة ٠

وقد ارسل بطليموس الثانى فى عهد دولة البطالمة حملة تأديبية الى الانباط والشعوب المجاورة لهم وقد سبق الاشارة الى ما كان عليه النبط من صلات تجارية بالمصريين فى القرن الاول للميلاد أيام « بلينوس » صاحب كتاب التاريخ الطبيعى وكيف كانت مدينة آيالة Aelana (آيالتا) التى تخضع للنبط ملتقى تجارة هامة بين الشام ومصر وجزيرة العرب وافريقية والمحيط الهندى ٠

وقد كان العرب يحتكرون التجارة الشرقية القادمة بحرا عن طريق الجنوب وهو أحد طرق ثلاثة رئيسية نحو البحر الابيض المتوسط الذى كان ياتى من الهند الى الموانىء فى جنوب بلاد العرب أو جنوبها الغربى وكانت أهمها فى عهد البطالمة عدن وجزيرة سوقطرى وكان العرب يسيطرون على التجارة وكانوا يحرصون أشد الحرص على ممارسة العمل التجارى الى حد انهم كانوا يسمحون للمراكب الهندية بدخول بوغاز باب المندب وكان دأب هؤلاء العرب على أن يجمعوا حاصلات بلادهم وحاصلات افريقية الشرقية والهند ثم يرسلونها على ظهور الابل شمالا من مآرب الى مكة فالشام ومصر اجتنابا لاهوال السفر فى البحر الاحمر ، أما اذا اضطروا الى نقل البضائع بحرا فانهم كانوا اما أن يسلكون البحر الاحمر كله الى القناة حيث يتحولون ببضائعهم الى أحد فروع النيل الشرقية أو يقلعون الى وادى الحمامات ثم يعبرون الصحراء المصرية الى طيبة أو يتغلغلون فى النيل الى منف (ممفيس) ٠

وقد ظل الخط البحرى الجنوبى الى الهند فى أيدى العرب الجنوبيين حتى القرن الأول للميلاد عندما مال نجم دولة الجنوب الى الافوال ، حيث بدأ اليمنيون فى التخاذل عن القيام بالاعمال التجارية فى البحر الاحمر عندما بدأ البطالمة أول محاولة للنزاع مع عرب الجنوب لانتزاع السيادة

البحرية مهم بعد أن استطاعوا السيطرة على حكم مصر عام ٢٣٢ قبـــل الميـــلاد[٢٥] ٠

وقد أظهر البطالمة اهتماما كبيرا بالتجارة مع الجنوب والشرق من أجل تصريف المنتجات المصرية ٠

---

(٢٥) عبد الله خورشيد البرى : مرجع سابق ص ٢٢ ٠

(أ) ســبأ وأحفادهم فى مصر

كان السبئيون أقدم الاقوام العربية التى تخطت عتبة المدينة وكانوا فينيقى البحر الجنوبى فقد عرفوا طرفته وتعرجــاته وسواحله وموانيــه وملكوا تجارته خــلال القرون الثــلاثة عشرة الاخيرة قبل الميــلاد • ولقد كانت الانتصارات التى أحرزها عرب الجنوب انتصارات تجارية اقتصادية شأنهم فى ذلك شأن الفينيقيين ولم تكن الممالك التى شادوها دولا حربيــة وانما كانت مملكة تجارية ويمتد عصر ســبأ الذهبى بين أعوام ٦٥٠ ــ ١١٥ قبل الميلاد على وجه التقريب بعد أن ورثوا مملكة أقربائهم المعينيين وأصبحوا سادة على البلاد العربية الجنوبية •

وكان خط التجــارة الرئيسى فى البحر الاحمر حينذاك يمتد من باب المندب الى وادى الحمامات على ساحل مصر الوسطى ولكن ســبأ اضطرت الى افتتاح خطوط برية من اليمن والشام تحاذى ساحل الجــزيرة الغربى وتؤدى الى مكة والبتراء ومنها تتشعب الى مصر والشام وما بين النهــرين ولا شك فى ان ذلك كان يتيح فرصا كثيرة وصلة للاتصال بين المصريين والسبائيين كما سبق اتصالهم بدولة معين والانباط • وعمق هذه الاتصالات عبر أغوار التاريخ القديم(١) •

وقد ساعدتنا النقوش التى حصل عليها العلماء على اعطاء صــورة واضــحة عن هذه المملكة العربية منذ القرن التاسع قبل الميلاد ســواء من الناحية السياسية أم الناحية الدينية والاقتصادية والعمرانية وكان يحــكم

---

(١) فيليب حتى : تاريخ العرب جـ١ ص ٧٢ •

سبأ حاكم أو ملك يسمى (مكرب) ومكرب هذا يذكره العرب بأن معناه مقرب أى مقرب من الآلهة فكان هو الوسيط بينها وبين الناس(١) ٠

وكان يجمع فى يديه بين السلطتين الدينية والزمنية على أن مملكة سبأ كانت هى دولة اليمن الكبرى وأشهرها ذكرا فى تاريخ اليمن القديم ، وقد تميزت حضارة السبئيين القديمة على ماعداها من الحضارات بتوفر أسباب الرخاء والاستقرار ووسائل استثمار الارض واستزراعها واستخراج خيراتها باقامة السدود عند مآزم الاودية وملتقى السيول حيث تحتجز المياه ٠

وقد تفوق السبائيون على البدو فى الحضارة وازدهرت حياتهم وجمعوا فى أيديهم كثيرا من أسباب القوة والنفوذ ، كذلك مارس السبائيون التجارة وأخذت قوافلهم تجوب الجزيرة العربية من الجنوب الى الشمال ووصلت بلاد الشام ومصر وكثرت الاموال وكان أهم الطرق الرئيسية لقوافل التجارة ذلك الطريق الذى كان يمر بصنعاء ومأرب ثم مكة ويثرب ثم مداين صالح حتى يصل الى بصرى جنوب سوريا ومنها يصل الى غزة ومن ثم الى مصر(٢) ٠

غير ان دارا ملك الفرس عمل على الحد من نفوذ العرب فانه وضع مشروعا خطيرا للسيطرة على التجار وذلك فانشاء أسطول بمساعدة الفرس بمصر والهند وأعاد حفر القناة القديمة التى تصل النيل بالبحر الاحمر عن طريق الفرع البيلوزى بالقرب من الزقازيق يخترقه وادى الطميلات الى السويس وقد أثر هذا المشروع على البلاد العربية وأثر على أرباحها من التجارة العالمية وأوقع بها خسائر فادحة وأضعف فى الصيلة ما بين المصريين والعرب ٠ لكن حركة الهجرة العربية كما سبق أن أوضحنا كانت لاتزال

---

(٢) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٠ جـ٢ ص ٢٦٨ ٠

(٣) رابح لطفى جمعة : سبأ بين التاريخ والنص القرآنى ٠ مجلة الدارة السعودية ٠ العدد الثانى ص ٨٤ ٠

مستمرة الى مصر حيث كان بعضا من أحفاد أو سلالة سبأ وبين بنى قضاعة الذين كانوا يسكنون فى المنطقة التى تقع شمال صحراء النفوذ أو بادية الشام وهذه المنطقة هى الخزان البشرى الهائل أو المستودع الذى لا ينضب فى دفع الموجات العربية المهاجرة الى مصر منذ أقدم العصور وهو نفسه الذى أمد مصر بالموجات العربية من أعقاب سبأ من بنى قضاعة وغيرهم(٤) .

ولقد كانت هذه الموجات المهاجرة ووصولها الى مصر قد اتخذت منطقة بادية الشام مرحلة من مراحل العبور حيث انها لم تكن هذه المنطقة أو المستودع بصفة دائمة ولم تكن مواطنهم الاصلية انما كانوا نازحين اليها من جهات شبه الجزيرة العربية الجنوبية قبل الاستقرار وكانت هذه هى بلاد اليمن ثم انتقلوا الى بلاد الحجاز ثم الى هذه المنطقة فى حوالى القرن الاول الميلادى ثم عبورا للاستقرار النهائى فى الديار المباركة مصر حيث كانت هذه العناصر الوافدة تحتوى وتمصر فى النهاية جنسيا وسلاليا كما هو حضاريا وبدلا من أن يفرضوا شخصيتهم الجنسية على مصر كانت هى التي تفرض شخصيتها عليهم ، ذلك لان مصر كانت دائما تتمتع بقدرة امتصاص نادرة وحيوية وبيولوجية تبتلع وتهضم بها كل العناصر الوافدة حتى تصهرها كانها البوتقة فى الجسم الكبير فقد استطاع تراب وادى النيل بصفة خاصة أن يمتص كل الانواع أو العناصر الوافدة تقريبا(٥) .

وكان قد ازداد نفوذ بنى قضاعة وهم فرع من سبأ فى مهجرهم الجديد فى الشمال حيث استعملهم الروم على بادية العرب فملكوا ما بين الشام والحجاز والعراق ثم كانت منهم مجموعة تسمى (تنوخ) ثم فرع آخر اسمه « سليح » وقد نزلت تنوخ وسليح على حدود سيناء الشرقية وسكنت أرض النبط ولا يستبعد أن تكون هذه القبائل قد امتدت مضاربها الى جهات

---

(٤) عبد المجيد عابدين . القبائل العربية فى مصر فى العصر الجاهلى (ملحق البيان والاعراب). ص ٨٥ .

(٥) جمال حمدان : مرجع سابق جـ٢ ص ٣١٧ .

سيناء الشرقية أما بطون قضاعة التى كانت تنزل سـيناء فهى ة
اذ نفهم من هجرة القبائل هذه ومنـاطق سـكناهم انهـا امتـدت
السويس وليس ببعيد أن تكون جماعات منهم قديما قـد تجـاوزت
الصحراء الشرقية كما فعل الانباط حيث ترد اشـارات من بعض
اليونانيين أمثال (استرابو ٦٦ ق ٠ م) (يلينوس ٧٠ م) عن بعد
العربية التى تكاثرت أعدادهم على العدوة الغربية (البر الغربي
الاحمر) حتى سيطروا على كل المنطقة الواقعة ما بين البحر الا
النيل فى أعلى الصعيد ٠

وقد ذكر المؤرخين اليونانيين السابق الاشارة اليهم أن نصف
مدينة قفط قد صـار من القبائل العربية وكل ذلك كان فى القرن
الميـلاد ٠

وقد كانت لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين الب
والنيل(٦) ٠

وقد تكون هذه القبائل العربية التى وطنت تلك المناطق واسعة
من عرب بلى القضاعية أو من الانباط أو من قبـائل عربية اخـر
يكون لاسباب الهجرة الجماعية للقضاعيين الى مصر أن سياسة
القرن الاول الميلادى كانت تستهدف تقرير مطامعهم وحماية مصر
هذه المنطقة التى كانت تسيطر عليها الانباط وكانوا يخشون و
اتساع نفوذهم فيها ، لذا كان نزوح قبـائل تنوخ وسليح الى مصر

بل ان قبـائل الانباط والمعينيين والسبائيين وسلالتهم لم تك
الوحيدة التى نزحت واستقرت فى مصر فى القرون العشرة قبل
وما يليها ولكن كانت هناك بطون أخرى من سـبأ هى كهلان بن س
قدموا واستقروا فى مصر وقد حدثت هجراتهم فى موجات متعاقبة

---

(٦) عبد المجيد عابدين : مرجع سابق ص ٨٩ ٠
(٧) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ٢ ص ٢٠ ٥

ولقــد كان من أسباب الهجرة هو ما أصــاب الجنوب ومــا أصــاب أرضهم على اثر خــراب سد مأرب وتحول الجذابية السياسية فى بلاد العرب من الجنوب الى الشمال حيث ازدهرت دول عربية على أطراف شبه الجزيرة العربية الشمالية وخاصة فى الغرب ٠

وكان السبائيون هم أول من واف من العرب بعبــادة الاجرام الســاوية فلما تفرقوا فى البــلاد العربية ومنها مصر بعد تهدم سد مأرب وكانوا قد انتقلوا الى مجاوريهم من أهل الحبشة والشــام ومصر ولعــل السبائيون أخذوا عبــادة الشمس عن القدماء المصريين فالمعروف ان المصريين القدماء عبدوا الشمس واقاموا لها الهياكل والمعــابد ونظموا لها الاناشيد الدينيــة كما فى انشودة اخناتون ومنظومه مائة نشيد لآمون(٨) ٠

وكان سد مأرب قد تهدم فى القرن السابع قبل الميلاد حوالى عام ٦٥٠ قبل الميلاد وهذا يعنى ان الهجرة السبائية الى مصر قديمة جــدا قبل ظهور الاسلام اذ تصل الموجة السبائية الى مصر قبل زحف عمرو بن العاص بأكثر من ثلاثة عشر قرنا وكان سكان اليمن قد تفرقوا فى الارض بعد انهيــار الســد(٩) ٠

وقد استطاع بعض الازد وهم فرع من كهلان من ســبأ أن يتغلبوا على أخوانهم القضاعيين وأن يسيطروا على هذه المنطقة التى ســميت غســان وصاروا عمالا للروم قبل ظهور الاسلام وقد وصلت بطون من كهلان الى مصر فى العصر الجاهلى ومنها بطون خزاعة الذين هم فرع من الازد كانوا قد خرجوا فى الجاهلية الى مصر وبلاد الشام وانتشروا فى تلك الاقطار على نطاق واسع لان بلادهم كانت قد اجدبت وتصحرت وكان ذلك قبل أن يفتح العرب مصر بفترة ليست طويلة ، حيث كان عرب غسان وجذام وعامله قــد

---

(٨) دوماس ، فرانسوا : آلهــة مصر ٠ ترجــمة زكى ســوس ٠ ص ١٧٤ ٠

(٩) احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ٠ ص ١٥٦ ٠

تفرقوا في منطقة الجفار في شمال سيناء وهي المنطقة الرملية بين مصر وفلسطين واقطعهم حاكم مصر الروماني ولاية تنس (صان الحجر) وكانوا تحت أمرة رجل من بني عامر بن صعصعة(١٠).

وهكذا نرى ان الهجرات العربية قبل الميلاد قد اخذت ابعادا جديدة من حيث الكثافة والكثرة والاستمرارية وتواصل الموجات المهاجرة ومن ذلك ما عرضنا له في هذا الفصل عن هجرة الاسماعيليين من منطقة الحجاز ثم سبأ ومعين وحمير والانباط ومدين ثم فرع قضاعة الحميرية وما تفرع منها إلى قبيلة بلي وكل هذه القبائل عبرت سيناء ثم امتدت منازلها الى الفرما (العريش) وصحراء مصر الشرقية وبلاد الدلتا الشرقية وقد كان ذلك في مراحل قبل الميلاد وان كانت تلك الموجة قد ظلت في اندفاعها الشديد طوال القرون الثلاثة الميلادية وقبل الفتح الاسلامي بثلاثة قرون حيث وصلت من خذام ولخم وربيعة وثعلب وبنو حمزه الى منطقة (صان الحجر)(١١).

وعلى هذا فانه لا سبيل الى انكار ان كل هذه الهجرات المتلاحقة من القبائل العربية كانت تمثل المرحلة الاعدادية أو الفرشة الواسعة العريضة في تعريب مصر ، لان اللغات أو اللهجات التي حملوها معهم الى مصر على اختلافها هي قريبة جدا من اللغة العربية التي نعرفها اليوم ولان الاسس الحضارية التي عبروا عنها ومارسوها كانت اسسا عربية انبعثت من بيئات شبه الجزيرة العربية ولان هذه الجماعات لابد انهم قد امتزجوا باهل مصر الاقدمين وخلفوا فيهم آثارا سلالية وثقافية .

ولقد كان لجماعات أعقاب سبأ السابق الاشارة اليها اهمية خاصة في دراسة الهجرات العربية الاسلامية ذاتها ، ذلك لان أعقاب سبأ الذين بدأت طلائعهم تتسرب الى مصر في الجاهلية هم أنفسهم الذين كانوا من حملة القبائل الاولى التي اعتنقت الاسلام ودخلت مصر في أيام الحكم العربي

---

(١٠) المقريزي : الخطط . جـ١ ص ٢٨٦ .

(١١) جمال حمدان : مرجع سابق جـ٢ ص ٢٧٧ .

الاسلامى ، بل ان أعقاب سبأ الذين نزلوا قبل الفتح العربى وبعده كانوا يمثلون الغالبية من عرب مصر ، غير ان وضعهم حينئذ كان يختلف عن وضعهم فى الجاهلية ذلك لان المجال قد انفسح أمامهم واسعا للهجرة الى مصر ودخلوا بأعداد كبيرة وموجات متلاحقة ومن هنا كانت القبائل السبائية تشكل العمود الفقرى للزحف العربى فى ظل الحكم الرومانى قبل الفتح الاسلامى(١٢) ٠

كما انه اضافة الى هذا فانه قد تمت عمليات عثور على كتابات ثمودية فى منطقة العلا « أقصى شمال الحجاز وخاصة فى بقعة مدائن صالح وذلك فى القرن الخامس قبل الميلاد وهى ذات طابع عربى لكنه بلغة عرب الشمال والتى لا يفرق بينها وبين لغة الضاد الا اختلاف طفيف ولما تم للاسكندر فتح مصر وبلاد الشام فانه فكر فى انشاء أسطول بحرى كبير لكى يحمل البضائع مباشرة الى الاسكندرية دون الاعتماد على التجار العرب وذلك عملا منه للقضاء على السيادة العربية على خطوط التجارة البرية والبحرية وكذلك للحد من الارتفاع الهائل الذى وصلت اليه أسعار البضائع الثمينة التى كانت تأتى من الشرق الى أسواق مصر وبلاد الشام محمولة على سفن عربية أو على ظهور جمال القوافل عبر الطرق البرية ومن ثم تنتقل من مصر والشام الى أوربا(١٣) ٠

وفى عهد حكم البطالمة فان بطليموس الاول (٣٢٣ ـ ٢٨٥ قبل الميلاد أرسل احد رجاله ليتعرف سواحل بلاد العرب من طور سيناء حتى باب المندب فطاف بسواحل (خليج آيالة (العقبة) وسواحل الحجاز وذكر قوم ثمود ومعين وهو أول اغريقى اشار الى ثمود وأدرك قوم ثمود أيام المسيح ووجدت جموع منهم فى نواحى العلا الى عهد بعيد بعد ظهور الاسلام ٠ وكانت عاد وثمود تسكن فى أعالى الحجر فى دومة الجندل والحجر وغربى واحة تيماء وفى هذه المنطقة الجبلية المهمة التى تمر فيها الطرق التجارية التى تصل ما بين اليمن والحجاز والشام ومصر والعراق وكانت مدينة الحجر

---

(١٢) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ٩٢ ٠
(١٣) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٢ ص ٧٦ ٠

هذه القرية الثمودية محطة تجـارية وهامة فى التجـارة العـالمية القديمة لانهـا تقع فى مفترق تلك الطرق التجارية القادمة من اليمن وتتفرع منهـا طرق القوافل الى العراق والشام ومصر ومن هنا فلا مجـال لادنى شك فى وجـود علاقات بين المصريين والثموديين قبل الميلاد كما كانت هناك علاقات مع سـبأ ومعين والانباط وغيرهم من الدول العربية فى عصـور سـابقة للاسـلام(١٤) ٠

ولقـد كانت مجموعة النصوص الثمودية التى عثر عليهـا فى مدينة الحجر غربى واحة تيماء اقصى شمال الحجاز والتى تزخر بهـا المتـاحف الاوربية وفى مكتبات بعض الجامعات وفى مكتبات المستشرقين فقد عثـر عليها فى أماكن مختلفة من بينها شبه جزيرة طور سيناء وداخل الاراضى المصرية نفسها(١٥) ٠

(١٤) عبد الله خورشيد : مرجع سابق ص ٢٠ ٠

(١٥) اسرائيل ولفنستون : تاريخ اللغات السامية ٠ ص ١٧٥ ٠

(ب) العلاقات العربية المصرية عبر أغوار التاريخ

لقد كان العرب يحسون احساسا واضحا فيما بينهم وبين المصريين من صلات ودماء وقرابة جنسية عبر العصور المختلفة ذلك لأن أبرز العلاقات بين العرب والمصريين عبر العصور المختلفة هو تلك الصلات الجينية والسلالية والذى يتتبع هذه العلاقات يجد لديه الاقتناع القوى باننا ازاء حقيقة واضحة بل ثابتة ودائمة وهى انه منذ أقدم عصور التاريخ القديم أن يسجل هذه العلاقة فى اطار بعيد عميق فى الزمن والى أبعد ما يستطيع أن يصل اليه البحث لكن خلاصة ذلك فقد قامت صلات بين سكان وادى النيل من المصريين وبين العرب ، سكان شبه الجزيرة وهى صلات قوية متنوعة وان هذه الصلات لم تزل منذ قامت عبر أغوار التاريخ وانها مستمرة لا تتوقف بل متصلة بلا انقطاع مثلها مثل سلسلة طويلة تؤدى كل حلقة منها الى التى تليها فى اطراد دائب وتتابع مستمر بل انها اتخذت على مر العصور اتجاهات معينة ، ففى العصر الفرعونى الذى دام تسعة وعشرين قرنا من الزمان كانت غارات العرب الذين يعيشون فى صحراء مصر الشرقية وفى شبه جزيرة سيناء وفى الشمال الغربى لبلاد العرب لا تنقطع صلتهم بمصر فهم باستمرار يهربون من الصحراء القاحلة الى أرض مصر الخضراء والمصريون لا يتأخرون عن طردهم وتأديبهم لكن كان التسلل السلمى القليل العدد ينجح فى الوصول الى الاراضى المصرية والاقامة الدائمة وذلك دون أن يمل العرب البدو فى الهجوم على الاراضى المصرية أو ينقطع المصريون فى الدفاع عن أراضيهم وصد الهجوم ولما ضاق المصريون ذرعا بذلك فقد أقاموا حاجزا صناعيا من التراب ونقط للملاحظة عند خليج السويس(١٦) ·

---

(١٦) أحمد فخرى : مصر الفرعونية · ص ٩٤ ·

وقد أطلقوا عليه اسم سور الحاكم وذلك لعل هذا السد يحـول بين البدو وبين دخـول مصر ولكن دون جدوى فقد كانت الموجات المهاجـرة لا تنقطع وأصـبح سيل هذه الموجات كانه فيضـان النيل لا مفر من فيضانه بل كانه لا مفر من قدوم العناصر العربية بحيث لا نكاد نجد عهدا من عهود هـذا العصر الفرعونى على طـوله الزمنى ولا أسرة من أسره المتعـددة ولا حاكما من حـكام هذه الاسرات لم يشغله أمر هؤلاء العامو أو الشاسو العرب كما كانوا يسمونهم(١٧) ٠

وفى حقيقة الامر فان هذه الهجرات العربية المتصلة تبدو أقرب الى أن تكون هجرات صـغيرة جزئية تنطلق من الصحراء الى مصر بين الحين والآخـر ٠

غير ان العلاقات المصرية العربية فى العصر الفرعونى كان لها غيـر ذلك الجانب الحـربى العنيف ، جانب مدنى سلمى يتمثل فى الصـلات التجارية والاقتصادية والتى أشرنا اليها فى هذا الفصل والفصول السابقة ٠ والتى نشأت منذ عهد مبكر نسبيا بين مصر وبلاد بونت (أي بلاد جنـوب الجزيرة العربية) بل انه من غير المعقول أو المقبول أن تقـوم كل هـذه العلاقات وتستمر طوال هذه القرون دون أن يكون لها أثر عميق ، بل بعيد فى كلا الجانبين المصرى والعربى على المدى البعيد ٠

وقد سـبق أن أشرنا الى كيفية سكنى الساميين (العرب) الاسيويين فى منف العاصمة وبعدها طيبة وفى المدن الكبرى المصرية المنتشرة فى طول البـلاد وعرضـها وكيف نقلوا الآلهة التى كانوا يعبدونها الى مصر وكيف اثرت لغاتهم السامية فى اللغـات المصرية القديمة ، وكيف استمر تعـود واثر وتاثير هؤلاء القوم الثقافى ممتدا فى الحياة اليومية المصرية ٠ بل انه من المسلم به ان اختـلاط هؤلاء العـرب واحتكاكهم الدائم بالمصريين وامتزاج الدم بالدم عن طريق الزواج والمصـاهرة كان عامـلا من عوامل

---

(١٧) عباس عمار : مرجع سابق ص ١٨ ٠

تجـدد دماء المصريين وتجدد حيويتهم وبالتالى عاملا من عوامل احتفاظهم بالنقـاء وعدم تسرب الشيخوخة اليهـم كجنس أو أمة أو شـعب بل لازال الشعب المصرى قويا بالاختلاط العربى(١٨) ٠

وقد حدث هذا الدم الجديد نظرا لازدياد كثافة الهجرة العربية وتدفق العـرب على مصر بشكل مستمر وملحوظ على نحـو مـا حـدث فى عصر الاقطاع بين الدولة القديمة والدولة الوسطى حينما سادت مصر حالة من الفوضى والضعف والتفكك واستغل العرب ضعف البـلاد فملئوا الدلتـا ومصر الوسطى والصحراء الشرقية واقاموا فى هذه المناطق حتى قام أمراء اهناسية الاقوياء بطردهم من البـلاد ، وفى عهد الدولة الحديثة أيام سيتى الاول وابنه رعمسيس الثـانى عندما تدفق العرب وملئوا وادى الطميلات بالصحراء الشرقية والمدن المصرية ، وكان يحدث أن تنقلب الهجرة الى غزو حقيقى يسيطر فيه الغزاة العرب على البلاد على نحو ما فعل العرب قبيل عصر الاسرات ، كما أشار الى ذلك فالندر بترى Flinder Petrie

وكذلك غزوات الهكسوس فى أواخـر الدولة الوسطى وهكذا كانت الصلة بين المصريين والعرب هى صراع بين الجدب والخصب بين الحقـل والصحراء بين الفقر والغنى ٠

ولـمـا كانت شبه جزيرة سيناء غنية بالنحاس والفيروز الى جـانب كونها من أهم مراكز الهجرة الى مصر والمعبر الرئيسى الى داخل البـلاد وكانت الاغارة دائمـا تتـم من تلك المنطقة فان الصراع اشـتد فى هـذه البقعة الاسيوية من الاراضى المصرية لوقف الغـارات من جهة والتمـكن من استغلال المناجم من جهة أخرى(١٩) ٠

واذا كانت العلاقات العربية المصرية فى العصر الفرعونى الطويل قد اتسم معظمها بالطابع الحربى العنيف فان الوضع قد تغير أيام البطالمة ،

---

(١٨) عبد الله خورشيد برى : نفس المرجع ٠ ص ٢٤ ٠
(١٩) سليم حسن : نفس المرجع جـ٢ ص ٤٢٠ ٠

ذلك لان عهد البطالمة يكاد يكون معاصر للدول العربية التى ازدهرت فى الشمال والجنوب من شبه الجزيرة العربية ٠

ولما كانت هذه الدول قد قامت نتيجة لعوامل تجارية وعلى أسس اقتصادية ، ذلك لان البطالمة كانوا قد وجهوا عناية الى تجارة البحر الاحمر والجنوب وكان طبيعيا جدا أن تتخذ علاقات المصريين بالعرب طابعا اقتصاديا وتجاريا(٢٠) ٠

ومن هنا كانت العلاقة بين المصريين والعرب فى أيام البطالمة علاقات تجارية نشيطة ووثيقة هيأت بلا شك فرصة واسعة للانتشار العربى داخل الاراضى المصرية والهجرة العربية السلمية وزادت الصلات المختلفة فيما بينها وزادت هذه الفرص عددا أو عمقا فى المستعمرات التجارية العربية التى زادت نشاطها داخل الاراضى المصرية ، وتدل النصوص المعينية التى اكتشفت فى الجيزة وغيرها من المدن المصرية على أن العلاقات ظلت قائمة بين المصريين والعرب بالرغم من نشوب الصراع بين البطالمة والعرب على السيادة على البحر الاحمر وبحر العرب ٠

ولقد انعكست هذه العلاقات الاقتصادية بصورة واضحة على العلاقات والصلات والاثر الثقافى وقد مارس هؤلاء العرب شعائرهم الدينية فى ظل سياسة التسامح الدينى التى اتبعها البطالمة(٢١) ٠

ولقد كان من اثر سياسة التسامح الدينى أن اظهر البطالمة رغبة فى الحصول على منتجات بلاد العرب من العطور والبهار والبخور والمر والقرفة والعاج والاصداف واللالىء والاصباغ والقطن والحرير ٠

وقد كان تكوين امبراطورية بطلمية تضم فلسطين وفينيقية وجزء من سوريا وقبرص وبعض الاقاليم الواقعة على شواطىء آسيا الصغرى

---

(٢٠) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ٠ ص ١٢٩ وما بعدها ٠
(٢١) ابراهيم نصحى : تاريخ الحضارة المصرية جـ٢ ص ٤٥ ٠

الجنوبية والسيطرة على شواطىء بلاد العرب الغربية وذلك لحماية حدود مصر الشرقية والحصول على المعادن والاخشاب التى يفتقر اليها وادى النيل وبذلك اتخذت تجارة مصر والبلاد العربية وافريقية شكلا لم تعهده من قبل وذلك بسبب كثرة المدن التجارية الهامة مثل آيلة والبتراء ولويكى كومى وغيرها من مستعمرات البحر الاحمر ومخا وعدن وكانت هذه الموانى اهم المراكز التى اتصل فيها العرب بالمصريين اتصالا وثيقا واحتكو احتكاكا مباشرا وشديدا وهم يتبادلون السلع ويمارسون فيما بينهم المعاملات التجارية والعلاقات الاقتصادية ٠

ولا شك كما سبق القول فى صفحات سابقة من هذه الدراسة ان ما عثر عليه من نصوص ثمودية ومعينية وسبائية ونبطية يحمل الكثير من من مظاهر الصلات الوثيقة بين العرب والمصريين طوال العصر البطلمى الذى دام ثلاثة قرون مثلما نشأت الدول العربية نتيجة لظروف اقتصادية بعينها زالت لزوال هذه الظروف نفسها وهو أمر كان للبطالمة انفسهم دخل فيه غير ان هؤلاء البطالمة لم يلبثوا أن زالوا بدورهم كقوة عالمية(٢٢) ٠

وظهرت الامبراطورية الرومانية التى أصبحت مصر احدى ولاياتها وفى العصر الرومانى انشئت على سواحل البحر الاحمر مستعمرات صغيرة لايواء السفن التجارية وتقديم المساعدات لاصحابها وشراء السلع من القبائل الساكنة على مقربة منها وسرعان ما صارت هذه المستعمرات أسواقا صغيرة للبيع والشراء يبيع فيها هؤلاء التجار الاجانب ما يأتون به من تجارة من حوض البحر الابيض المتوسط ويشترون منهم ما عندهم من مواد أولية يقبل عليها أهل مصر واليونان وروما وسكان البحر المتوسط وكان ميناء Leako Kome من أهم الموانىء التجارية على سواحل الحجاز ومنه تتجه السفن الى الساحل المصرى لتفرغ شحنتها هناك فتنقل اما بواسطة القوافل واما بالسفن ٠

---

(٢٢) ابراهيم نصحى : مصر فى عصر البطالمة (تاريخ الحضارة المصرية) ص ٣٠ ٠

وقد عثر على خرائب عديدة على سواحل البحر الاحمر والساحل الحجازى يرجع الى ما قبل الاسلام بها آثار يونانية وبطلمية ورومانية لم تدرس بعد دراسة علمية دقيقة ولم تمسها ايدى رجال الآثار والاركيولوجى(٢٣) ٠

وفى الحقبة الاخيرة من عصر البطالمة كشف أحد البحارة أسرار الخطوط التجارية وتبدلات رياح السموم الدورية فيها وعرف الخط المباشر الى الهند وكسر احتكار العرب لنقل البضائع ، لكن ذلك الكشف الخطير لم يستعمل الا بعد أن فتحت روما مصر وانتزعتها من البطالمة حوالى منتصف القرن الاول قبل الميلاد (موقعة لكتيوم ٣١ قبل الميلاد) وحذت حذو البطالمة فى مزاحمة العرب في البحر ودخلت السفن الرومانية المحيط الهندى وكان ذلك نذير فقدان بلدان الجزيرة العربية الجنوبية لمصدر ثروتها(٢٤) ٠

وشهدت العلاقات العربية المصرية نموا مطردا فى العصر الرومانى ذلك لانه تذكر المصادر التاريخية كيف ان الملك (مالك بن عبادة) ملك الانباط قدم عونا عسكريا كبيرا عبارة عن كتيبة من الفرسان لمساعدة يوليوس قيصر عام ٤٧ قبل الميلاد وللمساعدة فى فتح الاسكندرية وكيف واصل الرومان سياسة أسلافهم البطالمة فى مزاحمة العرب فى البحر الاحمر ، فبذلوا جهودهم لتحرير مصر من الاعتماد على تجارة اليمن ووضعوا لاول مرة موضع التنفيذ الكشف الذى تم فى أواخر عهد البطالمة ودخلت سفنهم المحيط الهندى وكان ذلك ايذانا بانتهاء العصر الذهبى لعرب الجنوب(٢٥) ٠

ولما استولى اغسطس على مصر وجعلها تابعة لحكم قياصرة روما طهر القناة التى تربط بين النيل والبحر الاحمر وعنى بالتجارة البحرية ومياه البحر الاحمر واوعز الى حاكم مصر الرومانى (ايليوس جالوس) بغزو

---

(٢٣) سيد الناصرى : تاريخ الجزيرة العربية فى عصور ما قبل الاسلام (مجلة الدارة السعودية السنة ١٧ ص ١٢ ٠
(٢٤) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٠ جـ١ ص ٧٨ ٠
(٢٥) سيد الناصرى : نفس المرجع ص ٣٦ ٠

جزيرة العرب للاستيلاء عليها وعلى ثروتها العظيمة التى اشتهرت بها من الاتجار بالمر واللبان والبخور والافاوية وكذلك بهدف الاستيلاء على طرق النقل التى سيطر ويبسط نفوذهم عليها العرب بل احتكروها لصالحهم وعمل حاكم مصر على استغلال مرافق اليمن ومواردها لصالح روما وتأمين سلامة تجارة مصر مع أواسط افريقية والهند ·

ومن الواضح ان هذه الحملة التى اقلعت من السويس عام ٢٤ قبل الميلاد والتى كان قوامها عشرة آلاف جندى جمعوا من مصر ومن المصريين والرومانيين ومن حلفائهم ومنهم ألف نبطى والتى كان دليلها قائدا من الانباط والتى أمضت شهورا تتوغل فى بلاد العرب نحو الجنوب حتى احتلت نجران وبلغت حدا بعيدا فى الجنوب الشرقى ·

ولقد كانت هذه الحملة واحدة من أهم الفرق الكبيرة والهامة لاتصال المصريين باخوانهم عرب الجزيرة ويذكر « سترابو » مؤرخ هذه الحملة وصديق قائدها جالوس اخفاق هذه الحملة التى كان أول بل آخر غارة ذات بال قصدت بها دولة أوربية اكتساح داخل الجزيرة العربية حيث ضللها دليلها النبطى وكان أن تم القضاء عليها والموت جوعا وعطشا فى الصحراء(٢٦) ·

وهكذا نرى انه عملا على تسيير الاتصال بين مصر وبلاد العرب عن طريق استخدام البحر الاحمر فان الامبراطور الرومانى تراجان (٩٨ ـ ١١٧م) أمر بحفر قناة تربط النيل بالبحر وكانت تخرج من النيل عند بابليون وتمر بهيليوبوليس وتلتقى بمجرى القناة القديمة التى حفرها بطليموس قبل دخولها وادى طميلات ·

ولقد كان ميناء عدن هو الميناء المهم على ساحل البحر الاحمر والذى اشتهر وعرف فى بلاد العرب وزادت أهميته عسكريا واقتصاديا واصبح موضعا هاما لاتصال العرب والمصريين ومكانا تبحر منه السفن الى الهند ·

---

(٢٦) فيليب حتى : تاريخ العرب · جـ١ ص ٥٨ ·

وقد اقام الرومان فى هذا الميناء حامية كبيرة لحماية التجار الداخلين الى مصر عن طريق البحر الاحمر حيث نشطت تجارة الاسكندرية مع الهند نشاطا كبيرا فى عهد الامبراطور الرومانى (كلاوديوس ٤١ ـ ٥١م) واولى هذا الامبراطور عناية لتامين الملاحة فى البحر الاحمر ونشر النفوذ الرومانى فى تلك الاقصاع ٠

وهكذا وطد الرومان نفوذهم فى ميناء عدن ، وان ذلك كان احدى الخطوات التى اقتضاها تامين التجارة مع الهند ازاء ازدياد قوة مملكة اكسوم الحبشية منذ منتصف القرن الاول الميلادى ، لكن الرومان وقفوا لها بالمرصاد وقضوا على محاولات اكسيوم وبسطوا نفوذهم على مملكة الحميريين وتم لهم الاستيلاء على عدن وجزيرة سقطرى[٢٧] ٠

(٢٧) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٢ ص ٩٨ ٠

(ج) مملكة تدمر وحكم مصر والسيادة العربية الكاملة

وقد رأينا كيف ان الصلات بين مصر والامارات العربية التى ظهرت فى شبه الجزيرة كانت قوية الا أن مصر كانت لها علاقات وصلات أقوى بمملكة تدمر العربية أو بالميرا ، تلك الدولة التى ظهرت فى وسط بادية الشام وكانت ملتقى خطوط القوافل التجارية وهى محطة للتجارة بين الشرق والغرب فضلا عن انها كانت على طريق التجارة بين الجنوب والشمال ، ولم تمضى فترة قصيرة على ظهورها حتى كانت تدمر هى العمود الفقرى للتجارة العالمية قبل الميلاد وصار سوقها القديم بين الهند والفرس والعراق وسوريا وفلسطين ومصر وأوربا قبلة كل التجار وكانت على اتصال وثيق بمصر وبلاد الشام ٠

وهكذا أصبحت هذه القاعدة الصحراوية (تدمر) ملتقى جميع القوافل وتبوأت طوال القرنين الثانى والثالث للميلاد أعلى مراتب الثروة والجاه بين مدائن الشرق ووصلت الى قمة مجدها فى الفترة ما بين ١٣٠ ـ ٢٧٠ ميلادية (١٤٠ سنة) وأصبحت تدمر الوراثة الحقيقية للبتراء ، على أن صلات مصر بتدمر لم تقتصر على الجانب التجارى والاقتصادى ، بل أن نفوذ تدمر قد امتد فأصبح حاكم تدمر (اذنيبى) قائد عام لجيوش روما فى الشرق وتمت له السيادة على مصر وآسيا الصغرى بصورة اسمية ولما توفى (اذنيبى) تولت زوجته (الزباء) الحكم ومضت فى خططها بضم الاراضى والديار المصرية وآسيا الصغرى الى سلطانها ٠

ففى عام ٢٦٨ ميلادية قامت الزباء بدور كبير فى تحرير مصر من حكم روما حيث أبدى كثيرا من رجال الشام استعدادهم لمساعدة جيش تدمر بكل ما يحتاج اليه لفتح مصر ٠ حيث تحرك القائد التدمرى (زيدا) على رأس سبعين الف رجل ونجح هذا الجيش العربى فى فتح مصر عام

٢٦٨ ميلادية ثم ترك بهـا حامية مكونة من خمسة آلاف جندى ولكن عامل مصر الرومانى عـاد الى مصر وحارب التدمريين فرجع الجيش التدمرى العربى الى مصر وهزم الرومان عند بابليون (الفسطاط) بعد ذلك واستولت الزباء على مصر عـام ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ميلادية) وكان الامبراطور الرومانى مشغولا بمقاتلة القوط والالمـان وغيرهم فلم يستطع أن يحـرك سـاكنا ازاء سيطرة التدمريين على مصر لكن الزباء اعترفت بحـكم مصر تحـت سـيادة رومـا(٢٨) ٠

وتوفى الامبراطور والرومانى عـام ٢٧٠ ميلادية وقرر خلفه القضاء على حكم الزباء بعد الانتهاء من فتنة روما وتأديب الجرمان ، لكن ازاء ذلك فان الزباء حاكمة تدمر ومصر وآسيا الصغرى نقضت اتفاقيتها مع الرومان وضربت النقود خالية من صورة الامبراطور ونودى بابن الملكة الزباء ملكا على مصر وبقيت هى وابنها فى مصر تحت حكم أغسطس ، ثم سحبت القسم الاكبر من جيش تدمر من مصر لتشترك فى مهاجمة الامبراطورية الرومانية فانتهز الرومان فرصة انسحاب التدمريين وهاجموهم وانتصروا عليهم وكانت هذه أول هزيمة تلحق بقوات الزباء وذلك عام ٢٧١ ميلادية ومن ثم انقطع ضرب النقود التدميرية بالاسكندرية(٢٩) ٠

ولكن تدمر لم تلبث أن قامت بالثورة ومن بعدها الاسكندرية لارتبـاط البلدين بروابط سلالية وعرقية اضـافة الى الصلات الاقتصادية الوثيقة فعـاد الامبراطور الرومانى أورليانوس الى الشرق وقضى على الفتنة بها ، لكن قصة تدمر وعلاقاتها الوثيقة مع مصر ذات دلالة عميقة وهامة علـى وحدة المشاعر والمصالح بين المصريين والعرب منذ القدم ٠

وهكذا فى كل ما عرضـنا له من أوجه العلاقات والصلات مع الامارات والدول العربية التى ظهرت فى بلاد الشام وشـمال غرب الجزيرة العربيـة أو جنوبها الغـربى (اليمن وحضرموت) ندرك تمـام الادراك مدى العمق

---

(٢٨) فيليب حتى : تاريخ العـرب ٠ جـ١ ص ١٠٠ ٠

(٢٩) ابراهيم نصحى : نفس المرجع ٠ ص ١٢٣ ٠

الزمنى فى هـذه الروابط ومدى الارتباط السلالى والعلاقات العرقية ومدى الترابط الثقافى والاقتصادى حيث ان كل هذه الصلات كانت توضح اصل الروابط ووحدة الجنس ٠

ولقد ظل ميناء مخا Maza اضافة الى ميناء عدن Arabia Endaemon على ساحل اليمن على البحر الاحمر هو اهم ميناء على هذا الساحل ٠ وكانت تصل اليه السفن البيزنطية والسفن الواردة من مصر تتزود ببضائع البلاد العربية أو تبيع فيه ما استوردته من مصر وسواحل البحر الابيض وكانت بهذا الميناء جاليات مصر واليونان أو من غيرهم من الشعوب مقيمة هناك للاتجار والتعامل مع الوطنيين(٣٠) ٠

ولقد استمرت الصلة والعلاقات بشكل مستمر بين العرب والمصريين فى العصر الرومانى حيث ان تجارة الشرق كانت تخترق باب المندب محملة بالافاوية والاخشاب ومنتجات الهند والصين وكانت تخترق البحر الاحمر ثم ترسو فى الموانى البيزنطية المنتشرة على سواحل هذا البحر والتى ورثتها روما عن البطالمة وكانت هذه البضائع تفرغ فى القصير ثم تحملها القوافل عبر دروب ومسارب الصحراء الشرقية الى قفط ومنها تشحن فى مراكب من قفط الى الاسكندرية ، غير ان هذا الوضع لم يستمر ، فبعد أن كانت التجارة مزدهرة فى مصر فى العصر الرومانى اخذت تتعثر فى العصر البيزنطى ، لان موانى البحر الاحمر فقدت أهميتها بحيث لم يبقى منها الا ميناء القلزم (السويس) وذلك بسبب منافسة الفرس الشديدة التى اقتضت تحويل جانب كبير من التجارة الشرقية الى الخليج الفارسى ٠ لكن الامبراطور البيزنطى (يوستيانوس) عمل على التخلص من وساطة الفرس فى التجارة الشرقية واعادة النشاط التجارى فى البحر الاحمر الى سابق عهده لكنه لم يحقق فى ذلك نجاحا(٣١) ٠

وهكذا نرى كيف ان العصر الرومانى قد شهد قيام مملكة تدمر العربية بغزو الديار المصرية وحكمها بل وضمها الى الكيان العربى لكى

(٣٠) عبد الله خورشيد البرى : نفس المرجع ص ٢٨ ٠
(٣١) مراد كامل : تاريخ الحضارة المصرية جـ١ ص ٢٠٧ ٠

تعود الى سابق عهدها متخلصة من الحكم الرومانى ، لكن فترة الحكم لم تدم طويلا (٢٦٩ ـ ٢٧١م) لكن لم تكن هذه هى المرة الاولى التى يقوم فيها جيش عربى بغزو الديار المصرية بعد أن وضحت المعالم المصرية لكن القوات العربية كما سبق القول قد اشتركت فى غزو مصر عسكريا فقد اشتركوا منذ عدة قرون مضت مع الحملة الفارسية التى قادها امبراطور الفرس قمبيز الذى استطاع غزو مصر عام ٥٢٥ قبل الميلاد وساعد فرسانهم الامبراطور الرومانى يوليوس قيصر فى الاستيلاء على الاسكندرية عام ٤٧ قبل الميلاد ، ثم عاد العرب فاشتركوا فى الجيش الفارسى الذى غزا مصر عام ٦١٧ ميلادية ٠

كذلك فان الهجرات العربية رغم كل هذه الصلات قد كانت مستمرة ومتصلة ومن ذلك ما يذكره المؤرخون عن آخر هجرة عربية تمت قبل الاسلام الى مصر تلك الهجرة المكثفة التى قام بعض بطون خزاعة حيث خرجوا فى الجاهلية الى مصر وبلاد الشام واستطاعوا الدخول الى الديار المصرية لان بلادهم كان قد أصابها القحط والجدب(٣٢) ٠

ويذكر بتلر فى كتابه فتح العرب لمصر ان الجنود التى فتح بها كسرى مصر فى أواخر عام ٦١٨م واستطاع السيطرة عليها كانت هذه القوات تضم كثيرا جدا من العناصر العربية من بلاد الشام ومن الجزيرة العربية وكان هؤلاء الجنود يصلون نسبهم وعرقهم وسلالتهم الى الفلاح المصرى والذى كانت بينهما صلة الود والرحم والدم والى هذه العلاقة بين العرب والشعب المصرى يذكر بتلر كيف ان البلاد بسبب وجود القوات العربية قد مالت الى التسليم للفرس بعد هزيمة الروم ولكن هذا السبب قد أضعف الفرس وسبب لهم خسارة ما فتحوه عندما تمرد عليهم الجند العربى المقيم فى مصر(٣٣) ٠

وهكذا نرى كيف كانت الصلات العربية المصرية تأخذ أبعادا مختلفة عبر الازمان بنضالها وتوثيقها وعدم انفصامها ٠

---

(٣٢) محمد كامل حسين : أدب مصر الاسلامية ص ١٦
(٣٣) بتلر : فتح العرب لمصر ٠ ص ٧٣ ٠

الفصل الحادى عشر

مصر تحت حكم البطالمة والرومان
(٣٣٢ قبل الميلاد ـ ٢٨٤ ميلادية)

كما سبق القول كان الفرس يتمتعون بالسيادة على البحار لذا فـان الاسكندر المقدونى قرر القضـاء على سيادتهم البحـرية بالاسـتيلاء على قواعد الاسطول الفارسى واستولى على شواطىء آسـيا الصغرى وفينيقيا ومصر وبلاد الشمال الافريقى (برقة) وتم فتح مصر فى خريف عام ٣٣٢ قبل الميلاد وضمن اخلاص المصريين وخضوعهم له ووضع أسـاس بنـاء مدينة الاسكندرية ثم تحرك من مصر شرقا عام ٣٣١ قبل الميلاد وهزم دارا ملك الفرس فى نفس العـام فى موقعة جوجميلا Qugamela ثم أوغـل فى وسط آسـيا حتى وصل الى اقليم البنجاب بالهند للاستيلاء على كل ولايات الامبراطورية الفارسية ومات الاسكندر عام ٣٢٣ قبل الميلاد وبوفاته يبدأ العصر الاغريقى وظل هذا العصر حتى موقعة اكتيوم عام ٣١ قبل الميلاد تلك المعركة التى بسط الرومان نفوذهم وسلطانهم على مصر بعدها ٠

لكن الامبراطورية انقسمت بين قواده وكانت مصر من نصيب القـائد بطليموس الذى أسس أسرة البطالمة التى حكمت مصر ما يقرب من ثلاثمائة عام من عام ٣٢٣ قبل الميلاد الى ٣٠ قبل الميلاد ٠ وحكم البطالمة مصر وسعوا الى اقامة علاقات خارجية لتصريف ما يفيض عن الانتاج المصرى وكانت الجبهة الاسيوية العربية السامية تخظى باهتمـام كبير من حكام البطلمية وكانت المجموعة الاسـيوية هى المجموعة التى تتـكيف مـع سياسة مصر الاسيوية وكانت مـراكز الحضـارة السـامية الاسيوية لهـا نشـاط كبير بالسياسة المصرية حيث كان من الطبيعى أن تكون للجبهة العربيـة السامية الاسيوية شأن كبير فى السياسة المصرية ٠

وقد استأثرت هذه الجبهة بالسياسة المصرية وكانت المراكز الحضارية الشرقية تشد أبناء مصر نظرا للبعد السلالى والعرقى والجنس والاصل الواحد ودوام الصلات والروابط ٠

وقد شهد عصر البطالمة أفول الحضارة الشرقية حيث كانت الحضارة الاغريقية تقفز قفزات الى الامام ووصلت سريعا الى ذروة المجد حيث كانت كل هذه المراكز الشرقية قد دخلت فى حظيرة الامبراطورية التى أسسها الاسكندر الاكبر(١) ٠

ولقد كان البطالمة يريدون توسيع رقعة الاراضى المصرية باقامة امبراطورية كبيرة وكان ذلك يحتم بناء جيش كبير وأسطول قوى لذلك لتحقيق سياستهم الخارجية وكانت مصر فى حاجة الى الاخشاب والمعادن اللازمة من الخارج وكانت طريقة الحصول على ذلك هى الاستيلاء على بعض الاقاليم القريبة الغنية بالأخشاب والمعادن وكان بناء الجيش والاسطول يستدعى قدوم الاغريق لبناء جيشهم وأساطيلهم ٠

وكان ظهور الاغريق فى الاراضى المصرية منذالقرن السادس قبل الميلاد أى ثلاثة قرون قبل الاسكندر والذين اقاموا بصفة أساسية فى مدن الدلتا وتحت حكم الاسرة السادسة والعشرين كان بسماتيك الاكبر قد شجع اليونانيين على الهجرة الى مصر بمساعدته فى حروبه ٠ ويبدو ان هذه الاعداد الاغريقية لم تكن قليلة حيث واجه الحكام بعد بسماتيك عدة مشاكل اقتصادية واجتماعية خطيرة من أثر اتساع نطاق هجرة اليونانيين الى الدلتا فعمل على تركيزهم فى مناطق معينة أهمها ما عرف بعد ذلك باسم نيقراطيس (نقراش قرب نبروة البحيرة) حتى اذ جاء الاسكندر عام ٣٣٢م كان سكان المدن المصرية الكبرى خليطا من أجناس مختلفة منها الفرس والاغريق على أن التسلل الاغريقى لم يلبث أن تحول الى غزو فأتى هجرة عسكرية مع الاسكندر والبطالمة من بعده فقد شهدت مصر خلال القرن الرابع

(١) ابراهيم نصحى : مصر فى عصر البطالمة (تاريخ الحضارة المصرية) جـ٢ ص ٨ ٠

قبل الميلاد هجرة يونانية قوية حقيقية لكن هذه الهجرة فقدت قوة اندفاعها وتضاءلت اعدادها بعد ذلك أواخر العصر البطلمى لكن بعد أن كانت قد حققت حجما مؤثرا وتحولت الى استعمار استيطانى(٢) ٠

ولقد اختلفت التقديرات فى عدد الاغريق الذين كانوا يعيشون فى الديار المصرية فى ذلك فبعضا قدرهم بأكثر من مائة وخمسين ألف نسمة (١٥٠ الف نسمة) والبعض الآخر قدر عددهم بانهم كانوا لا يتجاوزون أكثر من ٢٪ من مجموع سكان مصر ٠ ولو صح هذا التقدير الذى ربما يكون مبالغا فيه لمحاولة عدم القول بالعروبة المصرية ١٠٠٪ ليكون ذلك أول استعمار استيطانى يذوب فى البوتقة المصرية الذى صهرته وحواه تراب مصر فى باطنه بمرور الزمان وصار بالاختلاط والتمصر عربيا سلاليا عبر اغوار القرون الاثنى عشر التى سبقت الفتح الاسلامى لمصر ٠

ورغم انعزال الاغريق واليونانيين فى المدن فان هذا لم يمنع شيوع التزاوج مع المصريين فرغم ان الزواج المختلط بين العنصرين كان يحتوى داخل المدن الاغريقية فقد كان للاغريق المقيمين خارجها حق الزواج من المصريين ومن الثابت ان كل هذا كان يحدث على نطاق واسع خاصة بعد انقطاع الهجرة الاغريقية الوافدة وبهذا نشأت فى الريف جاليات مختلطة من الاغريق والمصريين امتصت فيما بعد بالتدريج فى جسم السكان المصريين وعلى أية حال جاء التوطن الاغريقى مدنيا فى المقام الاول فقد كانت مدينة نقراطيس هى المركز الرئيسى للوجود الاغريقى ثم الفيوم ثم فى الصعيد المنشأة بمحافظة سوهاج وذلك فيما عدا الاسكندرية التى وصفها يولينيوس بأنها شعب هجين ٠

كذلك كان للاغريق احياء كاملة فى منف ومدن الدلتا الكبيرة ومدن الصعيد مثل تونا الجبل بمركز ملوى محافظة المنيا ٠ لكن على أية حال فقد تركز الوجود الاغريقى فى الدلتا بالدرجة الاولى وفى شمال مصر بصفة خاصة وفى منطقة مريوط بالبحيرة والفيوم ٠

---

(٢) جمال حمدان : مرجع سابق جـ٢ ص ٢٨٢ ٠

وقد كان اقليم الفيوم والجيزة منعزلا عن السكان المصريين من حيث توزيعه الجغرافى ، لكنه كان استعمارا مستوطنا بل انه أقدم وانجح استعمار استيطانى فى مصر طالما انتشرت منه خلايا صغيرة زرعت نفسها فى مستعمرات حول سواحل البحر المتوسط(٣) ٠

وكانت الحاجة لبناء القوات العسكرية من أسباب قدوم هذه الهجرات نظرا لسعى البطالمة تنشيط وجودهم فى سوريا وفلسطين وفينيقيا وجزء من سوريا وقبرص وبرقة وشواطىء آسيا الصغرى الجنوبية ٠ وكان ذلك يقتضى فرض سيادة مصر على هذه المناطق ٠

وقد كانت الجبهة الاسيوية منذ أمد بعيد موضع اهتمام مصر ٠ وعندما ارتقى عرش مصر بطليموس الثانى كانت مصر اقوى دولة فى العالم الهلينى ووسع بطليموس الثانى نفوذه ازاء قبائل النبط فى البتراء العرب واخضاع السكان الادوميين والبحر الميت وشرق الاردن وذلك لضم هذه العناصر فى وحدة عربية مع مصر ولضمان الحصول على التجارة الشرقية القادمة من بلاد العرب وطريق البحر الأحمر ويتصل الهدف نفسه اهتمامه بربط وادى النيل بالبحر الاحمر(٤) ٠

وهكذا فان السياسة التى سار عليها بطليموس الاول سار عليها بطليموس الثانى وأصبحت سياسة تقليدية لدى كل ملوك البطالمة نحو بلاد العرب والاقاليم المجاورة لمصر فى الشرق واستطاع بطليموس الثالث الاستيلاء على كل الاراضى العربية حتى نهر دجلة وان الامبراطورية البطلمية وصلت الى أقصى اتساع لها فى عهد بطليموس الثالث وفى عهد بطليموس الرابع تم ادماج المصريين والعرب فى قواته وحقق انتصارا فى موقعة رفح عام ٢١٧ قبل الميلاد ٠

وبمرور الزمن فقدت مصر ممتلكاتها الخارجية ولم يبقى لها منها

---

(٣) جمال حمدان : المرجع السابق ٠ جـ٢ ص ٢٨٣ ٠
(٤) ابراهيم نصحى : نفس المرجع ٠ ص ١٠ ٠

سوى قبرص وبرقة ، وقد مهدت الاحداث الداخلية والخارجية فى مصر السبيل أمام روما لتبسط سلطانها الفعلى على مصر وان احتفظت مصر باستقلالها لاسيما ان مصر فقدت سيطرتها على الاجزاء العربية فى الشام وباءت محاولاتها بالفشل لاستعادة ذلك الجزء وبات محققا ان اسرة البطالمة ستزول ٠

وهكذا التهمت روما دولة البطالمة ٠ وكما سبق القول فان العصر البطلمى شهد ظهور ثلاث مستوطنات اغريقية فى الاسكندرية ، نقراطيس بالبحيرة ، بطو ليميس Ptolemais المنشأة بصعيد مصر ٠

وقد كان الاغريقى يعيش فى هذه المدن الاغريقية بعيدا عن المدن المصرية وان هذه المدن لم تتأثر نتيجة لوجودها الى جانب المدن المصرية وكان انشاء المدن الاغريقية فى مصر أمرا ضروريا يوفر لهم حرية العمل وكان الاغريق ينشئون مدينة لانفسهم كلما نزلوا فى مكان واتخذوه مستقرا دائما لهم ٠ ورغم ان الاغريق نتاج بيئة جزر البحر المتوسط الا ان التزاوج والاختلاط أدى الى فناء الجيل الاغريقى بعد سنوات فى الجيل المصرى(٥) ٠

ولقد كانت الاسكندرية بوصفها عاصمة البطالمة تجذب اليها الناس من جميع أنحاء القطر المصرى ولم تعد سكنى الاغريق والمقدونيين فقط بل انها اصبحت كما وصفها استرابون خزان عام نظرا لانه كان بها جاليات من أجناس مختلفة وكانت نقراطيس تشبه أى بلد مصرى وكذلك بطو ليميس غرب النيل فى اقاص الصعيد (المنشأة) لتكون مهد الحضارة الاغريقية فى الوجه القبلى والمؤكد ان الاغريق النازحين الى مصر لم يغادروها الى وطنهم الاصلى بعد نهاية سيطرتهم وعصرهم لكن ذلك لا ينفى رحيل بعضا من الاسر بعد زوال النفوذ الاغريقى والرومانى والذى ظل فى مصر شئ ذاب فيها ٠

---

(٥) جمال حمدان : نفس المرجع ٠ جـ٢ ص ٢٧٣ ٠

وقد شهد العصر البطلمى وجـود عناصر فارسية أو فرسى السلالة وان كان أكثرهم يحمل أسـماء مصرية أو اغريقية والقليل أسماء ايرانية وتشير الوثائق الى وجـود أعداد من الفرس أيام عهد البطالمة وكذلك فى العصر الرومانى وكان العـرب ومن ينتمى اليهـم كالسوريين والفينيقيين يعيشون فى مصر يمارسون حريتهم الدينية فى ظل التسامح الدينى ٠

وقد عمل البطالمة على اجتذاب الاغريق الى مصر والاستقرار بهـا دون جرح لمشاعر المصريين ولـما كثر عدد الاغريق وضـاقت بهـم المدن الاغريقية فانهم تفرقوا فى انحـاء الوادى واسـتقروا فى المدن والقـرى المصرية القديمة او القرى الجديدة التى انشأها لهم البطالمة وخاصة فى الفيوم ولا جدال فى أن أولئك الاجانب الذين وفدوا على مصر خـلال القرن الثـالث قبل الميلاد كانوا يكونون طبقة منفصلة عن سـكان البلاد ولكن الزواج بين المصريين والاغريق فى الشطر الاخير من حـكم البطالمة أصبح أمرا مألوفا وذلك عندما انقطع وفود أعداد جديدة من الاغريق وتمصـر الاغريق وحدث شىء من التقارب بين العنصرين ونشأت أسر مختلطة مصرية اغريقية وتتحدث الوثائق عن كثير ممن يحملون اسـماء مصرية اغريقية منذ القرن الثـانى قبل الميلاد دلالة على الجنسية(٦) ٠ وهذا يدل على حالات تزاوج بين المصريين والاغريق ٠

وقد شهد القرن الثالث قبل الميلاد انقطاع وفـود أعداد جـديدة من الاعريق وضـعفت الـروح الاغريقية بالزواج بينهم وبين المصريين وكان العـامل الذى أدى الى ضعف الروح الاغريقية فى مدن مصر الاغريقية له أثر قوى بطبيعة الحـال خارج هذه المدن ٠

وقد أسهمت عدة عوامل فى اضعاف الروح الاغريقية من الاغـريق سكان الاقاليم ، وانه لذلك فقد عبد بعض الاغـريق آلهـة مصرية وتعلموا اللغة المصرية وتزوجوا مصريات واتخـذوا أسـماء وعادات مصرية وبانتهاء عصر البطـالمة انتقلت مصر الى العصر الرومانى (٣٠ قبل الميـلاد ٢٨٤

---

(٦) ابراهيم نصحى : نفس المرجع ٠ ص ٧٠ ـ ٧٥ ٠

ميلادية) حيث اخذ نفوذ روما يزداد فى مصر منذ عهد بطليموس الخامس وفى عام ٥١ قبل الميلاد اندلع لهيب الحرب فى روما • وفى سبتمبر عام ٣١ قبل الميلاد حدثت معركة اكتيوم التى انتصر فيها أغسطس فى الاسكندرية وسقط حكم كليوبترة •

وهكذا ضمت مصر الى سلطان روما وفى فترة الوجود الاغريقى انتشرت الاسماء الاغريقية والتى كانت تنتهى عادة بالمقطع أو ا.ن وسوف نشير الى هذه الفترة عند الحديث عن مصر المسيحية ، لكن ما يمكن قوله انه اذا كانت فترة الاحتلال البطلمى قد شهدت قدوم أعداد كثيرة من الاغريق الا ان فترة الاحتلال الرومانى كانت مجرد حكم عسكرى بحت لم تصحبه هجرة ما ولا كان لها اثر جنسى يذكر • لاسيما أن عدد سكان مصر فى العصر الرومانى وبالذات فى عهد نيرون كان يصل الى سبعة ملايين نسمة ونصف مليون عدا سكان الاسكندرية وكان الرومان قليلى العدد فى البلاد • ولقد كان الاغريق يكرهون الحكم الرومانى •

وفى ظل الحكم الرومانى فان مصر قد أصبحت ولاية رومانية الا انه كان لها مكانة رفيعة بين ولايات الامبراطورية فى كثير من النواحى وكانت المعبودات المصرية لها دلالتها اذا قيست بمعبودات الشعوب الاخرى . بل استعارت البلاد العربية المعبودات المصرية لعبادتها وقد انتقلت آلهة مصر الى بلاد العرب بصفة خاصة كمظهر للصلات القديمة بين الوثنية المصرية والوثنية العربية ونضيف ان الآلهة المشهورة التى ورد ذكرها فى القرآن وهى اللات والعزى ومناه ، بل غيرها أيضا يمكن رد أصلها الى نظائر من آلهة مصر اسمها شبيهة بالاسم العربى ووصفها شبيه بوصف مصر لتلك الآلهة وعملها فاسمها ورسمها مصريان ، فاللات مثلا هى معبودة مصرية اسمها المصرى شبيهة بالاسم العربى ويرمز لها فى مصر الى الحصاد فى حين يذكر فى العربية ان هذا الاسم مشتق من لت السويف المتخذ من الحنطة والشعير(٧) •

(٧) مراد كامل : مرجع سابق • ص ٢٠٧ •

بل أكثر من ذلك فان المؤرخ ديودر الصقلى لاحظ ظاهرة عندما زار مصر فى القرن الاخير قبل الميلاد فقد ذكر كيف ان فريقا من المؤرخين يجاهر بأن قبرى الالهين ايزيس وأوزيريس يوجدان فى (نيسا) من بلاد العرب وانه قد أقيم هناك لكل من هذين الالهين نصب نقشت عليه كتابات بالحروف المقدسة ٠

كما أشار الجغرافى والمؤرخ اليونانى سترابون المعاصر لديودور الى الظاهرة نفسها حين سجل فى كتابه مجموعة من القصص التى يرويها المصريون فى زمانه عن وجود تمثال لايزيس فى بلاد العرب وذهب الاله ايزيس الى مدينة « نيسيا » من بلاد ومدن العربية السعيدة حيث تعلم زراعة الكروم فيها وحيث شرب النبيذ ومن المهم أن نعرف أن سترابون قد ذكر ان العرب كانوا على الطرف الثانى من الخليج العربى أى البحر الأحمر ما بين مصر والحبشة على الساحل المسمى « تروجادونا » Tragladytiea وهى امتداد الساحل الافريقى على البحر الاحمر وكانت ماهولة بالعرب(٨) ٠

ولقد رغب الامبراطور الرومانى « هارديان » مؤسس مدينة (أنطونيو ويوليس) من صبغ المصريين بصبغة اغريقية عن طريق مزجهم مع الاغريق فى بيئة واحدة تسودها المؤثرات الاغريقية ولقد أبيح الزواج فى هذه المدينة ، لكن تحدثنا وثيقة من القرن الثانى الميلادى بأن التزاوج بين المصريين والاغريق كان يعتبر غير مشروع فى نقراطيس ومن المرجح أن يكون هذا الحال فى الاسكندرية وبطو ليميس وهذا النص ينطوى ضمنا على ان التزاوج كان غير مشروع على الاقل فى المدن الاغريقية الاخرى ولكن لما نص عليه فى مدينة انطينوبوليس انه كان يعيش خارج هذه المدن الثلاثة العديد من الاغريق ٠

ولقد كان عامة الاغريق لا ينتمون الى طبقة اجتماعية ممتازة فانه لم يحظر تزاوجهم مع المصريين قانونا ولعلهم نتيجة لطول استقرارهم فى

(٨) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٠ جـ٢ ص ٤٠٤ ٠

البلاد وعدم ممارستهم الحيـاة الاغريقية مع اختلاطهم بأهالى البـــلاد وتعبدهم الى الآلهـة المصرية أصبحوا شديدى الشبه بالمصريين وتزوجـوا منهـم ولـم ينقض وقت طويل قبـل أن تستوعبهم الامــــة المصرية فيحسن استوعبيتهم(٩) ٠

ولـما كان المصريون العرب لاسيما فى مدينة طيبة بصعيد مصر الاعلى يرون فى الوجـود الرومانى مظهرا غريبـا عن جسم الامة المصرية العربية وممثلا اجنبيا فانهم كما قاموا بالثورة على البطالمة من قبل فانهم قاوموا الفتح الرومانى حيث لم تمض سوى شهور قليلة حتى هب المصريون ثائرين على الغزاة الجدد وقادت طيبة لواء الثورة فكما أقضت مضاجع البطالمة يتزعمها الحـركات الثورية ضـدهم فان الثورة ضد الرومان بلغت حـــد الخطورة مما حذا بأول حاكم رومانى لمصر (جالوس) الى تجريد حـملة قوية لقمعها ولم تذكر المصادر القديمة تشوب اية ثورة عامة بين المصريين بعد ذلك الا الثورة المعروفة بحـرب الرعاة التى وقعت عام ١٧٢ ميلادية فى منطقة الدلتا الساحلية شرق الاسكندرية واستطاع المصريون هزيمـة الكتائب الرومانية التى تصدت لهم حتى خاف الرومان على سقوط الاسكندرية فى أيدى المصريين ولجأ الحـاكم افيديوس الى حيلة الفرقة والمفاوضـات وانتصر على الثوار(١٠) ٠

وبهذا فان السيطرة الرومانية وقبلها البطلمية لم تجـد قبولا لـدى الشعب المصرى ذو الاصول العرقية العربية الذى كان يحس بعمقه العـربى السلالى بأن الثورة التى كان يتزعمها رجـال الدين كما حدث فى ثورة عام ١٧٢ ميلادية التى قادها كاهن مصرى يدعى « أسيدوروس » والتفت حوله جـموع غفيـرة كان من الممـكن أن تنجـح فى اجـــلاء الرومـان عن الاسكندرية ٠

---

(٩) ابراهيم نصحى : مرجع سابق ٠ ص ١٨٠ ٠

(١٠) ابراهيم نصحى : نفس المرجع ٠ ص ١٨٦ ٠

.. وهكذا اتصلت بلاد العرب بمصر ابتداء من عصر ما قبل الاسرات حتى نهاية الحكم الرومانى فى مصر أى طوال قرنا واحد وأربعين قرنا ونصف قرن من الزمان وان هذه الصلات لم تنقطع أو تتخلف فى عصر من العصور وانما استمرت فى اطراد دائم ومستمر وكانت صلات واقعية قوية فرضت نفسها على الجانبين العربى والمصرى العربى ولم تقف فى وجهها أية عوائق طبيعية لان السلالة الجنسية والعرقية والجينية واحدة فهى صلات جنسية سلالية قبل أن تكون صلات لغوية أو ثقافية فكرية أو سياسية عسكرية ، انما هى صلات حية قوية متجددة بمرور الزمن لم تقف فى أية مرحلة من هذه المراحل الطويلة التى تزيد عن أربعة آلاف سنة ونصف قرن ان لم تكن تزيد عن عشرة آلاف سنة من الآن حيث ان الصلة القديمة تعود الى الاصل الواحد منذ أكثر من ثمانية آلاف عام قبل الميلاد كما أشار الى ذلك كولين ماكيفيدى ٠

ولذا فانها تتجدد دائما بتجدد طبيعة الظروف ومقتضيات العصر فى استجابة سليمة لمطالب البقاء والنمو والازدهار والامتزاج بين الشعبين ومن هنا فان العلاقات العربية المصرية عميقة عميقة بل تصل فى عمقها الى أول انسان سار على أرض مصر(١١) ٠

---

(١١) عبد الله خورشيد البرى : مرجع سابق ٠ ص ٢٦ ٠

الفصل الثانى عشر

الشعب المصرى والمسيحية

دخلت المسيحية الديار المصرية عام ٦٨ ميلادية وذلك بعد منتصف القرن الاول الميلادى ولم تجد المسيحية قبولا واسعا بين أبناء الشعب المصرى نظرا لتمسك الشعب بالمعبودات والديانات المصرية القديمة واليونانية والرومانية وبعض الديانات الشرقية الاخرى ولاشك فى انه كانت هناك عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية وفكرية ونفسية جعلت المصريين ينظرون الى المسيحية نظرة تغاير الديانات المتعددة القديمة وان كانوا قد وقفوا منها موقف الرفض والمعارضة فى بادىء الامر ٠ متمسكين بعقائدهم الوثنية التى ظلوا يمارسونها منذ آلاف السنين(١) ٠

ومن هنا فان انتشار المسيحية كان فى أضيق الحدود ولم يتم بسهولة وانما تم بعد صراع جبار نظرا للدور الهام الذى قامت به مدرسة الاسكندرية اللاهوتية وعلماء المسيحيين وفلاسفتهم وكان عام ٦٨ ميلادية هو عام الشهداء عندما هاجم الوثنيين كنيسة الاقباط شرق الاسكندرية وقتلوا القديس مرقص الرسول بعد أن جروه بالحبال فى شوارع المدينة حتى مزقوا جسده ولم تكن المسيحية قد أوغلت فى نفوس الشعب نظرا لان الحكام الرومان كانوا يمثلون الديانة الوثنية ٠

وقد بدأ الصراع بين مصر المسيحية وحكامها الرومان منذ نهاية القرن الاول الميلادى ٠ وقد تم تحول بعض المصريين الى المسيحية من خلال صراع رهيب خاصة المصريون الذين يختلفون سياسيا مع الدولة الرومانية الحاكمة وصار أباطرة الرومان أعداء للشعب المصرى طوال العصر الرومانى ٠

---

(١) عبد الله خورشيد البرى : مرجع سابق ٠ ص ٢٥ ٠

وكان القرن الرابع الميلادى قد شهد اتساع نطاق الدخول فى المسيحية ومن هنا فقد اشتد الصراع مع اباطرة الرومان منذ الربع الاول من القرن الرابع الميلادى حتى عام ٦٤١م(٢) ٠ فترة دخول العرب الى مصر بقوة جديدة توطئه للالتحام باخوانهم العرب الذين سبقوهم على نطاق واسع فى سكنى الديار المصرية وللاندماج مع اخوانهم الذين رحلوا من الجزيرة العربية فى فترات زمنية سابقة ٠

وكان القرن الثالث الميلادى قد شهد وقوف الكنسية المصرية موقفا خالدا حيث ظهرت الرهبنة وازدهرت فى مصر منذ ذلك الوقت وحقق ذلك زعامة لمصر العربية المسيحية طوال القرون التى سبقت ظهور الاسلام وكسبت مصر طابعا دينيا واضحا اذ وقفت مصر من هذه البلاد موقف التبشير والتعليم(٣) ٠

وشهدت مصر كثيرا من الاضطهاد للمسيحيين والتى كان اكثرها شدة عام ٢٨٤ ميلادية حيث أحرقت الكنائس والكتب المقدسة وفى كل هذا ضرب الشعب المصرى وبطاركته أروع المثل فى الاستشهاد واشتهر اسم الاسكندرية فى العالم كله ٠

ومن المظاهر الواضحة فى هذه الفترة ان الاباطرة كانوا كثيرا يعزلون البطريرك ويعينون بطريركا آخر محله ٠ ولم ينتهى عام ٣٩٥ ميلادية حتى كانت الدولة الرومانية قد اعترفت بالديانة المسيحية وكانت الوثنية حتى ذلك الوقت لاتزال عقيدة لغالبية الشعب المصرى حيث كانت لا تزال المعابد الوثنية للديانة المصرية القديمة تمارس طقوسها الوثنية(٤) ٠

---

(٢) مراد كامل : مرجع سابق ٠ ص ٢١٠ ٠

(٣) عبد الله خورشيد البرى : نفس المرجع ٠ ص ٥٥ ٠

(٤) مراد كامل : نفس المرجع ٠ ص ٢١٧ ٠

لكن اعتراف الدولة بالمسيحية كان ايذانا بتحويل المعابد الوثنية الى كنائس · لكن فى عهد اركاديوس ٤٠٨ ميلادية بداية القرن الخامس الميلادى شهد عهده فترة سلام وعمران ، لكن فى عهد الامبراطور الصغير ثيودوسيوس الصغير الثانى (٤٠٨ ـ ٤٥٠م) ازداد نشاط البطاركة ونشروا المسيحية على نطاق واسع ودافع هذا الامبراطور الصغير عن الايمان المسيحى ·

لكن عهد مرقيانوس (٤٥٠ ـ ٤٥٧ م) شهد صراعا بين المسيحيين واباطرة الدولة الرومانية وشهد عصره الاضطهاد الكبير حيث ظهر الخلاف بين كنسية روما وكنسية الاسكندرية حيث عرف أنصار كنسية روما بالكاثوليك واتباع كنسية الاسكندرية بالارثوذكسى ، لكن الشعب المصرى فى عهد الامبراطور ليون الاول (٤٥٧ ـ ٤٧٤م) قام بثورة عنيفة ثم تمتعت الكنسية بفترة هدوء خلال فترة حكم الامبراطور زنيون (٤٧٤ ـ ٤٩١م) واستمرت فترة الهدوء خلال حكم انسطاسيوس (٤٩١ ـ ٥١٨م ·)

وفى هذا العهد توطدت أواصر التعاون بين كنيستى الاسكندرية وانطاكية لاتفاقهما فى الايمان الواحد ولما تولى الامبراطور « يوسنيوس » (٥١٨ ـ ٥٢٧م) حاول ارغام كنسيتى الاسكندرية وأنطاكية على قبول معتقدات مجمع خلقدونية ثم توالى الاباطرة الرومانيين والبطاركة المصريين حتى كان عام ٦٢٢ ميلادية عندما تولى بطريركية الاسكندرية الانبا بنيامين الذى عاصر الفتح العربى لمصر ·

وكان الانبا بنيامين عام ٦٣١م قد اختفى هو وسائر اساقفة مصر جميعا وظل يتنقل بين الكنائس والاديرة دون أن يقع فى ايدى الرومان ولكن هذه الحالة لم تستمر طويلا اذ اتى عمرو بن العاص بجيوشه العربية الى مصر وفتحها ·

وعلى هذا فانه مهما يكن القول عن ترحيب الشعب المصرى الشرقى السامى بالمسيحية فى بلادها وازدياد اعتناقها بين الرعية لكن يبقى هنا سؤال هل كانت مصر كلها شعبا وقيادة تدين بالمسيحية عندما قدم

العرب الى البلاد عام ٦٤١م هذا السؤال لم استطيع أن اجيب عليه وكذلك المراجع التى توصلت اليها لكن يمكن القول ان غالبية الشعب المصرى كانت تدين بالمسيحية وان كانت هناك أعداد بسيطة ربما لم تكن حتى ذلك الوقت قد اعتنقت المسيحية نظرا للصراع الطويل بين الكنسية وأباطرة الروم وانه ربما تكون قد ضعفت عقيدتها المسيحية من قبلها نظرا للاختلاف بين الكنسيتين الاسكندرية وكنسية روما نظرا لهروب الانبا بنيامين منذ عام ٦٣١م حتى ٦٤١م لكن ارتبطت المسيحية بالقومية المصرية ورأى الشعب المصرى فى ذلك الوقت ان المسيحية هى حصنه المقدس ضد الرومان هى احتضانة وانتمائية لعقيدة المسيحية الارثوذكسية ٠

وهكذا كانت فترة المسيحية التى ربما تصل الى ستة قرون الا قليلا عبارة عن شعور بالارتباط بالشرق وأرض الميلاد فى بيت لحم فى فلسطين ، لكن يلاحظ ان الدكتور جمال حمدان فى كتابه شخصية مصر قد أورد لنا قائمة بأسماء تأخذ طابع المسيحية فى مدلولها لكنها ليست أسماء مسيحية استطاع أن يصل الى حصرها من دائرة المعارف البريطانية Encyctopaedia Britannica ودائرة المعارف الفرنسية Dictionnaire Larousse وهذه الاسماء لم ترد فى الانجيل أو التوراة وربما تكون شائعة بين اليونان والايطاليين والاوربيين(٥) ٠

ومنها ارمانيوس ، اندرواس ، اثناسيوس ، اقلاديوس ، اغناطيوس ، اسطفان ، اسطفانوس ، باخوم ، باسيدى ، باسيليوس ، بقطر ٠ باستير ، سيتاورو ، بسطوروس ، بولس ، تادرس ، تاوضروس ، تاوفيليس ، نيطس Titas ، Tito ٠ بطرس ، يسالى ، تاوفيليدس ، ساويرس ، سرجيوس ، فلتس ، فلتاؤس ، قلدس ، أقلاديوس ٠ غرغورى ، مرقص ، مقار ، منقريوس ، تضاريوس . وغيرها العديد من الاسماء التى لم تكن لها أصول مصرية قبل انتشار المسيحية أو فى وقت انتشار المسيحية والتى هى عبارة عن أسماء اغريقية وربما كان وجودها يشير

---

(٥) جمال حمدان : مرجع سابق ٠ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ٠

الى الاثر الجنسى للوجود الاغريقى ، وربما استعارها بعض المصريين من اليونان وظلت قائمة حتى وقتنا الحاضر ٠

لكن الفترة المسيحية التى انتشرت فيها هذه العقيدة كانت فترة اتصال مستمر مع الجانب العربى السامى فى بلاد الشام والجزيرة العربية وان العلاقات والصلة كانت متصلة وان كانت المسيحية لم تنتشر على نطاق يذكر فى شبه جزيرة العرب لكنه كانت منتشرة فى فلسطين والاردن والعراق ووجد الرهبان المصريين طريقهم الى اخوانهم العرب فى بلاد الشرق حيث انتشرت الرهبنة فى هذه المناطق وظهرت الاديرة على النمط المصرى وبوجود الرهبان المصريين(٦) ٠

ولكن ليس هذا فقط فقد عاش المصريون فى الحجاز فى العصر المسيحى وبالذات فى مكة ويثرب نفسها ففى سيرة ابن هشام وفى أخبار مكة للارزقي ان الكعبة طغى عليها قبل ظهور الاسلام أو على وجه التحديد قبل بعثة النبى ﷺ بخمس سنوات (٦٠٦م) سيل عظيم صدع جدرانها فأعادت قريش بناءها مستعينة فى ذلك بنجار (خشاب) قبطى كان يسكن مكة وان اسمه كان بيلقوم وجاء فى كتب الطبقات ان جبر بن عبد الله القبطي كان أحد الصحابة الذين أخذوا عن النبى ﷺ رسالة الاسلام(٧) ٠

ولذلك يفخر قبط مصر بذلك وقد كان هو رسول المقوقس الى النبى ﷺ ومعه مارية القبطية أم ابراهيم والهدية ثم صار والى غفار واختط قصرا بمصر وتوفى عام ٦٣هـ ٠

وكان عمرو بن العاص الذى قدر له أن يقود الجيش العربى الذى فتح مصر عام ٢٠هـ تاجرا فى الجاهلية وكان يأتى الى مصر بتجارته من العطور عام ٢٠هـ تاجرا فى الجاهلية وكان يأتى الى مصر بتجارته من العطور والجلود وكان يشهد أعياد أهل الاسكندرية والعابهم ولما بعث النبى ﷺ

---

(٦) مراد كامل : مرجع سابق ص ٣١٢ ٠
(٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ٠

رسوله الى المقوقس عظيم القبط فى مصر يدعوه الى الاسلام ، اكرم المقوقس الرسول وارسل معه هدية الى الرسول ﷺ وبعد ان اتم العرب فتح بلاد الشام وقبل أن يبدأ العرب فتح مصر انتقل بعض عرب غسان الى مصر بقيادة ابى ثور عامر بن صعصعة فاقطعهم حاكم مصر منطقة تنيس وقد ذكر المسعودى ان عددهم كان عشرين الف رجل وكان ابن صعصعة يحكم تنيس حين سار اليها المسلمون بعد أن فرغوا من افتح دمياط ويذكر ابن عبد الحكم أن قوما من لخم كانوا وقت مسيرة عمرو بن العاص الى مصر يقومون على تخومها الشرقية وانهم كانوا يعرفون لغة القبط ويذكر ابن عبد الحكيم ان قوما من لخم كانوا وقت مسيرة عمرو بن العاص أيام حصار المسلمين له(٨) ٠

وكان العرب يحسون احساسا واضحا بما بينهم وبين المصريين من صلة دماء ورحم وقرابة جنس وسلالة واحدة وجينية تعود الى ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد اضافة ان هاجر المصرية التى اهداها صاحب مصر الى ابراهيم ابو الانبياء عليه السلام حين دخل مصر مع زوجته سارة هى ام للعرب المستعربة وخؤوخئولية المصريين لابراهيم ابن سيدنا محمد ﷺ من امه مارية القبطية وكيف ان اهل مصر كانوا افضل العناصر واقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة(٩) ٠

لكن من حيث الاتصال بانتشار المسيحية ودورها فى الحياة المصرية يذكر الدكتور حسين مؤنس انه كان لاختلاف المذاهب النصرانية قد وصلهم الى حد تعرض فيه أصول العقيدة النصرانية للابهام والغموض فى نظر العامة ولم تكن العقيدة المسيحية اذ ذاك محددة المعالم أو مستقرة القواعد وكانت المجامع الدينية تسعى نحو التحديد ولكن شئون المجامع شابها اهواء الاشخاص وعصبيات النواحى وافسد أمرها تدخل الاباطرة لاغراض سياسية وشخصية ٠

---

(٨) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ٠ ص ٦٢ ٠
(٩) ابن عبد الحكم : المرجع السابق ٠ ص ٣٥٢ ٠

وكان رأى مسيحى مصر هو القول بطبيعة واحدة للسيد المسيح وقد كسب رأى المصريين انصار فى بلاد الشام وآسيا الصغرى بل فى القسطنطينية نفسها واستيقظت القومية المصرية بحيث صار القول بالطبيعة الواحدة مظهراً من مظاهر القومية المصرية لكن الدولة البيزنطية بذلت أقصى جهدها حتى انتصرت على المصريين فى مجمع خلقدونية وبذلك انفصل المصريون انفصالا روحيا عن كنيسة القسطنطينية وكنسية روما أيضا واستعملت بيزنطة أقصى وسائل الاضطهاد مع المصريين ٠

ولقد كان من اثر ذلك ضعف أمر المسيحية فى مصر ضعفا شديدا وتبلبلت افكار الناس بحيث انه لا يمكن القول انه عندما تم فتح مصر كانت هناك وحدة دينية أو مذهبية على الاقل حتى ذهب بعض مؤرخى المسيحية الى القول بأن المسيحية لم تتغلغل فى أعماق النفس المصرية وقال « ليفيفر » ان المسيحية لم تغير شيئا من روح الجنس المصرى ولم تصل الى التاثير فى الحياة الخاصة للافراد ولم تتحول الارواح تحولا صادقا الى المسيحية وقال (جاستون فبيث) ان الشىء الذى لم يكن له أثر فى مصر عندما دخلها العرب هو العقيدة والروح الدينى ذلك لان نصرانية الاقباط اقتصرت على منازعات عقيدية مع البيزنطيين[10] ٠

وعلى هذا فان المسيحية لم تنتشر الا نصف انتشار على الاكثر عندما دخل الاسلام مصر وكان نصف شعبها مسيحى فقط[11] ٠

---

(١٠) حسين مؤنس : نفس المرجع ٠ ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ٠

(١١) جمال حمدان : مرجع سابق ٠ جـ٤ ص ٤٠٥ ٠

الفصل الثالث عشر

الموجة العربية الاسلامية
تربط الماضى بالحاضر

انه فى مجال الاستمرارية للهجرات العربية والصلات الوثيقة بين الجانبين العربى والمصرى العربى فان الموجة الاسلامية التى قدمت بقيادة عمرو بن العاص عام ٢١هـ/٦٤١م لم تكن الا صورة لاستمرارية الاتصال وما تعاقب عليه من تطورات وتغيرات وما حدث من تراكم سلالى عرقى عربى عبر أغوار التاريخ الطويل حيث ان هجرة الساميين (أى العرب) الى مصر فى عصور الجاهلية كانت عميقة كما سبق القول فى الفصول السابقة عن طريق شبه جزيرة سيناء وغيرها الى مصر الفرعونية وان الساميين العرب هاجروا الى مصر وسكنوها وتركوا بها سلالتهم وآثارهم وان الغربيين يعترفون بهذه الهجرة القديمة (كولين ماكيفيدى) فالندربترى · ليتمان وغيرهم الكثيرين لكنهم يتسألون وهل الساميون عرب ولا مجال هنا فى هذا الفصل لان نسوق الادلة الناطقة والثابتة والمؤكدة لذلك حيث سبق الاشارة اليها والتى اتفق عليها كثير من العلماء اليوم والتى تعلن على الملا بلا مواربة أو تستر ان هؤلاء الساميين قد انبعثت مرجاتهم منذ فجر التاريخ من جزيرة العرب الى البلاد التى تدخل اليوم فى نطاق الوطن العربى الاكبر ، بل الى بلاد أخرى غيرها وكل ما فى الامر ان الذى أطلق على هذه الشعوب كلمة ساميين هو عالم نمساوى فى القرن الثانى عشر اقتداء بما ورد فى بعض أسفار التوراة من أن هذه الشعوب تنتمى الى سام بن نوح عليه السلام ومن بين هذه الشعوب العرب المقيمين فى الجزيرة العربية وبين العرب النازحين منها كمصر(١) ·

---

(١) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع · ص ٨ ·

فعرب مصر قبل الفتح الاسلامى هم عرب الجزيرة فى العصر الجاهلى الكل عربا سواء كانوا من سكان الجزيرة أو خارج حدودها فمن هنا فان الصلات الاسلامية كانت لتجمع بين عرب الجزيرة وعرب مصر ويلتقى عرب الفتح مع اخوانهم عرب مصر فلم يكن الفتح الا جمع الشمل بعد تباعد السيطرة الرومانية على الديار المصرية عن عرب مصر مع اخوانهم فى الجزيرة وتلك حقائق لا تقبل التشكيك ولا يستطيع أن يقلل من شأنها الا كل كاره أو حاقد أو جاهل لدراسة انثربولوجية الاجناس ، ذلك لان الذين ينظرون الى العالم العربى اليوم يدركون كيف انتشرت العروبة خارج الجزيرة العربية وكيف انها وقفت عند سفوح جبال زاجروس الايرانية وجبال الانضول التركية كما ارتدت عن الاندلس القوطية ٠

كل ذلك بصرف النظر عما يصاحب تلك الاعتبارات من علاقات أو ملابسات تضاريسية أو مناخية ، بل حتى فى مصر نفسها من قبل ، فقد أقام اليونان ثم الرومان بأعداد لا يستهان بها بلا شك ولنحو ثلاثة أو أربعة قرون ومع ذلك لم ينجح اليونان أو الرومان فى تغيير أدنى صلة انثربولوجية من المصريين واخوانهم العرب ، بل لم يحدث أدنى تقارب انثربولوجى وان الاثر الجنسى العربى فى مصر واضح كل الوضوح على المدى البعيد ومن المسلم به بعد أن الموجة العربية الى مصر سبقت الاسلام بعدة قرون بل ترقى الى اقدم عصور تاريخ مصر الفرعونية على الاقل ان لم يكن قبل العصر الحجرى القديم فسجلات التاريخ الفرعونى تشير باستمرار وانتظام الى جماعات البدو الشرقية التى تتسلل الى مصر أو تتسلل عبر سيناء من جزيرة العرب وبلاد الشام الى صحراء مصر الشرقية وأطراف الوادى والدلتا حيث تضرب بجذورها الى أعمق الاعماق فى الاغوار التاريخية ٠

ومن هنا فان عروبة مصر سابقة للاسلام أو على أية حال فان الاختلاط الجنسى والسلالى والدماء والنطف (نطفة واحدة) بين المنطقتين والشعبين هو كذلك قبل الاسلام(٢) ٠

---

(٢) جمال حمدان : مرجع سابق ٠ جـ٢ ص ٢٩٩ ٠

ومن هنا فان سيناء كانت جسرا بريا الى آسـيا هياته الطبيعة بكثبانها الرمليـة وبما تختزنه من ميـاه الامطـار لان تكون المدخـل الشرقى لمصر ومفتاحها الام للهجرة العربية المتواصلة ، بل ان سيناء هى حلقـة الوصل بين القارتين (الاسيوية والافريقية) وهى موصل جيد الى القطاعات الشمالية الهامة ٠

بل انه اذا كانت مصر بعـامة هى العقدة التى تلحم الشرق العـربى والمغرب فان سيناء هى العقدة التى تلحم مصر بالشرق مباشرة ، كذلك فانه الى جانب سيناء لموصل جيد للحركة العربية المهاجرة فان البحر الاحـمر ياتى كدهليز طويل يربط مصر بغرب الجزيرة العربية حتى اليمن ٠

ولقـد كان وادى الحـمامات كما سـبق الاشـارة اليـه عدة مرات (طريق قنا القصير ١٠٠ ميل فقط) يقوم بدور شريان موصل لحـــركة الهجرة ويشارك سـيناء نفس الدور ان لم يكن اكثر فاعلية وهو يلعب دوره فى التاريخ المصرى القديم وكان المصريون القدماء قد اطلقوا على هـــذا الطريق طريق الآلهة اعتقادا منهم بانه طريق اجدادهم الاوائل الذين قدموا مصر فى الشرق من الجزيرة العربية ٠

وعن طريق سـيناء ووادى الحمامات دخلت الموجات العربية وتبعته موجات من بلاد الجزيرة العربية وغرب آسـيا وكانت مصر منذ عصـــور قديمة تكون الحلقة البعيدة التى تحيط بالجزيرة العربية وكانت مصر تتصل بهذه الدائرة عن طريق سـيناء كالدائرة الكهربائية المغلقة وفى هذه الدائرة الكهربائية كانت تدور مصر مـع حـــركة التـاريخ والجـنس والسـلالة بلا انقطاع ، بل مع التاريخ والتجارة ٠

ومن هنا فان حركة الهجرة بين عرب الجزيرة العربية ووادى النيل لم تنقطع ٠ ومن هنا فان الاتصال الارضى عبر جسر سـيناء له اهميـــة بالغـة فى التكوين السكانى والبشرى المصرى ، ذلك لان التاثيرات العربيـــة قدمت منه اكثر من البحر الاحمر ٠

وقد ساعد ذلك على أن تكون مصر عربية ولا نقول أسلامية وذلك قبل ظهور الاسلام وان المد العربى فى عصور ما قبل الاسلام كان بريا وعلى هذا فقد دخلت جميع الموجات التى اكتسحت البلاد فيما عدا قلة نادرة قدمت من الغرب كالليبيين (ليبيا) ومن الجنوب (النوبة) فى العصر القديم ٠

ولقد كان النشاط المصرى يمتد الى الهلال الخصيب حتى أقدام الاناضول ومشارف الفرات وتخوم العرب البتراء فمصر لم تنفصل عن الجزيرة العربية سواء قبل الاسلام أم بعده فالعلاقات قديمة وثابتة ووطيدة وعميقة الاصول ومتصلة وموصلة ٠

ومن هنا يتاكد ان الصلة بين العرب والمصريين تمتد فى الماضى البعيد الى أبعد ما يمكن أن يصل اليه التاريخ نفسه وان تلك العلاقة ظلت قائمة على مر العصور دون تخلف وهذا كله ينتهى بنا الى نتائج هامة هى ان دخول العرب فى الموجة الاسلامية عام ٦٤٠ ميلادية لم يكن الا حدثا عاديا سبقته أحداث مماثلة ٠

ومن هنا فان تلك الموجة لم تكن سوى حلقة جديدة فى سلسلة العلاقات الازلية الثابتة الوطيدة الضاربة فى أعماق التاريخ من العلاقات العربية المصرية ثم ان دخول العرب فى تلك الفترة الاسلامية لم يكن مفاجأة للمصريين أنفسهم اخوان العرب وأبناء عمومتهم على أقل تقدير ذلك لان العرب لم يكن مجهولا من المصريين ولا كان المصريون مجهولين من العرب فقد كان كل طرف يعرف الآخر معرفة حقة(٣) ٠

ومن هنا فان الموجة الاسلامية أى الهجرة العربية بعد ظهور الاسلام وفتح مصر من بين الاقطار التى فتحت وتحرك هذه الموجة الى أطراف العالم القديم كانت آخر حادث سامى عظيم وقع فى الجزيرة العربية وآخر موجة سامية عظيمة غمرت وجه الارض وهزت العالم اقصاع آسيا وافريقيا

---

(٣) عباس عمار : المدخل الشرقى لمصر ٠ ص ٩٢ ٠

وصدرت عنها تموجات فكرية ونفسية عظيمة شملت أقصاع آسيا وافريقيا وأوربا بل انها جعلت التاريخ البشرى فى كل هذه الجهات يتجه اتجـاها جديدا وانقلبت معها كل جوانب الحياة(٤) ٠

ذلك لانه عندما فيض رسول الله ﷺ وصعدت روحه الى بارئها بعد الهجرة بعشرة سنوات كانت كل الجزيرة العربية تدين بالاسلام وتوحدت تحت قيادة واحدة وتولى الخلفاء الراشدون بعده ﷺ مواصلة الدعوة الى الدين الجديد واقرار النظام الذى وضعه الرسول ﷺ وأسسه واستطاعت الدعوة الاسلامية أن تصل الى الديار المصرية عام ٦٤٠ ـ ٦٤٢م)(٥) ٠

بعد أن كان المقوقس الذى كان على رأس المصريين مستعدا للتفاهم مع أى قوة يمكن أن تخلص المصريين من اضطهاد البيزنطيين فلما اقبل العرب عرف الرجل كيف يحصل من العرب على عهد يؤمن القبط على عقيدتهم وأموالهم فكانت نتيجة ذلك دخول العرب مصر ودخول مصر فى طاعة العرب ٠

ويذكر الدكتور حسين مؤنس فى مقال (تاريخ مصر والفتح العربى الى أن دخلها الفاطميون ٠ تاريخ الحضارة المصرية) ٠

الا أن عمرو بن العاص أسرع نحو مصر فى المناطق الفسيحة الممتدة من جنوبى فلسطين الى أطراف الدلتا والتى كانت تعمرها قبائل عربية كثيرة معظمها من بطون قضاعة وخاصة الضجاغم منهم وفى نواحى العريش كانت منازل بنى راشدة وقبائل اخرى من لخم وجذام وكانت فى شبه جزيرة سيناء والناحية الشرقية للدلتا وصحراء مصر الغربية مواطن لقبائل عربية كثيرة وينبغى أن نذكر أيضا ان هذه النوحى لم تكن اذ ذاك فاصلة على الصورة التى هى عليها اليوم وانما كانت مناطق حشائش ترعاها الماشية وكانت عيون المياه فيها كثيرة وحول كل عين

---

(٤) اسرائيل ولفنستون : تاريخ اللغات السامية ٠ ص ١٧٢ ٠
(٥) ماكيفيدى ، كولين : نفس المرجع ص ٧٣ ٠

ما يشبه الواحة الصغيرة أو الكبيرة ودليلنا على ذلك ما تذكره أخبار العصر البيزنطى من أن صحراء مصر الغربية والشرقية كانتا عامرتين بالاديرة والرهبان ٠

وكان الكثير من أولئك الرهبان نساكا وهذا يفسر لنا مقام القبائل العربية الكثيرة فى سيناء وصحراء مصر الشرقية والغربية ويفسر لنا كيف استطاع الجيش العربى دون أن يتزود بشىء كثير أن يخترق سيناء دون جهد وأن يعبر بعد ذلك الصحراء من الاسكندرية الى برقة وكان الطريق حافلا بالآبار والعيون والواحات ولم يكن للبيزنطيين سلطان على هذه النواحى كلها أى أن الجيش العربى سار من رفح حتى بلبيس على الاقل وسط بلاد يسكنها ويسيطر عليها عرب ليس للبيزنطيين فيها الا حاميات قليلة أهمها فى العريش ٠

وكان البيزنطيون فى الداخل يحكمون شعبا عربيا مصريا ذو أصول وسلالة عربية سامية وكانت أعداد كبيرة من عرب جنوبى فلسطين وسيناء وشرق الدلتا قد انضمت الى ذلك الجيش العربى وكانت بأعداد كبيرة(٦) ٠ لانه من المستبعد أن يكون ذلك نتيجة دخول آلاف قليلة من العرب أراضى مصر ٠

فقد كانت الهجرات العربية على أطراف مصر الشرقية أمرا عاديا ولو كان جيش عمرو بن العاص بهذه القلة لما كان لدخوله هذا الصدى البعيد وان العرب الذين حاصروا حصن بابليون كانوا أعداد كبيرة جدا وليس الثلاث آلاف التى صحبها عمرو بن العاص معه فى تحركهم من فلسطين الى مصر ٠

وعلى هذا الاعتبار نستطيع أن نفهم السبب فيما أحدثه سير هذه القوة العربية التى شاركت فيها أكثر من اثنين وثلاثين قبيلة غير أصحاب

---

(٦) حسين مؤنس : تاريخ الحضارة المصرية ـ العصر الاسلامى ٠ ص ٣٣٠ ٠

الراية من رد فعل عنيف وبعيد المدى فى البلاد وظهر الرد بصورة جلية فى موقف عرب الداخل (مصرى الاقباط) ٠

اذ أدرك رؤساؤهم ان الامر اكثر من غارة بدوية أو هجرة عربية وان الزحف العربى الذى قضى على أمر الروم فى الشام ووصل الى مصر فخرج الانبا بنيامين بطريرك الاقباط الاسبق الذى عزله هرقل واضطهده سابقا من عزلته وكتب الى القبط مطالبا أن ينضم الاقباط الى العرب علانية بعد سقوط الفرما بل بعد سقوط حصن بابليون وفتح الفيوم ٠

وهكذا كانت القرابة الاسرة والعائلية من الاسباب القوية لتقبل المصريين للعرب الوافدين وذلك يرجع الى احساسهم وادراكهم بأنهم بعض اقاربهم وأصولهم وليسوا بغرباء أجانب وانهم بنو جلدتهم وانهم الاقارب على الاطلاق بين مجموعة الاقارب البعيدين ٠

وبذلك لم ينفصل ساميو الجزيرة عن سامى مصر أبدا والنتيجة النهائية ان عرب الجزيرة ومصرى النيل يمثلون معا مجموعة أشد تقاربا وأكثر تداخلا(٧) ٠

والذى لا شك فيه ان الموجة العربية الاسلامية أول وآخر وأخطر موجة موجبة فاعلة مؤثرة وعميقة وناجحة فى تاريخ مصر ومن ثم أهم وأخطر ربطا للماضى بالحاضر الاسلامى ولا نقول بالضرورة كما حاول الاوربيين والاجانب أن يجعلوها تغيرا وتعديل ، ذلك لان مكونات الدم المصرى منذ عصر ما قبل الاسرات (كانت عربية سامية بيضاء ـ كولين ماكيفيدى) ٠

وبالتالى فان تاريخ الشعب المصرى برمته بعد أن وضعت فرشته الاساسية كانت هناك تدفقات كبيرة من الدماء أو الجينات العربية فهى

---

(٧) جمال حمدان : مرجع سابق ٠ جـ٢ ص ٢٩٧ ٠

كانت دائما متصلة بلا انقطاع وكانت دائما تتم بالالتحام مع العرب بل على كل انحـاء مصر كلها بعد أن كانت أطرافها(٨) ٠

وقد تم لعمرو بن العاص فتح مصر كلها فى نحو سنتين واربعـة شهور فقد وصل عمرو بن العاص العريش فى ١٠ ذى الحجـة عـام ١٨هـ ١٢ ديسمبر ٦٣٩م وتم تسلم الاسكندرية فى ١٦ شوال ٢١هـ ١٧ سبتمبر ٦٢٢م وضم العرب الى دولتهم اخوة العـرب ووضـع العـرب أيديهم على ديار العروبة المختلفة من قبل القوى البيزنطية ٠

وهكذا دخل الاسلام مصر بعد سـبع سنين فقط من بدأ تحركه خارج الجزيرة العربية وكان ذلك ايذانا ببدأ عملية حيوية كبرى اعتملت فى صميم الكيان المصرى اذ لا شك أن موقع مصر المتوسط الذى يهيىء لها بل يفرض عليها الاتصال بالاحداث العالمية والتعرض اها هو المسؤل عن هذه الظاهرة التى تعد عاملا من عوامل تجدد وحيوية مصر وما تتمتع به من مرونة تكسبها القدرة على التلائم مع العوامل الكبرى التى تطرأ على البيئة الانسـانية فتعدل شروط الحيـاة فيهـا وظـروف الاحتفـاظ بالبقاء داخلها(٩) ٠

وهكذا كان الفتح الاسلامى هجرة الى اخوة مصريين عرب سـابقين لكى يحرروهم من نير وظلم واضطهاد وتعسف البيزنطيين لاسيما ان الانبـا بنيامين بطريرك الاقباط الاسبق ظل متخفيا عشر سنوات قبل الفتح العربى لم تستطع أن تدركه قوات البيزنطيين وكان المصريون يتمنون نصر العـرب وزوال أمر الروم المحتلين(١٠) ٠

وهكذا جاء العرب بالاسلام الى اخوانهم المصريين عرب ما قبل الاسلام والحضارات القديمة تشهر افلاسها وفقدت القدرة على تلبيـة احتيـاجات

---

(٨) حسين مؤنس : نفس المرجع ص ٣٣٤ ٠

(٩) عبد الله خورشيد البرى : مرجع سابق ٠ ص ٤٥ ٠

(١٠) حسين مؤنس : نفس المرجع ٠ ص ٣٣٢ ٠

ومتطلبات الانسان العقلية والفكرية والروحية وكانت الانسانية الى علاج بعد ما كان يحدث فى العصور القديمة ومنا أصاب البلاد من ضعف ووهن .

وهكذا فان العرب المسلمون ان لم يسعو الى مصر لسعى المصريون الى العرب ولو لم تقدم القبائل العربية خلف عمرو بن العاص لقدمت روح الاسلام الى مصر ولان صدق هذا الحديث عن كل الاقطار التى غمرتها الموجات العربية لكان أحسن صدقا على مصر خاصة ذلك لان التاريخ القديم ومنذ أقدم عصوره ارتبط ارتباطا روحيا وسلاليا وجنسيا بكل عناصر القوة القادمة من الشرق وخاصة بلاد الجزيرة العربية وبلاد الشام والرافدين فكانت الموجة الاسلامية قد فتح لها الشعب ذراعيه وقابلها بكل ود وترحاب فى ظل العروبة والاسلام(١١) .

وهكذا فبعد دخول الاسلام لم تصبح مصر ولاية عربية أو اسلامية بل جزء من الكيان العربى الاسلامى الواحد يجرى عليها وعلى أهلها ما يجرى على الوطن العربى الاسلامى الكبير ويكفى أن نقول ان بلاد العرب وهم الجنس الذى تنتسب اليه الدولة كلها شأنها شأن المصريين فقد أصبح المصريون سواء من أسلم منهم ومن لم يسلم يجرى عليهم ما يجرى على غيرهم شأنهم فى ذلك شأن بقية أهل دولة الاسلام .

ولقد شهدت مصر خلال العشرين عاما الاولى من الفتح هدوء يستوقف النظر لكنه فى النصف قرن الاول من الفتح العربى انتشرت عشرات آلاف من العرب المهاجرين .

وقد كان تيار الهجرة مستمرا نحو مصر طوال عصر الخلفاء الراشدين والعصر الاموى ويبدوا ان غالبية المهاجرين كانوا من اليمن(١٢) .

---

(١١) عبد الله خورشيد البرى : نفس المرجع . ص ٤٥ .

(١٢) حسين مؤنس : مرجع سابق . ص ٣٦٤ .

ومع تسليمنا بوجود الاصول العربية المصرية وكذلك القبائل العربية المختلفة التى ساعدت الموجة العربية الاسلامية والسابق الاشارة اليهـــ الا أن الموجة العربية الاسلامية مثلما بدأت هجرة قد يكون لها بعض الطابع العسكرى لكنها لم تكن غزوة مسلحة بل هجرة سلمية بدليل انهـا بدأت بأعداد محدودة (ثلاثة آلاف جندى فقط) لكنها بمرور الزمن تحولت الى هجرة واسـعة النطاق مختلفة الانواع فقد أخذت مجموعات وبطـون من القبائل العربية تنزح الى مصر أولا فى موجات محدودة ثم راح الخط البيانى يتصاعد الى أنه أصبحت موجات زاحفة بكثرة الى حـد بعيد ، غير أن هذا الزحف ارتبط ارتباطا وثيقا بالوضع العربى والقوة السياسية العربيـة فى المجتمع[١٣] ·

ذلك لانه خـلال الربع الاول من القرن الاول الهجرى (١٨ ــ ٤٣هـ) وجدنا بضع عشرات من الالوف نزلوا مصر واقاموا فى الفسطاط والجيزة والاسكندرية وبعض جهـات الصعيد فقد روت المصادر ان الذين قدموا مع عمرو بن العاص كان عددهم لا يزيد عن ثلاثة آلاف أو ربمـا أربع آلاف ولم يكن هذا غزو عسكريا لان حملة تريد غزو مصر كان لابد أن يكون عددها على الاقل عشرون أو خمس وعشرون ألف جندى على الاقل مما يعـطى الصورة ان العرب لم يكن قادمين لحـرب اخوانهم فى العروبة المصريين لكن لطرد بقـايا الرومان ·

وكان قد تم تخطيط مدينة الفسطاط عـام ٢١هـ فى الارض الفضـاء الواسعة شمال بابليون بين النيل وجبل المقطم ووضعت للقبائل التى يزيد عددها عن اثنين وثلاثين قبيلة الخطط فى الفسطاط باسماء كل قبيلة وعرفت كل خطة باسم الجماعة التى نزلت فيها ثم اتسعوا فى البلد فاختطوا على النيل وبنى عمرو بن العاص بالفسطاط مسجد جامعها ودار امارتها وجعل الاسواق محيطة بالمسجد الجامع فى الجانب الشرقى من النيل وجعل لكل قبيلة محرسا وعريفا[١٤] ·

---

(١٣) جمال حمدان : نفس المرجع · جـ٢ ص ٢٩٩ ·
(١٤) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى · جـ٢ ص ٨٦ ·

كذلك سكنت بعض هذه القبائل منطقة الجيزة وكانت لهم خطوط كما في الفسطاط وبنى عمرو حصن الجيزة في الجانب الغربي من النيل جعله للمسلمين وأسكنه قوما واخذ العرب يفدون على الفسطاط حتى كان بها في خلافة معاوية بن أبى سفيان أربعون ألف نسمة(١٥) ٠

كذلك فان الموجة العربية الفاتحة بالرغم من اقامتها في معسكر بني لها خاصة منذ اللحظة الاولى باسم الفسطاط فقد كانت سياسة عمر بن الخطاب هي الحفاظ بصرامة على التقاليد العسكرية للجند العربي بعيدا عن الزراعة والاراضي بينما نجد عمر هو نفسه الذى وضع تقليد الارتباع كنوع من الحركة والتنقل يقوم بها العرب كل ربيع للرعى حفاظا على تقاليد البدو البدواة(١٦) ٠

وقد كان العرب يتحركون داخل البلاد لاسباب مختلفة منها الارتباع فكانوا ينتقلون كل ربيع الى القرى المصرية يطلقون خيولهم في حقول البرسيم ترعى حتى تسمن وذلك اذا تدلت الجوزاء وذكت الشعرى وأقلعت السماء وارتفع الوباء وقل الندى وطاب المرعى ووضعت الحوامل ودرجت السخائل بينما ينطلقون هم يصطادون ويشربون اللبن الذى يقدمه لهم اخوة العروبة والاسلام من المصريين ٠

ولم تكن عملية الارتباع تتم كيفما اتفق ، بل وضع لها منذ اللحظة الاولى نظام وسوم فكان اذا جاء وقت الربيع واللبن كتب كل والى لكل قوم ـ وكان الوفد العربي القادم من الجزيرة العربية منظما على أساس قبلي بحت بحيث تكون كل مجموعة من أفراد قبيلة واحدة واذ لم يتوافر العدد الكافي من أفراد قبيلة متقاربة بربيعهم يذهبوا الى حيث أحبوا وبالرغم من انه كان يترك للقبيلة اختيار الجهة التى يفضل الارتباع بها في الدلتا أو الصعيد فان الوالي كان يصدر أمرا كتابيا يحدد فيه القرية التى تذهب اليها كل قبيلة وكان يحدد لكل قبيلة مكان تختاره للارتباع وقد ظلت سياسة الارتباع سارية ونافذة عدة قرون كاملة عقب الفتح ٠

---

(١٥) المقريزى : الخطط : جـ١ ص ١٥١ ٠
(١٦) ابن عبد الحكم : مصدر سابق ٠ ص ١٤٣ ٠

ثم بعد ذلك بدأ التحول الى الزراعة والاستقرار بالتدريج بعد أن انتهى العربى الذى امتد زهاء قرنين ونصف قرن حيث كانت تلك الفترة هى فترة النزوح المتواصل والمستمر للقبائل العربية فكل حاكم عربى كان يستحضر معه أو يستدعى اليه أهله وعشيرته وتكون هذه عدة آلاف أو بضع عشرات من الآلاف وكانت لكل قبيلة تقطع اقطاعات من الاراضى البور أو الزراعية لاستغلالها خاصة فى أطراف الدلتا ٠

وكانت سيادة العرب قد انتهت بتولى العباسيين للحكم وتفضيلهم للخراسانيين على العرب ، لكن العصر الاموى فيه كان تيار الهجرة نحو مصر مستمرا وكانت غالبية المهاجرين من اليمن ، ذلك لانه اذا كان عرب الشمال قد حملوا عبء الفتوحات الاسلامية واستقلوا بالسياسة والحكم فان عرب اليمن كانوا شعبا ميالا الى الاستقرار لاسيما انه وقد وجدت فى جماعات عربية عديدة مدنية فى مصر وهذه هى التى اشتغلت بالزرع والضرع وهذه الجماعات يصعب حصرها أو احصاءها فهى التى انطلقت من أول الامر لتسكن وتقيم بين الاهليين فى كل ناحية واختلطت بهم وهى صاحبة الفضل الأكبر فى التعريب والتحول الى الاسلام(١٧) ٠

وفى التحول الى الاسلام يذكر الدكتور حسين مؤنس فى موضوعه تاريخ مصر من الفتح العربى الى أن دخلها الفاطميون فى ص ٣٦٨ وما بعدها يقول « ان العقيدة المسيحية نفسها خلال القرن السادس وأوائل السابع الميلاديين كانت فى ذلك الحين فى طور التكوين وكان الاساقفة والرهبان ورجال الكنسية (الكنائس) يحاولون تحديد أصولها ، أما الرجل العادى فكان فى حيرة من أمره لم يستقر بعد على شىء واضح فيما يتصل بأصول دينية وكانت آثار الوثنية لاتزال باقية وطيدة بل لاتزال تختلط بمفهوم المسيحية عند معظم العوام ٠ وانه كانت لاتزال نواحى كثيرة على الوثنية ولذلك فمن المغالاة القول ان أهل مصر جميعا كانوا فى أوائل القرن السابع مسيحيين أو أن المسيحيين منهم كانوا عارفين بأصول العقيدة المسيحية وشريعتها ٠

---

(١٧) حسين مؤنس : نفس المرجع ٠ ص ٣٦٥-٤

بل كانت مراكز المسيحية المعروفة فى مصر مثل الاسكندرية وبابليون ونقيوس فى خلاف بعضها مع بعض • وكان الرأى السائد عند رعماء الاقباط (المسيحيين) قريبا جدا من الاسلام ولم يكن من العسير لهذه الاسباب أن يتحول الكثيرين من المصريين الى الاسلام دون جهد كبير ، حتى ان بعض المسيحيين لم يروا فى الاسلام اذ ذاك الا مذهبا جديدا من مذاهب المسيحية ولم يكن فى نظر الكثيرين منهم خروجا عن دين الى دين ، فاذا أضفنا الى ذلك ما أصاب كنائس المصريين من هدم واضطهاد لرجال الدين وتشريد على أيدى البيزنطيين (الانبا بنيامين ظل مطاردا عشر سنوات ٦٣١ ــ ٦٤١م) بحيث بات الكثيرين منهم فى النواحى بلا كنائس ولا قساوسة •

لذا فانه لم ينتهى القرن الاول الهجرى الا وكان الاسلام منتشرا فى القرى المصرية وكثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها(١٨) •

وانتشرت العربية جنبا الى جنب مع انتشار الاسلام وقد ساعدها على الانتشار أن المصريين فى ذلك الحين لم تكن لهم لغة واحدة يتفاهمون بها فى كل مكان حيث كانت اللغة الديموطيقية وبقايا اللغات القديمة واللغة اليونانية كانت هى اللغة الرسمية وكانت اللغات المصرية لا تزال تستخدم فى الكتابات الدينية والتخاطب فضلا عن تحرير العقود والرسائل فضلا

عن أن غالبية المصريين كانو لا يستطيعون كتابة أو قراءة أى لغة وكانوا لا يعرفون اليونانية وزاد استخدام اللغة اليونانية ونقص استخدام اللغة الديموطيقية ولم تكن اللغة القبطية قد وصلت الى مستوى التعامل بحيث انه يمكن القول انها كانت فى طور التكوين وكانت خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين بقايا لهجات ثم أخذت اللهجات تتقارب حتى نشأت اللغة المحلية •

وكانت الوثائق الرسمية تكتب باللغة الافريقية أى ان البلاد لم تكن لها لغة ثابتة لا فى الكتابة أو الكلام • ثم دخلت اللغة العربية لغة كاملة غنية

(١٨) المقريزى : مصدر سابق • جـ٢ ص ٨٢ •

قادرة على التعبير عن كل شيء ولها كتابة ثابتة معروفة ثم انها هي لغة الاسلام والقرآن فلا غرابة انها غلبت غيرها دون مشقة(١٩)٠٠

ولما كانت صلة الرحم والدم والعرق والسلالة والجنات الوراثية بين العرب والمصريين تنتمى أصولها الى شجرة وأصل واحد فاننا نجد المتتبع لاخبار مصر خلال القرن الاول الهجرى وهو القرن الذى تلا الفتح مباشرة يلاحظ ان سياسة حكام العرب كانت العمل على احياء المسيحية فى مصر وليس الوقوف ضدها ٠

فقد قطع العرب صلة مصر بالدولة البيزنطية فاقبل المسيحيون يعالجون امور عقيدتهم وكنائسهم وتركهم العرب ينظمون شئونهم الدينية كيفما يشاءون ويعيدون بناء الكنائس المتهدمة بل يبنون كنائس جديدة ويزيلون الاسماء الاغريقية عن قراهم ليحلوا محلها أسماء قبطية ٠

كذلك نلاحظ ان معظم الكنائس القبطية الباقية الى الآن انما بنيت أيام الامويين مثل كنسية أبى مقار وكنسية القديس مرقص بالأسكندرية ومارى جرجس والكنسية الحمراء المعروفة بأبى مينا وما اليها من كنائس وعاش من أراد الاحتفاظ بدينه فى مصر فى سلام حتى نهاية العصر الفاطمى بل بعده ٠

فاذا كان قد أصابهم بعض الحلق أو الظلم فقد أصاب المسلمين مثله واكثر منه وكان البلاء يعم البلاد مسلمين وغير مسلمين(٢٠)

ولقد كانت هذه السياسة عاملا جوهريا فى الاتجاه نحو الاستقرار والتحول من المسيحية الى الاسلام وكذلك تحول العرب من الرعى الى الزراعة ، بل لقد اتبعت الدولة الاموية سياسة عامدة لتشجيع القبائل على الاستقرار وهى سياسة العطاء أى المساعدات والمنح المالية المباشرة لكن

---

(١٩) حسين مؤنس : نفس المرجع ٠ ص ٣٦٩ ٠

(٢٠) حسين مؤنس : مرجع سابق ٠ ص ٣٧١

الدولة العباسية فعلت عكس ذلك وبدأت تفرض الضرائب على البدو مثلهم مثل الفلاحين مما كان عاملا لبدأ الصدام والصراع بين الحكومة والبدو وكذلك الثورة من جانب المسيحيين ضد النظام العباسى ٠

وعلى اية حال فقد كانت القبائل المختلفة تتزاحم وتتقاطر على مصر وقد ظل القدوم العربى الى مصر سائدا ولم يتوقف الا عند طغيان الحكم التركى أو المملوكى ودام تدفق القبائل خلال العصر العربى الاسلامى مثلما كان التدفع على مصر قبل الاسلام(٢١) ٠

ولقد كان دخول العرب هذه المرة الى مصر بداية مرحلة جديدة فى حياة مصر والمصريين فقد انفتح عصر جديد فى تاريخها هو العصر العربى الاسلامى ولم يكن هذا الفتح سوى امتداد طبيعى لتطور المراحل السابقة فقد كانت عملية دخول العرب لمصر هذه المرة وتحركهم فى أرجائها واتصالهم بأهلها وتفاعلهم مع بيئتها ومجتمعها وهى دراسة عميقة تكشف عن الوجدان والكيان العربى الاسلامى فى حركته الاندفاعية نحو الاراضى المصرية ٠

وعلى اية حال فان الامر بالعرب لم يقف عند حد المراكز التى أقامها العرب لتجمع الجند العربى فى الفسطاط والاسكندرية والجيزة مثلا لم تكن ذات أثر كبير فى انتشار الاسلام فى البلاد ، لكن هذه المراكز ظلت مراكز عربية صرفة ينزلها نفر من المصريين وكانت الفسطاط مثلا معسكرا يعيش فيه العرب فى أحياء كل من منها خاص بقبيلة من العرب وهى الاحياء التى تسمى الخطط وفى الاسكندرية عاش الجند العربى فى مساكن خاصة به وعرفت باسم الاخائذ وكذلك حول العرب موضع الجيزة الذى اختطوه الى حصن وقسموه خططا تشبه خطط الفسطاط ٠

ولقد كانت هذه المراكز ذات اثر فى انتشار اللغة العربية وثقافتها فقد كانت مراكز عربية صرفة ونشأت فى الفسطاط بصفة خاصة مدارس علمية

---

(٢١) القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ٠ جـ٢ ص ٣٣٩ ٠

وفقهية كان لها ابعد الاثر فى تعريب اللسان ونشر العروبة وجعل مصر من مراكز الثقافة العربية[٢٢] ٠

ولقد كانت القبائل التى نزحتا الى مصر هى جذام ولخم وبلى بالاضافة الى قريش كذلك كانت قريش هى السائدة فى الهجرة العربية ايام الدولة الاموية والعباسية وزاد قدوم القبائل العربية فى العصر الاموى فقد قدم الى مصر اثنى عشر قبيلة من قريش وقيس وجهينة والازد ولخم وحمير فمثلا فى الاسكندرية بلغت حاميتها عام ٤٣هـ فى فترة حكم معاوية اثنى عشر الفا وكتب قائدها الى والى مصر يشكو قلة العدد وزاد عددها ايام خلافة معاوية حتى بلغ سبع وعشرين الف نسمة[٢٣] ٠

---

(٢٢) حسين مؤنس : مرجع سابق ٠ ص ٢٩٩ ٠

(٢٣) السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ٠ جـ١ ص ٨٠ ٠

(٦) الارتباع والوجه العربي الاسلامي لمصر

كان نظام الارتباع يسمح للعرب بالتحرك فى موسم الربيع بخيولهم الى المناطق التى يتم تحديدها للانتشار بين المصريين والصلة معهم وكان الارتباع مقصورا على الجند العربى وكانت الجماعات المدنية الكثيرة العدد والذين لم يكونوا جنودا مدونين فقد كانوا يعيشون فى مصر بحيث وجدوا كجماعات عربية وهذه الجماعات يصعب احصاؤها وهى التى انتشرت أول الامر بين المصريين فى كل ناحية واختلطت بهم وهى صاحبة الفضل الاكبر فى نشر الاسلام واللغة العربية بين الناس وتحويلهم الى الاسلام والعروبة(١) ٠

ولم تتح للجند العربى الاتصال بالناس الا فى الارتياع ومن هنا كان لابد من القاء الضوء على الارتباع ودوره فى الحياة المصريه ٠

وقد كان الارتيـاع يتم فى كور أو مناطق يعينها لخصب أرضها وقربها من الفسطاط مثل منف وأوسيم ومنوف التى أصبحت فيما بعد تعرف باسم الحوض الشرقى وكذلك عين شمس واستريب ، بنـا ، بسطة ، قربيط ، طرابية ، صان ، ابليل نتو ، تمى وغيرها من الكور ٠

ويلاحظ ان هذه الكور تتمتع بالخصب الى جانب مناخها وقربها من الشرق للصحراء حيث كان العرب يتأهبون للاقامة فى جو قريب من جو البادية التى ما يزال الحنين الشديد يجذب قلوبهم اليها ، أما الاتجاه الى الشمال فكان محدودا لا يتجاوز بنا وبوصير والبدرقون وخريتا وسخاو والقبائل التى كانت تذهب هناك كانت قبائل قليلة وكذلك كان الاتجاه نحو الجنوب

---

(١) حسين مؤنس : نفس المرجع ٠ ص ٣٦٥ ٠

قليلا ففي الفيوم كانت ترتبع بعض القبائل واقصى ما وصلوا اليه هو اهناس والبهنسا ونفيس حيث كانت ترتبع قبيلة واحدة ٠

وهكذا كانت القبائل تقل كلما اتجهنا نحو الشمال والجنوب فى حين تتركز حول الفسطاط شمالا وجنوبا وشرقا وغربا بحيث يمكن القول ان الارتياع كان يتم فيا يشبه دائرة مركزها الفسطاط العاصمة وكانت القبائل المتقاربة تشترك فى مرتبعات واحدة مثل يلى ولخم وجذام ، غفار واسلم وآل عمرو وآل عبد الله بن سعد ٠

وقد يكون للقبيلة أكثر من مرتبع مثل يلى تجيب ولخم المعافر ويبدوا ان ذلك يرجع الى كبر حجم هذه القبائل وامثالها(٢) ٠

وقد حفظ ابن عبد الحكم الكلمة التى وجهها عمرو بن العاص الى جنوده بمناسبة الارتياع وبدأ موسمه حيث ان عمرو بن العاص في هذه الخطبة كان يوصى جنده بحسن معاملة سكان البلاد الاصليين المصريين عندما يتصلون بهم خلال موسم الارتياع الذى أصبح تقليدا يتبعه الولاه

وكان عمرو بن العاص يؤكد وصيته للعرب بالمصريين بأحاديث نبوية قالها رسول الله ﷺ تحض علي حسن معاملة المصريين ومنها أن يكف الجنود أيديهم عن أموال المصريين ٠

وقد كان الارتياع نوعا من العطلة والانسجام والراحة من مشاق القتال والاختلاط بالمصريين وكان موسم الارتياع يستمر ثلاثة شهور كل عام ومن هنا فانه يمكن أن نطلق على هذا النظام تجاوزا انه كان عبارة عن هجرة عربية داخلية كانت تتجدد كل سنة وكانت القبائل فى الاغلب تتردد على نفس المرتبع الذى كانت تقصده فى الاعوام السابقة ولا مجال فى أن موسم الارتياع كان يضمن ويتيح فرصا أكثر وأعظم للاتصال المباشر بين العرب الجدد والعرب القدامى (المصريين) المقيمين بحيث يتهيأ للعرب الجدد

---

(٢) ابن عبد الحكم : مصدر سابق ٠ ص ١٤٠ ٠

أن يتعرفوا على البيئة الجديدة وسكانها فى نفس الوقت الذى تتيح فيه الفرصة للمصريين أن يتعرفوا على اخوانهم الجدد المواطنين المصريين (العرب) وفى خلال ذلك كان يتم مع الزمن شيئا فشيئا تبادل الصلات والمؤثرات وهو الذى أدى فى نهاية الامر الى تمصر العرب الذين وفدوا الى مصر وذوبان القديم مع الجديد وتعرب المصريون انفسهم وظهر الانسان المصرى العربى المسلم عقيدة ودينا العربى لغة ولسانا(٣) ٠

ولما كان الارتياع هو اقدم اشكال الاتصال بين العرب الجدد والعرب القدامى من المصريين فانه كان الخطوة الاولى أو حجر الاساس فى عملية التعريب ولا مجال للشك فى أن كثيرا من القبائل العربية قد اتاحت لها فرص الارتياع لان تستقر الاستقرار النهائى وتفضل عدم العودة الى الفسطاط أو مراكز تجمع الجند وانها اقامت لها منازل فى هذه الاماكن بصفة دائمة وتركت الفسطاط نهائيا مثل قبيلة مدلج ومن حالفها من حمير وذبيان ٠

والذين استقروا فى خربتا وانتشرت العديد من القبائل فى مناطق شتى وانتهى بهم الامر الى الذوبان التام فى سكان تلك المناطق الاصليين . ولما كانت حركة الارتياع قد تركزت حول الفسطاط والجيزة ووسط الدلتا وشرقها فانه بلا أدنى شك فى أن هذه المناطق كانت أسرع تعربا من مناطق أخرى مثل شمال الدلتا أو غربها أو الصعيد ٠

لكن المقريزى يذكر ان صعيد مصر قد بلغه العرب الفاتحون وبلغوا اقصى حدوده منذ أيام الفتح الاول وان الجيش الذى صحب عبد الله بن سعد الى الصعيد كان يبلغ عشرين ألف جندى وان عبد الله نفسه قد أقام زمنا واتخذ له مقرا فى أقصى الصعيد فى المنطقة التى يسكنها النوبيين ٠ وان هناك العديد من القبائل العربية قد تفرقت وانساحت فى صعيد مصر(٤) ٠

---

(٣) عبد الله خورشيد البرى : مرجع سابق ٠ ص ٤٨ ٠

(٤) المقريزى : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ٠ ص ٢٩ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان الارتياع يمتد بامتداد وجود البرسيم فى الحقول وقد تاخذ جزء غير قصير من الصيف ، غير انه لم تكن وسيلة الارتباع هى الوسيلة الوحيدة الى الاتصال بين العرب والمصريين(٥) ٠

ذلك لانه قد اقتضت ضرورة تأمين البلاد والمحافظة على سلامتها اقامة قوات من الجنود العرب فى الثغور وعلى السواحل بصفة دائمة وهو ما يعرف بالمصطلح العربى باسم الرباط ذلك لانه اذ كان عمرو بن العاص قد وضع أساس الارتياع كل عام لفترة ثلاثة شهور او تزيد قليلا كذلك فانه وضع نظام الرباط والمرابطة ذلك لانه ما ان استقام الامر للعرب حتى تم وضع التنظيم الاساسى للرباط فخصص ربع قواته للمرابطة فى الاسكندرية وحدها وربعا آخر للمرابطة فى سائر السواحل المصرية أما النصف الباقى فكان فى الفسطاط العاصمة ٠

بل أن الخليفة الراشد الثانى عمر بن الخطاب كان يبعث كل عام قوما من أهل المدينة المنورة لكى ترابط فى الاسكندرية وكان يراسل الولاه أن يشددوا الرباط بها وأن يكنف رابطتها وكانت القوات المرابطة بالمدينة تتغير مرة كل ستة أشهر صيفا وشتاءا ولم تتخذ هذه القوات معسكرا خاصا كالفسطاط وانما كانت تقيم اقامة فى مساكن الاهاليين العادية مما كان يتيح فرص الاختلاط والاتصال اكثر ٠

وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه وقد واصل عثمان بن عفان سياسة الاهتمام بالاسكندرية فكتب الى والى مصر أن يلزم الاسكندرية ٠ لكن سياسة الاختلاط بالاهالى كانت عملية طبيعية بدأت منذ البداية لاسيما منهم الذين اشتغلوا بالعلم والدرس والزراعة فى الارياف وطلب المعاش فانهم لم يتخلوا عن عروبتهم أو اعتزازهم بها بل خالطوا

---

(٥) لمعرفة تفاصيل الارتياع والاماكن والقبائل : أنظر البيان والاعراب للمقريزى ص ٩٧ ـ ٩٩ ٠ وتفاصيل القبائل العربية فى مصر وأماكن نزولها ص ٩٩ ـ ١٠٩ ٠

الناس محتفظين بشعورهم العربى وتزوجوا معهم وأورثوا أولادهم اروبتهم العربية فأولاد العرب عرب ٠

ومن ثم فان أعداد العرب فى البلاد والاقاليم كانت فى زيادة ومن هنا كان من العسير تتبع حركة الاسلام والتعريب(٦) ٠

وهكذا فانه رغم الاعداد الكبيرة التى انصبت من العرب فى مصر رغم الاختلاط البعيد المدى الذى تم مع المصريين فان هذا لم يغير من التركيب الجنسى للسكان أو دينهم لسبب ان العنصر العربى من أصل قاعدى واحد مشترك مع العنصر المصرى الذى لا يختلف عن العربى البدوى فكلاهما اقارب جنسيا منذ ما قبل الاسلام بل وما قبل التاريخ(٧) ٠

فالصفات الجسمية الرئيسية متشابهة متقاربة خاصة الرأس الطويل ولون البشرة والشعر والعين والطول والقوام حتى عنصر الرأس السائد فى عرب الجنوب وهو الرأس العريض لم يكن غريبا على مصر حيث رأينا فى المصريين القدماء عنصرا بازغا عن عرض الرأس منذ عصر الاسرات المبكر ٠

وقد كشفت الابحاث عن المقابر العربية قرب القاهرة عن مجموعات كبيرة من جماجم متطرقة فى عرض الرأس ٠

هكذا كان الاختلاط الجنسى المصرى العربى بمثابة زواج بين أقارب ولهذا فالاثر الجنسى البحت وأثر الدماء للعرب واضح كل الوضوح منذ عصور مصر الفرعونية ٠

وهكذا كان الاثر العربى واضح كل الوضوح حيث أن الفتح العربى الاسلامى قد أتاح للعرب أن يتحركوا فى مصر ويختلطوا بالمصريين عند الارتياع وفى الرباط وعند الضيافة ٠

---

(٦) حسين مؤنس : مرجع سابق ٠ ص ٣٦٦ ٠
(٧) جمال حمدان : مرجع سابق ٠ جـ٢ ص ٢٩٨ ٠

ولا شك فى ان ذلك كان يتيح للطرفين فرصا هامة للاحتكاك والاختلاط وقد كانت هناك فرص اخرى كثيرة تتعدد وتتجدد بتعدد وتجدد مطالب الحياة اليومية نفسها فقد اعتمد العرب اعتمادا يكاد يكون كاملا على المصريين فى امور بعينها كأعمال الديوان والطب ومسح الاراضى واعمال الزراعة وبناء البيوت والسفن وصناعة الاقمشة وغيرها من الامور المتصلة بالحياة اليومية(٨) .

ولكن يبقى بعد ذلك جانب آخر لاتصال العرب بالمصريين لعله اهم هذه الجوانب جميعا وهو كما سبق القول كيف ان العرب كانوا يتحركون كل عام بحكم نظام الارتياع خارج الفسطاط والمدن الكبرى كالجيزة والاسكندرية مرة كل ثلاثة او اربعة اشهر يقضونها فى الريف يرتعون وكانت هذه الحركة محدودة فى كور يعينها ومؤقتة يعود العرب بعدها الى خططهم الاصلية فى الفسطاط لكنهم فى نهاية الامر رفضوا العودة الى المدن الكبرى واقاموا حيث ارتاعوا وبنو لهم مساكن ومنازل واختلطوا وذابوا فى الكيان المصرى .

لكن العرب تحركوا اكثر بعدا الى مدى اطول حملتهم شمالا الى رشيد والاسكندرية وجنوبا حتى وادى العلاقى فى الصحراء الشرقية المصرية وسارت بهم شرقا حتى للبحر الاحمر وخرجت بهم غربا الى ليبيا وبقية بلاد المغرب ولم يعد العرب هذه المرة الى الفسطاط فقد استقروا فى الكور التى انتهى بهم المطاف واتخذوا فيها منازل ثابتة ومارسوا حياتهم العادية الجديدة بين السكان الاصليين ولكن ماهى العوامل التى دفعت بالعرب الى الخروج عن عاصمتهم حيث خططهم وانتشروا فى مدن مصر وقراها حيث المصريين بالرغم من ان مناطق الارتياع لا تتطابق بصفة عامة مع المواطنين التى استقرت بها القبائل فيما بعد فاننا نستطيع القول ان عامل الارتياع قد تبعه احساس نفسى بالاختلاط بالمصريين وقبولا من الجانب المصرى للاختلاط باخوانهم العرب الجدد اضافة الى العوامل الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية وغيرها من العوامل التى دفعت

---

(٨) عبد الله خورشيد البرى : نفس المرجع . ص ٥١ .

بالقبائل العربية الى الاقامة فى كور بعينها وانتشر العرب فى أرجاء كثيرة من البلاد واقاموا المدن التى منها مدينة حلوان التى تم تأسيسها عام ٧٠هـ وكان جوها المناسب قد ساعد على سكنى العرب لها لاسيما قريش وأهل الحجاز الذين تحركوا أيضا الى أسوان التى تشبه فى جوها جو الحجاز ذلك لان جو مصر يزداد ميلا الى الحرارة كلما اتجهنا نحو الجنوب ٠

وكان العامل المناخى عاملا من عوامل تحرك العرب فى مصر نحو الجنوب وكان الصعيد الاعلى فى هذه المرحلة قد سكنته جموع هائلة من عرب سبأ ونزل منهم أرض المعدن خلق كثير وكان الخليفة يعين واليا على أسوان وكان ولاة أسوان قد رسموا خطة لضمان الاشراف على أرض المعدن وحمايتها وتشجعت القبائل على النزول الى الصعيد الاعلى بنوع خاص(٩) ٠

ولقد شجع العرب على الاقامة بأسوان لكونه قريبا من الاراضى الحجازية واليمن والهند حيث كان يسلك منه الى ميناء عيذاب المطل على البحر الاحمر شرقا وكذلك فهى تتصل من ناحية الغرب بالواحات وفى جنوبها جبل معدن الزمرد ٠

اضافة الى ما بها من خيرات كما ان وادى العلاقى حيث معدن الذهب على مقربة من خمسة عشر يوما وكانت أسوان مركزا اقتصاديا هاما ومن الطبيعى أن يدعو ذلك العرب الى الاقامة بها واستطاع العرب أيام الامويين والعباسيين امتلاك البقاع وحققوا ثروات طائلة(١٠) ٠

ويبدو هذا العامل الاقتصادى أوضح وأقوى ما يكون فى انتقال العرب الى العلاقى حيث مناجم الذهب وكان نشر الاسلام والدعوة له

---

(٩) عبد المجيد عابدين : (محقق) كتاب البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ، ص ١٠٦ ٠

(١٠) مصطفى محمد سعد : الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، ص ٥٨ ٠

والاختلاط بالقبائل العربية في الصحراء الشرقية وكذلك مناجم الذهب وراء الهدف الذى سعت اليه قبائل مضر وربيعة ويلى فى الهجرة الى تلك المنطقة حيث اتصلوا بالاهالى وتزوجوا معهم وتداخلت مصالحهم فأعطوهم الدين واللغة العربية والعادات والتقاليد الاسلامية ٠

وقد ازداد عدد العرب الوافدين الى مصر حتى انه أيام حكم مروان ابن الحكم (٦٤ - ٦٥هـ) كان جند مصر اكثر من ثمانين ألف جندى(١١) ٠

وتشير هذه الارقام الى ظاهرة ازدياد العرب فى مصر باطراد حتى انهم تضاعفوا حوالى سبع مرات فى أقل من نصف قرن وطبيعى أن يكون التناسل هو أقل عوامل هذا التضخم وقد شكلت الهجرة العربية عاملا من عوامل زيادة عدد العرب فبعد أن فتحت البلاد وأنشئت العواصم العربية الجديدة نشط الأفراد الى الانتقال الى الجهات التى توجد بها قبائل عربية من قبل فانضموا الى قبائلهم واستقروا بها(١٢) ٠

وقد توالدت القبائل وقدم عليهم من البادية من قدم وقد كان يتم نقل الافراد بناء علي أوامر الخلافة فنجد انه مثلا فى عام ١٠٠هـ فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز تم نقل خمسة آلاف أسرة الى مصر فسجلوا فى ديوانها واقاموا بها ٠

وقد كانت لعملية نقل الافراد الى مصر والاقطار العربية أثر كبير فى ازدياد عدد العرب فى مصر وكان الولاه من ناحيتهم يساعدون على أن تقييم القبائل فى مصر بطريقة اخرى حيث ان الوالى الجديد عندما كان يدخل مصر كان يدخل فى عدد كبير من القوم معظمهم من بنى قبيلته وكان الوافدين الجدد ينضمون الى قبائلهم فى مصر ويستمرون مقيمين بها بعد انتهاء ولاية الوالى ورحيله من مصر ٠

---

(١١) السيوطى : مصدر سابق ، جـ١ ص ٧٥ ٠

(١٢) عبد الله خورشيد البرى : نفس المرجع ٠ ص ٥٣ ٠

على ان أهم عوامل تضخم القبائل كانت بلا شك الهجرة الجماعية أى هجرة أفواج كبيرة الى الخارج من الجزيرة العربية أو بلاد الشام أو انضمامهم الى من سبقوهم الى دخول مصر منذ الفتح ولقد شهدت مثلا قبيلة بلى فتح مصر ولكن لم تلبث بقاياها فى بلاد الشام حتى لحقوا باخوانهم فى مصر بأمر عمر بن الخطاب عام ٢٣هـ(١٣) ٠

وقد استمرت مثلا قبيلة قريش فى الهجرة منذ القرن الاول حتى القرن الخامس الهجرى ، ومهما يكن أمر الهجرة العربية الواسعة الى مصر فقد أجمعت عدة عوامل ما بين اجتماعية ومناخية واقتصادية وديمقرجرافية على ارغام العرب على ترك العاصمة الفسطاط والتحرك فى كل أرجاء الديار المصرية وفى اتجاهات مختلفة ومتعددة فى كل الاتجاه ثم الاستقرار فى الاماكن التى انتهى اليها مطافهم ولا يوجد أدنى مجال للشك فى أن هذه الهجرة الداخلية كانت ذات أثر بعيد فى ازدياد ربط الصلة ما بين العرب واخوانهم المصريين عرب ما قبل الفتح على انه لا سبيل الى انكار ان جماعات أخرى من عرب مصر آثرت حياة الرحلة والتنقل على طريقة أهل البادية بحيث كان عرب مصر قوى متكافئة من جهة ومتفرقة على ديار مصر بنسب اكثر واشد تنوعا من ذى قبل بحيث أصبح فريق مستقر أو شبه مستقر انصرف الى الارض يزرعها أو بضاعة يتجر فيها أو متجم يستخرج منه المعدن وفريق آثر حياة البداوة يعيش على الاطراف يرعى ابله ٠

وقد تزوجوا من المصريين وصاهروهم وسكنوا ديارا لهم واشتدت شوكتهم وكانت معهم لسراتهم(١٤) ٠

ومن هنا يتضح لنا ان العرب لم ينكمشوا داخل فسطاطهم ولم يتقوقعوا فيه ولم ينعزلوا عن اخوانهم المصريين ولم يقيموا جدارا من العزلة ولم يكونوا منفصلين عن الشعب المصرى ٠

---

(١٣) ابن عبد الحكم : مصدر سابق ٠ ص ١٢٨ ٠

(١٤) عبد المجيد عابدين : مرجع سابق ٠ ص ١٠٧ ٠

وهكذا اتخذ العرب من كل الديار المصرية وطنا لهم وأصبحوا هم أهل مصر والمصريين العرب السابقين أصحاب البلاد ·

وهكذا فان الذى يطيل النظر فى أسباب الاندماج العربى المصرى المصرى وذوبان القبائل العربية مع اخوانهم المصريين يجد ان هنالك عوامل اربع ساعدت على الاندماج والذوبان وهى نظام الارتباع والترابط والضيافة وحسن الجوار ومن ثم كانت أقوى هذه العوامل الهجرة الداخلية والانتشار فى انحاء البلاد من الاسكندرية شمالا الى أسوان جنوبا ومن الصحراء الشرقية وسواحل البحر الاحمر الى الصحراء الغربية ومناطق الواحات ·

كذلك كان النشاط اليومى والحياة اليومية والاختلاط والاحتكاك عوامل بدرت بالاندماج العربى المصرى واقامت جسورا من المودة والمحبة وصلة قوية فى الربط بين العرب والمصريين ·

ولقد كانت السلوكيات العربية والتعامل الشخصى وقيم ومبادىء وتعاليم القرآن الكريم وتعاليمه والقدوة العربية وحسن التصرف وبساطة العرب فى مجموعهم وما يتحلوا به ويتمتعون به من قيم الى جانب ما يوصى به الدين الاسلامى الحنيف الخالد من مؤاخاة التسامح مع أهل الكتاب ·

لقد اقام العرب بين ظهرانى اخوانهم المصريين واتصلوا بهم اتصالا دائما واحتكوا بهم احتكاكا مباشرا وامتزجوا بهم امتزاجا كاملا وعميق حتى أصبحوا بعد قليل مواطنين أصليين تجمعهم مع اخوانهم المصريين مصالح حيوية واحدة جعلتهم يكونوا يدا واحدة ضد ظلم وعسف وجور السلطات الحاكمة(١٥) ·

بل ان الحال لم يقف عند هذا الحد فقد انتهى الامر بالعرب كل العرب سواء عرب الفتح أو ما قبل الفتح الى الذوبان التام حيث ذكر المقريزى ان العرب قد أبادهم الدهر وهذه العبارة تعنى أن العرب ذابوا مع اخوانهم

---

(١٥) الكندى : ولاة مصر وقضاتها · ص ١٩٠ ·

المصريين والحق ان الدهر لم يبد العرب وفقا لقانون الفناء أو التبلاشى أو الانقراض ولكن كيانهم كافراد وقبائل قد تاه فى الشعب المصرى وبعد أن نقلوا دمائهم وعروقهم وسلالتهم وجناتهم الى الشعب المصرى الكبير صاحب الغلبة والكثرة ونعموا فيه من روحهم واكسبوه لسانهم وأدخلوه دينهم وتحولوا الى خلايا حية فى كيان الامة المصرية الخالدة

لقد دفع العرب الفاتحون اجسامهم الفانية ثمنا لخلود روحهم العربية الباعثة أبد الدهر فى روح هذا الشعب المصرى العظيم الذى ارتبط بالعرب اخوانه طوال ازمان التاريخ ومنذ ما يصل الى عشرة آلاف عام من عصرنا الحديث حيث كانت أول موجة عربية تدخل الاراضى المصرية هى موجة عربية سامية بيضاء قدمت من الجزيرة العربية منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد ٠

وها هى الموجة العربية الجديدة اثناء الفتح الأسلامى فى القرن السابع الميلادى تعيد الكرة وتربط الماضى بالحاضر وتصل بعمقها الى قوة الدفع بحيث يصير الكيان العربى المصرى كتلة واحدة رغم النسمة الاغريقية اليونانية الرومانية البيزنطية التى كانت تمثل ما بين ١٢٪ من كيان الشعب المصرى أيام الحكم الاجنبى الذى بدأ مع الاسكندر الاكبر عام ٣٣٢ قبل الميلاد وانتهى بالتلاحم العربى العربى المصرى فى عام ٦٤١م أى ان الوجود الاعريقى كان قد استمر ما يقرب من عشرة قرون لكنه ذاب فى الكيان المصرى وإن كانت لاتزال بعض مظاهره توجد فى الاسماء الكثيرة التى أوردها الدكتور جمال حمدان وحصل عليها من دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف الفرنسية ٠

لكن كل ذلك لا يشكل الا مظهرا كبقعة فى ثوب كبير ، ذلك لان الاصول العربية العريقة التى ارتبطت مع الانسان المصرى منذ فجر التاريخ وان كانت الفصول السابقة فى تلك الدراسة تؤكد عمق الصلة والسلالة بين الكيانات العربية سواء فى جزيرة العرب أو وادى النيل واليمن سكان الصحراء الشرقية أو سكان الشمال الافريقى (المغرب العربى) حيث ان كل هذه السلالات تعود الى أصل واحد وأجنة واحدة ٠

ومن هنا كان التعريب والعروبة لونا وجنسا وسلالة فى هذه المناطق العربية المعاصرة التى تنتشر حاليا ما بين قارتى آسيا وافريقيا مكونة قارة قارة عربية وسط العالم القديم(١٦) ·

وقد أشار الدكتور سليمان حزين فى بحثه عن تطور الصفات السلالية لسكان وادى النيل الادنى على مر العصور فى جزء من كتاب الحضارة المصرية عن ان القبائل العربية التى نزحت الى وادى النيل فى العهد العربى والفتح الاسلامى كانت منها قلة من العرب القحطانيين عرب الجنوب بينما كانت الكثرة الغالبة القادمة الى الديار المصرية من العرب العدنانيين اى عرب الشمال (الحجاز) وما تلاها من بلاد حتى بادية الشام وشبه جزيرة سيناء ويعلل ذلك ان الشعبة العدنانية لم تحدث تغير كبير فى التكوين العام للمصريين نتيجة للموجات العربية المتلاحقة(١٧) ·

وقد يكون عدم حدوث التغير الكبير فى التكوين المصرى ناتج عن التكوين الواحد والسلالة الواحدة وفى ذلك تأكيدا لما قاله المقريزى فى كتابه البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب من أن العرب الذين شهدوا فتح مصر قد أبادهم الدهر وجهلت أكثر أعقابهم وقد بقيت من العرب بقايا بأرض مصر فمن بقى(١٨) ·

وربما يكون لقلة عدد العرب الوافدين بالنسبة الى مجموع الشعب المصرى الكبير قد ساعد على ذوبانهم وهذه الظاهرة نلاحظها فى جميع مراحل تاريخ مصر · حيث امتزج العرب بالمصريين امتزاجا تاما سلاليا وجينيا دون أن يؤدى ذلك الى تغير حقائق المصريين الجنسية لأن هؤلاء القادمون كانوا يفلحون فقط فى تجديد دماء المصريين دون تغير فى الشكل العام ·

---

(١٦) ماكيفيدى ، كولين : مرجع سابق · ص ٣٥ ·

(١٧) سليمان حزين : الحضارة المصرية العصر الفرعونى · جـ١ ص ٢٩ ·

(١٨) القريزى : مصدر سابق · ص ١٨

ومن هنا فان الجنس العربى الوافد مع الجنس العربى لمصرى القديم لم يغير من التجانس الاصلى للسكان(١٩) ٠

ولكن هناك أقوال تذكر ان القبائل العربية لم تكن متساوية فى عدد من جاء منها الى مصر لكن هناك اقوال تذكر ان العرب القحطانيون كان عددهم حوالى ثلاثة أضعاف العرب العدنانيين لذا فان القحطانيين كانوا أصحاب الاثر الفعلى الذى تركه العرب فى الحياة المصرية على أساس ان علماء الانساب الاقدمون قسموا العرب الى عدنانيين وقحطانيين ثم قسموا بعد ذلك سلسلة حتى ينتهوا الى الاسرة الواحدة الصغيرة متسللين من الشعب الى القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخد ثم العشيرة ثم الفصيلة(٢٠) ٠

ولقد كانت حركة القبائل العربية فى الارجاء المصرية تترك لها الحرية فى التنقل وربما يكون التحرك من منطلق الظروف السياسية ومن ذلك نلاحظ أن قبائل قيش كانت قد استقرت فى منطقة بلبيس وهى بور وخراب ثم تحولوا الى الزراعة لكنها عادت فانتقلت من مكانها فى الحوض الشرقى الى منطقة قفط بقنا لاعادة الهدوء هناك بعد غارات البجا ٠

وكما انه يمكن القول ان العنصر العربى اذ كان قد اختفى فى ظل الحكم العباسى بعد أن أصبح على هامش السلطة وضعف أمر القبائل الوافدة لكن جاءتهم الاسرة الفاطمية فى عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م فى أواسط القرن الرابع الهجرى وهى أصلا من عرب البدو فكان عصرها عصرا ذهبيا جديدا للعرب فى مصر ٠

ففى هذه الفترة التى امتدت نحو قرنين كانت القبائل العربية الداخلة كثيرة وفتحت مصر الفاطمية أبوابها للقبائل العربية حيث اتصلت هجرات عربية جديدة وكان مازال فى مصر جماعات تعيش فى الاطراف تتطلع الى نوع من الاستقرار فلا نجد الى ذلك سبيلا بدلا من ترحيب الجهاز الحاكم

(١٩) جمال حمدان : مرجع سابق ٠ جـ٢ ص ٢٩٨ ٠

(٢٠) عبد المجيد عابدين : مرجع سابق ٠ ص ١١٠ ــ ١١١ ٠

بها فانه كان يقف ضد وجودها بل ضايقوا الذين استقروا شبه استقرار ولم يسمح لهم بأن يمارسوا أعمالهم لكن الفاطميون الذين كانوا يعتزون بالنسب القرشى كانوا يجرون على سياسة تشبه سياسة الامويين فى الاعتماد على العناصر العربية والاستعانة بهم فى تدعيم قوتهم وفى استغلال العصبية بينهم(٢١) ٠

فقد شجع الفاطميون هجرة بنى هلال وهم من القيسية وحلفائهم الى مصر فاكتظت بهم أنحاء مصر الشرقية ولقد كان للفاطميين بعد هذا سياسة خاصة فى نقل واعادة توطين القبائل المختلفة ٠ وقد يكون ذلك جزء من اللعبة السياسية والامن الاستراتيجى داخل اطار صراع الخلافات العباسية والفاطمية ٠

وكما سبق القول فقد استدعى الفاطميون بنو هلال وسليم فقد تم استدعائهم ليسكنوا مصر وبالتالى نقلوا عدة بطون من طىء الى مصر من أهمها سنبس التى هجرت من غزة الى البحيرة غرب الدلتا ٠

كذلك كانت كنامة فى عسقلان فانتقلت الى دمياط وعلى هذا فانه يمكن القول انه منذ الفتح العربى الاسلامى الى نهاية الحكم والدولة الفاطمية فقد استقبلت مصر عدد كبير من القبائل العربية(٢٢) التى أضفت وعمقت الوجه العربى الاسلامى فى مصر ٠

ولانه من المستحيل تقدير عدد القبائل العربية الوافدة عبر عدة قرون ذلك لان القبائل العربية البدوية ظلت طويلا تمارس لونا خاصا من الانتجاب الجنسى فى الزواج فكانوا يتزجون مما كان يعمق الانصهار وساعد على تحول المصريين بتزايد مطرد الى الاسلام ٠

وهكذا تم الاختلاط لا فى المدن ولكن فى الريف وهكذا كتب لان يكون التعريب تحولا الى الابدية جنسيا دوما ولغة وعقيدة وتقاليد فهى تحول

---

(٢١) عبد الحميد يونس : الهلالية ٠ ص ٥٥ ٠
(٢٢) جمال حمدان : مرجع سابق ٠ ص ٣٠١ ٠

خالد أبدى عبر أغوار التاريخ ، ذلك لان العروبة جنسا ولغة قد انتشرت وبلغت شأنا كبيرا فى مصر وما كان لها أن تنتشر لو اقتصر الامر على الفتح الاسلامى .

لكن الجذور العميقة جعلت التعريب يأخذ بعدا تاريخيا عميقا يعمق التاريخ المصرى القديم الذى استمد فرشته الاساسية فى تكوينه الجنسى من انثربولوجية سامية اصيلة ، ذلك لان التكوين الجوهرى للشعب المصرى قبل عصور الفراعنة وكما أشرنا اليه فى الفصول السابقة انما تكون وتبلور فى عصر ما قبل الاسرات حيث اتخذ قالبه وشكله الذى استمر عبر أغوار التاريخ وعبر كل المراحل التى مر بها هذا الكيان البشرى دون أدنى تعديل أو اضافة .

ومن هنا فان الموجة العربية الاسلامية فى القرن السابع الميلادى لم تكن الا قدرا بسيطا من التجانس الجنسى مع الاصول العربية السامية السابقة ، ذلك لان الاصل التاريخي للحاميين القادمين من الجنوب قد أزاحته عناصر سامية بيضاء قادمة من الجزيرة العربية استطاعت أن تقضى عليه أو تدحره أو تضطره الى الهجرة الى أماكن بعيدة عن الكيان المصرى حيث أزاحت هذه العناصر السامية القادمة الى وادى النيل من كان من الحاميين وحلوا محلهم مما يعد ذلك خلو هذه السلالة من المؤثرات الجسمية المتزنجة (الزنجية)(٢٣) .

ومن هنا فان قدوم العناصر العربية السامية فى الفتح الاسلامى وفى أعقابه حتى العصر الفاطمى لم يكن الا تحركا للعناصر العربية القديمة كى تأخذ حركتها لتقضى على العناصر الغربية من الاغريق واليونان والرومان والبيزنطيين وتهضمهم .

ذلك لأن الساميين العرب كانوا أكثر حركة وفاعلية وايجابية أكثر نشاطا فكما استطاعوا القضاء من قبل على الحاميين ، استطاع العرب

---

(٢٣) جمال حمدان ، المرجع السابق . ص ٢٥٩ .

السامیین القضاء على كل العناصر التي توطنت الاراضي المصرية وعملت على ذوابها .

وهكذا استمدت مصر قرشيتها الاساسية من الساميين وتعريبها أيضا ثم على أيديهم .

وهكذا قدر للفتح العربي الاسلامي في القرن السابع الميلادي أن يكون الموجة النهائية التي طبعت مصر بالعروبة جنسا ولغة ولسانا فلم يكن العرب طارئون أو وافدون في تلك الحقبة التاريخية المتأخرة بل كانت العروبة أصيلة قديمة قدم أول انسان خطا (سار) على الارض واستطاع أن يقيم حضارته في العصر الحجري الحديث في تاسا والبداري ونقادة حيث كان انسان العصر الحجري الحديث ساميا ولم يكن حاميا .

ومن هنا يتضح التكوين الجنسي السلالي للانسان المصري الذي يعيش كشعب على أرض الكنانة مصر سواء أكان المصري في عصر ما قبل الاسرات وهي فترة ما قبل الفرعونية أو فترة مصر الفرعونية أو الفترة العربية فان كل هذه الفترات كان يتحرك فيها الانسان المصري ساميا عربيا ذى أصول عربية قادمة من الشرق حيث الجزيرة العربية .

لقد كانت أضعف فترات التاريخ العربي المصري هي فترة الوجود اليوناني والاغريقي والروماني والبيزنطي حيث ان تلك الفترة رغم هضم الكيان المصري لها الا أن بصماتها قد ظلت طويلا .

صحيح ان مصر قد تعرضت للسيطرة الليبية والنوبية والاشورية والفارسية ، لكن كل هذه الغزوات كانت غزوات عسكرية لم يكن لها لتشكل كيان مستقلا في مدن أو أقاليم بعينها كما حدث في الفترة الرومانية وما سبقها ، لكنها كانت مرحلة جاء الفتح العربي الاسلامي لكي يتم الفتح المبين ليقيم الدليل على أن الوجه المصري عربيا ساميا منذ اللحظات التاريخية الاولى على التراب المصري .

ولم يكن المصري القديم الذي أقام حضارة العصر الحجري الحديث

وما قبل عصر الاسرات ومصر الفرعونية بعصورها الثلاث الدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة وما تلا ذلك من عهود كل هذه الفترات التاريخية لم تشهد تاريخا أوربيا مكتوبا ولا حضارة أوربية بل كانت أوربا منطقة جليدية لم تكن تصلح للسكنى أو الاقامة ٠

ولم تشهد أوربا ظهور أدنى معالم حضارية طوال خمسة آلاف سنة قبل الميلاد ٠

انما المعالم الحضارية القديمة الاوربية كانت فى حضارة اليونان والاغريق الذين تاثروا بحضارة الشرق القديم وان الحضارات الاوربية لم تظهر الا خلال أربعة قرون قبل الميلاد فى حين ان الحضارة المصرية بزغت سامية قبل خمسة آلاف سنة قبل الميلاد فهل يتحرك الانسان السامى الابيض من مناطق الجزيرة العربية وهو الذى عرف الحضارة منذ سبعة آلاف سنة قبل الميلاد[٢٤] ٠

ثم نقلها الى مصر فى الخمسة آلاف سنة قبل الميلاد ٠ فى عصر لم يكن هناك أوربا أو وطن أوربى يتحرك فوقه انسانه ٠

وتلك هى صورة الانسان المصرى العربى قبل الاسلام ومراحل تطور تاريخه البعيد منذ أن خلق الله آدم عليه السلام مرورا بنوح والطوفان وظهور القشرة الارضية ثم ما تلا ذلك من عصور وصولا الى الفتح العربى الاسلامى وتلك هى نهاية المطاف ٠

---

(٢٤) ماكيفيدى ، كولين : مرجع سابق ٠ ص ٣٩ ٠

الخـــاتمة

انه من خـــلال عرضنا لجوانب هذا الموضوع المختلفة بأبعاده التاريخية والاركيولوجية والانثربولوجية للتاريخ المصرى البعيد والذى حاولنا فيـه بقدر الجهد المستطاع وبمـــا أتيح من دراســـات مختلفة أن نؤكد بما لا يدع أدنى مجالا للشك كيف أن مصر القرآن والسنة والتى كانت عربية عربية منذ أحقاب بعيدة من الزمن عبر أغوار التاريخ البعيد ومنذ أن خطت أولى خطوات الانســـان الاول فى وادى النيل حتى تمت الصبغة العربية الاسلامية فى نهاية المطاف فى القرن السابع الميلادى لتضيف عاملا هاما من عوامل تعميق الجينات العربية والسلالية والجنسية بعد أن كانت قد تعرضت لعـــوامل الاحتـــلال الاجنبى والسيطرة الخارجية فى بعض الحقب التاريخية ٠

ولا يخفى على أحد كيف أن كتاب الله الكريم وقرآنه القـــويم والكتب السماوية كالتوراة والانجيل قد اتفقت جميعها على بداية الخلق ٠ وكيف خلق الله آدم عليه السلام وخلق منـــه زوجـــه وكيف ســـكنا الجـــنة وكيف وسوس لهما الشيطان فأكلا من الشجرة المحرمة وكيف هبطا من الجـــنة وكان هبوط آدم فى الهند وحـــواء فى جـــدة وكيف تقـــابلا فى عـــرفات الله (موقف الحج) وكيف دفنت حواء فى جدة على شـــاطىء البحـــر الاحـــمر بالسعودية وكان دفن آدم فى مكة المكرمة أو فى الهند وكيف كانت الفتـــرة التاريخية بين آدم عليه الســـلام ونوح عليـــه الســـلام ألف عـــام وذكرتها التوراة ١٠٥٦ عام وكيف كان الطوفان ورسو سفينة نوح بالقرب من جبل الجودى شمال الموصل وجنوب تركيا وكيف كان أبناء نوح (سلم وحـــام ويافث) وكيف ظهرت قشرة الأرض فى شكل بيضاوى «والأرض بعد ذلك دحاها» والدحية هى « البيضة » عند العرب واذن فالقشرة الارضية فى شكل بيضاوى وكيف انها كتلة واحدة متماسكة منذ أكثر من مائة وخمس وسبعين مليون سنة قبل الميلاد ٠

ثم كيف تمت الانكسارات منذ ما يقرب من خمسين مليون سنة قبل الميلاد وتم تباعد الكرة الارضـــية بعضها عن بعض مكونة ما يسمى بالقارات ثم كيف كانت جزيرة العرب متصلة بقارة افريقية فى تلك الفترة ثم تباعدت

من القارة من حوالى ثلاثة ملايين سنة قبل الميلاد وظهور بحيرة البحر الاحمر الذى لم يكن فى تلك الفترة منفصلا عن افريقيا فى جزئه الجنوبى عند خليج جيبوتى وعدن (منطقة عفار) ٠

ثم كيف كان الانسان الاول يعيش على الاعشاب والنباتات ولا يستخدم يديه منذ حوالى مليون ونصف مليون سنة قبل الميلاد ٠

ثم كيف كان الانسان المتطور منذ ما يقرب من نصف مليون سنة قبل الميلاد واستطاع أن يستأنس الحيوان ويشعل النار ويستخدم يديه وأدواته فى الزراعة والقدرة على الكلام ووجود مهارات له وكيف استطاع ان يصل الى وادى النيل ٠

ونقول هنا ان الانسان الاول الذى هبط الى وادى النيل بعد العصر المطير وجفاف الصحراء وبحث الانسان عن مصادر الحياة وتذكر المصادر ان الأنسان الاول الذى هبط مصر كان حاميا قادما من الجنوب الشرقى عن طريق جنوب شرق الجزيرة العربية بعد أن استراح فترة من الزمن فى منطقة عفار فى جيبوتى (القرن الافريقى) ثم واصل مسيره حتى وصل الى وادى النيل فى تلك الفترة البعيدة ٠

ثم كيف استطاع الانسان الابيض القادم من الجزيرة العربية منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد أن يغطى وادى النيل وجنوب الصحراء الشرقية وكذلك بلاد المغرب جميعها كانت هذه البلاد فى تلك الفترة تخضع للجنس الابيض العربى السامى ٠

ثم حدث تطور فى العصر الحجرى الحديث عندما حدث تحول فى حياة السكان حين تمكن الانسان منذ سبعة آلاف سنة قبل الميلاد من زراعة القمح والشعير واستأنس الاغنام والماعز والمواشى ثم انتقل هذا الاسلوب فى حوالى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد انتقل هذا الاسلوب الجديد من وادى الاردن الى وادى النيل أى من فلسطين الى مصر ٠

ثم كانت مراكز الحضارة المصرية فى شرق النيل فى تاسا فى ساحل ستليم محافظة أسيوط شرق النيل ثم البدارى (محافظة أسيوط أيضا) شرق النيل وقبل ظهور عصر الاسرات فى بلدة نقادة بقنا عند ثنية النيل والتفاسيون هؤلاء يشبهون البداريون (اهل البدارى) عناصر بيضاء سامية استطاعت أن تزيح التاسيون الحاميون وأن تقضى عليهم ، وهكذا كانت السلالة العربية السامية فى عصر ما قبل الاسرات واضعة الفرشة الاولى لظهور الجنس المصرى العربى الذى ظهر منذ عصر ما قبل الاسرات ليؤكد العنصر السامى البدوى العربى الذى كون السلالة العربية المصرية من اصل قادم واحد قادم من الجزيرة العربية سواء عن طريق باب المندب وشرق افريقيا قبل رحيله من جنوب شرق شبه الجزيرة العربية او استخدامه طريق وادى الحمامات ثم ما جاء من اقوال فلندربترى من أن هناك هجرات سامية عربية قادمة عن طريق البحر الاحمر ودخلت البلاد عن طريق وادى الحمامات قد جاءت بالحضارة التى ظهرت فى مصر فى عصر الدولة القديمة وأن هذا الجنس الجديد القادم يمثل تيارا فى الاستمرارية الانثربولوجية فى تكوين السلالة المصرية .

ثم ما كان من ظهور الدولة القديمة وظهور الاشارات المصرية القديمة التى تذكر ان أجداد المصريين انما جاءوا من الشرق وانهم دخلوا وادى النيل من خلال وادى (رهنو) الحمامات

ومن هنا كان تقديسهم لهذا الطريق حتى انهم اطلقوا عليه طريق الآلهة ومن هنا فان البنية السلالية الجنسية الجينية الاولى التى تكونت عليها السلالة المصرية انما قدمت من الشرق وهذه ظاهرة انثربولوجية موجودة فى مصر منذ ما قبل عصر الاسرات من خلال المؤثرات السامية مع عدم الانكار ان الحاميين الشرقيين القدامى انما دخلوا وادى النيل من وادى الحمامات عند ثنية نهر النيل عند قنا شرقا لكن هذه العناصر تم القضاء عليها وازاحتها عن طريق البدارى ونقادة التى قضت على أهل تاسا ومن كان يعيش بجوارهم .

ومن هنا فنحن نسلم بكل النظريات التى حددت شخصية الانسان المصرى قبل خمسة آلاف سنة قبل الميلاد فى وقت لم تكن هناك سكنى

فى أوربا ولم تكن هناك تجمعات بشرية من أى نوع من الانواع بل كانت تعيش عصر الجليد الذى لم يكن قد انتهى بعـد وكان البحر المتوسط كتلة ثلجية ولم يكن يساعد على تحـرك الانسان شمالا رغم القول بالعثور على انسان نياندرتال فى المـانيا ٠

وعلى هذا فان الانسان المصرى القديم كان شرقيا ساميا عربيا يعود فى أصوله الى الجزيرة العربية ولم يكن فالندر بترى هو الذى قال بهـذه النظرية منفردا بل شـاركه العـديد من العلماء من أمثال فرانكفورت الذى اشـار بدوره الى شعب وادى الحمامات وتكوينه التجمعات الحضـارية المصرية فى شرق النيل وتطور مصر نهائيا وكان لهـا دورها فى صـنع الحضارة المصرية ثم تواصل نشاطها بظهور حضارات الاسرات الفرعونية ذلك وان مصر كانت احدى الجهات التى تلجأ اليها السلالات أو الجماعات العربية المهاجرة ٠

وهكذا فانه مع بداية عصر الاسرات يتضح أمام أعيننا حقيقة تفرض نفسها وهى ان الانسان العربى القديم أو السامى القديم كان هو المصـدر الاصـيل والمنبع النقى لتلك الشعوب التى استقرت منذ ازمان بعيـدة فى مصر القديمة وبلاد الرافدين والهلال الخصيب ٠

وهكذا فانه مع ظهور عصر ما قبل الاسرات وتوحيد القطر المصـرى فان ذلك يعطى الدليل على ظهور حكومات وكيانات محلية أو قيام ما يشبه المنـاطق المترابطة المتواجـدة على ضـفة النيـل والتى كانت بلادا عديدة مسـتقلة تنتشر فى أرجـاء الوادى حيث كان الخصب والنفـنى والثروة وخصوبة مصر وعظم انتاجها من العـوامل القوية التى جذبت العنـاصر البـدوية الى مصر حيث كانت تلك العنـاصر التى تدخل البـلاد هى التى تؤثر فى تكوين السكان حيث كان طريق شبه جزيرة سـيناء هو صلة الربط والوصل بين مصر وسـائر بلاد الشرق الادنى القـديم دون انقطاع اضافة الى طريق ساحل البحر الاحمر وطريق باب المندب الذى كان من السـهل عبـوره ٠

وبهذه الخلفية البشرية السـلالية العـربية السـامية والتى اشتركت فى تكوين البنية الجنسية المصرية حققت مصر أولى انتصاراتها الحضارية

بين البلاد حيث استطاع المصريون أن ينشئوا نظام الدولة حينما قام الملك مينا « نارمر » منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد بتوحيد مصر العليا مع مصر السفلى فى دولة واحدة · وكان نارمر قد قدم من الجنوب حيث مملكته الاولى فى صعيد مصر بالقرب من طيبة ·

وهكذا ظهر اتحاد الديار المصرية من اسوان جنوبا الى ساحل البحر المتوسط شمالا تحت صولجان دولة واحدة ، وانه فى ظل وحدة الحكم فى البلاد ووجود النظام الملكى فى وقت مبكر قد ساعدت على تكوين صورة الانسان المصرى المعاصر ·

ونظرا لكثرة الهجرات العربية فان المصريين القدماء استطاعوا ان يؤدبوا بدو الصحراء وشبه جزيرة سيناء ذلك لان الاقسام الشرقيه من مصر لاسيما المناطق المتصلة بطور سيناء مأهولة بقبائل عربية منذ زمن قديم وكذلك المناطق الواقعة جنوب جنوب البحر المتوسط المتصلة زمن قدم وكذلك المناطق الواقعة جنوب البحر المتوسط المتصلة سكنوا مصر منذ القدم ·

وانه اذا كانت مصر الفرعونية قد حافظت على كيانها الجغرافى والسياسى وظهر طابع الدولة الموحدة · الا ان عصر الاسرات أيام الدولة القديمة وعصر بناة الاهرام قد شهد ظهور بعض وحدات السلالة الاسيوية القادمة من الشرق كذلك فان عصر الاسرات قد شهد قدوم العموريين المعروفين فى تاريخ بلاد الشام قدموا الى مصر عن طريق شبه جزيرة سيناء ·

وكان قدومهم فى عصر الاسرة الثالثة وهذا يعطى الدليل على ان ظهور الكيان المصرى الموحد لم يمنع من استخدام حركة الهجرة السامية من الشرق والغرب بل ان هناك هجرة سامية واسعة شهدتها الدولة القديمة كانت عناصر قادمة من بلاد الشام بعد أن استقرت بها فترة قبل قدومها من شبه الجزيرة العربية . بل ان هذه الموجة المهاجرة قد تحركت جنوبا وصولا الى اقصى بلاد الصعيد جنوبا حتى بلاد النوبة ، لا تدل على تأثير الساميين أى العرب فى مصر فى تلك العصور كان قويا وفعالا من

أن اللغة المصرية القديمة لا تزال مثار اختلاف بين العلماء أهي سامية أم حامية أم مزيج من الطرفين.

وان كان فالندر بترى يرى ان الساميين هم الذين اخترعوا اللغة الهيروغليفية وان كان بعض العلماء يذكر ان اللغة المصرية القديمة تشابه بعض فروعها مع السامية.

وهكذا كان التسرب أو التسلل البطيء السامي العربي المستمر على تخوم مصر عبر العصور بلا انقطاع على الحدود الشرقية لاسيما ان المصريين القدماء توطنوا شبه جزيرة سيناء منذ عصر مبكر وانه كانت هناك صلات واتصالات وصلات وروابط مستمرة عبر المناجم المعادن فى سيناء والصحراء الشرقية وتدل الآثار والرسوم المصرية على وجود علاقات بين مصر وشبه جزيرة العرب وان هذه العلاقات مع الجزيرة العربية وسواحلها الجنوبية الغربية قد استمرت نظرا لتطلع المصريين الى هذه البلاد البعيدة مستخدمين البحر الاحمر طريقا لهم للوصول الى هذه البلاد حيث قام المصريون منذ الاسرة الخامسة برحلات الى هذه البلاد وذلك للحصول على البخور والعطور ومنتجات هذه البلاد التي كانت تحتاج اليها مصر فى معابدها وفى استخداماتها اليومية.

وكانت حركة التجارة المصرية العربية في عصر الدولة القديمة قد أخذت تنمو وتطرد مع بلاد جنوب الجزيرة العربية الا أن باب سيناء ظل مطروقا مما كان يغرى العرب البدو بالتحرك من خلاله الى الديار المصرية وهنا يختلف المؤرخون والباحثون عن تحديد عدد الهجرات الحقيقية كما يختلفون فى تحديد آثارها الجنسية الانثربولوجية بالمقارنة بالهجرات الكبيرة والتسللات التى كانت قبل عصر الاسرات لكن هذه الهجرات لم تنقطع حيث كانت كالسيل الذى لا ينقطع

ومن ثم كان لها أثر جنسي مباشر على التكوين السكاني وكانت تترك بصماتها المألوفة ذلك لان التيارات المهاجرة الى مصر قد حكم عليها بصورة نهائية بأنها قادمة من الشرق من الجزيرة العربية وغرب آسـيا حيث كانت

(م ٦٧ – [illegible])

الجزيرة العربية تمثل [illegible] الاثرية [illegible] والآثار التاريخية
القديمة التي [illegible] القديم الى [illegible] المصرية
وكانت بعضا من هذه [illegible] على
أطراف الوادى حتى تتهيء لها الظروف لكي تنخرط الى داخل البلاد [illegible]
بين السكان ودخلوا البـلاد وكانوا نواة العرب القدماء فيما يسمى اليـوم
اقليم الشرقية [illegible] الموجـة
[illegible] قبل [illegible] الرابع [illegible] كانت
الموجة الاولى [illegible] قبل الميلاد [illegible]

غير ان بعض [illegible] من هذه [illegible] الشمـال
الافريقي [illegible] الى [illegible]
[illegible] الذي [illegible]
[illegible] الذين [illegible]
[illegible] في [illegible] الالف الثالث قبل الميلاد [illegible]
سنة) [illegible]
افريقية [illegible] الجزيرة العربية [illegible]
[illegible]
ومن هنا فرضت مراقبة شديدة عند الحدود الشرقية والغربية للبلاد
وجرد (أرسل) المصريون حملاتهم الحربية الى داخل هذه البلاد الاسيوية وصولا
الى فلسطين ومـا يعرف حاليـا بالاردن لتاديب هؤلاء البـدو الذين كانوا
يغيرون على منـاجم المعدن في سـيناء وعمالها لكن البـدو عندما كانوا
يخضعون لقوة الفراعنة فهم كانوا يعودون لرحلتهم ثانية الى مصر ولكن
ليس بصورة العدوان والسلب والاغارة على المناجم فى سيناء والصحراء
الشرقية ولكن بالطرق السلمية
[illegible]

ولقد شهدت البـلاد فى الدولة الوسطى هجرة اقوام تشق طريقها
الى مصر من آسيا وكان دخول [illegible] في ظل السيادة
المصرية [illegible]
[illegible] البعثات [illegible] الى بلاد [illegible]
الجزيرة العربية (بونت بساحل [illegible]

وكذلك ساعد حفر قناة سنوسرت الثالث فى شرق الدلتا الى زيادة حركة الاتصال لاسيما فى وادى الطميلات وبذلك تعددت طرق الاتصال بين المصريين الساميين وكانت هناك طرقا مختلفة أشرنا اليها فى ثنايا هذه الدراسة ٠

وكان دخول الهكسوس البلاد والتى اختلفت الآراء فى أصولهم هل هم ساميون أم ساميين ارآميين وان كان بعض المؤرخين يعدهم عربا لكن مهما يكن فقد كانت حركتهم غزوة عسكرية ولم تكن هجرة سلمية ٠

ومن هنا اتخذ المصريون منها موقف العداء بعد أن أقاموا لهم دولة استمرت ما يقرب من قرن ونصف الا أن نفوذهم لم يتغلغل الى داخل البلاد وكانت الهجرة الهكسوسية هجرة سالبة من ناحية آثارها ونتائجها الجنسية وانتهت الى أنها مجرد موجة عابرة فى تاريخ مصر الانثربولوجى لانها طردت تماما من البلاد حيث فشل الرعاة الهكسوس من مصر بعد أن كانوا قد قدموا الى البلاد فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد لكن أحمس الاول قد قضى عليهم جملة فى مصر بوصفهم انهم أمة حاكمة فليس معنى هذا انه قد قضى على نفوذهم الثقافى فى البلاد ٠

وليس أدل على عمق عروبة مصر قبل الاسلام ما ذكره العالم الاثرى أحمد كمال باشا فى بحوثه عن ان اللغة الهيروغليفية المصرية القديمة هى احدى فروع اللغات العربية وذلك من خلال أبحاثه التى توصل فيها الى أن اللغة العربية واللغة المصرية القديمة من أصل واحد ويستدل على ذلك بما كتبه الاثرى نافيل من دراسة نقوش معبد الدير البحرى فى الاقصر زمن الاسرة الثامنة عشرة ان المصريين الاوائل اشتهروا باسم الاعناء ومعناها فى العربية أقوام من قبائل شتى وانهم سموا مدنا باسمهم من طيبة جنوبا الى ما بعد مدينة منف شمالا مما يدل على ان العرب استقروا فى تلك المنطقة ثم تكاثروا وانتشروا ويذكر النص ان بعضا من هؤلاء الاعناء العرب هاجر الى جهة ما عرف فيما بعد باسم القيروان وتونس والجزائر وسمى الاعناد بالتحتو ٠

ثم انتشر بعضا منهم الى بلاد الصومال واجتازوا بعد ذلك البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشروا فيها وانتشر بعضا منهم الى فلسطين وسموا أنفسهم أعناء منتو مما يدل على هؤلاء الاعناء سكنوا تلك الجهات الشاسعة

وقد ألف أحمد كمال باشا قاموسا أورد فيه آلافا من الكلمات الهيروغليفية التى هى مرادفة للغة العربيه ويرى أحمد كمال باشا ان اللغة العربية أصل اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية وان أصحاب هذه اللغة والمدنية كانوا من العرب ثم رأى نصا يدل ظاهره على أن العرب أنفسهم أو بعضهم من المصريين وهذا النص فى الدير البحرى ٠

وقد ذكر ان ثقافة الهكسوس قد استمرت تطبع الحياة المصريه بطابعها الخاص الى مدة لا يستهان بها فى عهد الاسرة الثانية عشرة ولقد كان التماسك البشرى المصرى قادرا على قوة المقاومة لصد قوة الهكسوس وأن يخفق فى تحقيق أدنى نجاح له لان حيوية الشعب المصرى وطاقته الكامنة منذ القدم ساعدته على لفظ الاجسام الدخيلة ولاسيما ان القرشة الاساسية العريضة للشعب المصرى قد تكونت من الدماء السامية المصرية العربية القادمة من الجزيرة العربية حيث انها قلب العروبة قبل عصر الاسرات وبالتالى اتضحت معالم الانسان المصرى ٠

ومن هنا لم تكن الهجرة الهكسوسية أو الغزوة الهكسوسية فى مفهومها الانثربولوجى الا غزوة طارئة سالبة غير فاعلة وقد يكون عدم الالتحام ان الهكسوس لم يكونوا من عناصر سامية نقية شأنهم شأن الاغريق فيما بعد الذين عاشوا فى اماكن معزولة عن المصريين والاحتشاد بعيدا عن الشعب المصرى ٠

ثم جاءت الدولة الحديثة والتى استطاعت أن توحد بلاد الشرق القديم وصولا الى جبال الانضول وحدود بلاد ما بين الرافدين وتكونت وحدة شملت فينيقيا وسوريا وبلاد بونت والسودان وجزر البحر المتوسط وبلاد النوبة حتى منطقة الجندل الرابع ولذلك لم يأتى عام ١٥٠٠ قبل الميلاد

إلا وكانت كل البلاد السامية وبعض العناصر الحامية تابعة في لواء الإمبراطورية المصرية [illegible]

وشهدت الأسرة الثامنة عشرة قيام كيان واحد استطاعت القبائل العربية السامية الزحف ببطء في ظل التاج المصرى الى أنحاء مختلفة في الديار المصرية بعد أن أعلن تحتمس الاول ان نهر الفرات هو آخر حدود مصر الشرقية وبذلك شملت الأراضى المصرية كل القطاع السامى في تلك البقعة من العالم القديم ، وكذلك شهدت الدولة الحديثة تطور حالات الهجرة واختلاط المصريين بإخوانهم سكان الشرق اختلاطا تاما حيث كونهم دولة واحدة لا يوجد بينها حدود سياسية أو عوازل طبيعية .

فقد شهدت تلك الديار آثار اشارات انتربولوجية فقد أدت الفتوحات المصرية شرقا مع الأسيويين وغربا مع الليبيين أو مع النوبيين لاسيما في عصر التحامسة والرعامسة تدفق أفواج الاسرى الى العاصمة وشهدت المدن الكبرى وفود البدو من جميع الاجناس الى كل انحاء الديار المصرية وتحرك البدو في ظل الوطن الواحد وتحركوا من الحدود الشرقية والحدود الغربية واختلط الدم المصرى بالدم السامى لكن لما للدعائم المصرية من رصيد استطاعت أن تهضم هذه الجماعات الوافدة وتجعلهم جزء من كيان الشعب المصرى ، غير أن الكنعانية (الفلسطينيين) والفينيقيين كان لهما اثرهما الواضح في الحياة المصرية لاسيما من ناحية تاثير اللغة .

وعلى هذا فإن الوفود البدوية السامية والغربية المغربية لا تزال تفد الى مصر في رحلات متصلة ثم تمر مرحلة طويلة من الزمن تنتهي الى الاندماج التام في السكان الاصليين .

ومن هنا فلا جناح علينا اذ قررنا في النهاية أن مصر في هذه العصور من الدولة الحديثة منذ أكثر من خمسة عشر قرنا قبل الميلاد لم تكن إلا رابطة قوية بين الطرفين ، ذلك لان مصر الدولة الجديدة استطاعت أن تضم المنطقة التي تقع شمال صحراء النفوذ في بادية الشام الى السيادة المصرية وهي تلك المنطقة التي أمدت مصر بالموجات السامية العربية عبر القدم

العصور، بل هي المستودع الذى كان يغذى مصر بالموجات العربية التى تعبر فكيف وتلك المنطقة تخضع للسيادة العربية وتجد نفسها دون تعارض في التحرك للاراضي المصرية ٠

ومن هنا جاءت الجاليات العربية لكى تعيش في كبرى المدن المصرية كما سبق القول ولتعيش في ظل كيان سياسي واحد في كنف حكومة مصرية التحامسة والرعامسة ومن هنا فانه لا يمكن انكار هذه الموجات العربية السامية في عصر الدولة الجديثة ومنذ ما يقرب من الف وخمسمائة عام حيث كونت المرحلة الاعدادية الثالثة في حركة الهجرات الواسعة النطاق ولكى تخضع اللبنات الاولى في تعريب مصر الذى اخذ مع التطور الزمنى والاحداث التاريخية بعدا عميقا كانت حركة الهجرة الواسعة والسلمية تغذيه بالدم السامي ليختلط مع الكيان القومى المصرى في حركة دفع عربية تعيد لمصر القوة والحيوية وكان المصريون قد فقدوا سيطرتهم على بلاد النوبة حوالى الالف الاخير قبل الميلاد (عشرة قرون) ٠

وفى منتصف القرن العاشر ٩٥٠ قبل الميلاد كان الفينيقيون والذين هم هجرة سامية عربية قد استطاعوا أن يقيموا لهم قواعد على ساحل المغرب وفى هذا الوقت بالتقريب استطاع ملوك النوبة أن يحتلوا الوجه القبلى (مصر العليا) ٠

وكان هذا الاحتلال النوبى عاملا لزحف العناصر الحامية التى مصر الا انها كانت بصورة شبه ضئيلة واستطاع الملك يعنخى النوبى في القرن الثامن قبل الميلاد (٧٥١ - ٧١٦ ق٠م) أن يخضع مصر السفلى ويكون الاسرة الخامسة والعشرين الفرعونية الا ان الاشوريين (٦٨٨ - ٦٦٣ ق٠م) استطاعوا طرد النوبيين من مصر بسهولة ٠٠٠

ولقد ازداد تدفق الاجانب حيث اخذت بعض الاسرات الحاكمة في الاعتماد على الجنود المرتزقة خاصة الذين يجلبون من حوض البحر المتوسط الشرقى وجزره والذين أقاموا بصفة اساسية في مدن الدلتا في عهد الاسرة السادسة والعشرين (بسماتيك) ويبدو ان هذه الاعداد لم

تكن ضـئيلة حيث ازداد اتسـاع نطاق الهجرة اليونانية الى الدلتا لكن كان يركز سكناهم فى منـاطق معينة (تعتبر فتـرة الوجـود الاغريقى الرومانى الاغريقى) أضعف حلقـات السلالات المصرية جنسيا وجيشا وان كانت تلك العناصر قد فقدت هويتها وسلالاتها وذابت فى المجتمع المصرى قبل حلول القرن السابع الميلادى . لكن تركيزها كان لفترة طويلة تصل الى عشرة قرون لمن عزلها فى ثلاث مدن كبرى الاسكندرية والبحيرة والمنشـاة بسوهاج مكن من صمودها واقامتها فى الكيان المصرى العربى السامى ونجح الفرس فى عهد قمبيز عام ٥٢٥ قبل الميلاد فى احتلال مصر وكان قمبيز قد استعان بالعرب لتسهيل فتح مصر حيث شاركت العديد من القبـائل العربية فى غزو مصر مما يسر لها الاقامة فى الديار المصرية فى ظل الحكم الفارسى .

وهكذا شهد القرن الخامس قبل الميلاد وجودا عربيـا مكثفا فى الاقسـام الشرقية فى مصر لاسيما المناطق المتصـلة بالصـحراء الشرقيـة وسـيناء حيث كانت القبائل العربية منتشرة على نطاق واسع .

ومن الطبيعى ان هذه القبائل قد استقرت هناك فى هذه الاماكن قبل ذلك بوقت طويل . ورغم ان الغـزو الليبى قد حـكم البـلاد لفترة أسرتين متتاليتين وقدوم عناصر ليبية خلف السلطات الحاكمة وكذلك عناصر حامية خلف الاسرة النوبية لكن هذه الجماعات سواء كانت سامية أو حـامية لم تكن الا جماعات صغيرة لم تؤثر فى الهيكل السكانى البشرى المصرى ولاسيما وادى الطميلات والمناطق المتاخمة لشبه جزيرة سـيناء والصحراء الشرقية كانت عنصر امداد متواصل للديار المصرية .

ورغم قيـام الدولة الاشورية ثم الفارسـية باحتـلال مصر الا أن حملة قمبيز قضى عليها فى الصـحراء الغربية الا أن ذلك لم يمنع وجـود خليطا من الفرس مع الشعب المصرى .

ومن هنا فانه يمكن القول انه منذ احتـلال الليبيين للوطن المصـرى ثم جاء بعدهم النوبيون ثم الاشوريين ثم الفـرس فـان مصر تحـولت الى مستعمرة من الناحية السياسية .

وبذلك فان الاستعمار قد دخل البلاد تحت هذه الصفة متبعا سلالة جنسية غير مصرية ومن ثم كانت حالته حالة غزو عسكرى لا هجرة سلمية لكنها لم يكن من الممكن أن نطلق عليها استعمارا استيطانيا لكن كانت عبارة عن غزوات كان ينتهى بها المطاف الى الطرد من البلاد دون أن تستقر أو تمتزج بالشعب المصرى أو تطرد مهما طال بها الوجود أو تذوب العناصر المدنية منها فى الكيان المصرى ٠

لكن أخطر أنواع الاستعمار الاستيطانى هو التوطن الاغريقى رغم انهم أقاموا كطائفة منعزلة عن الشعب المصرى وبذلك يمكن القول انه كان استعمارا منعزلا محدودا فى نطاق مناطق بعيدة فى المدن الكبرى ٠

واذا كان كان ظهور الاغريق فى القرن السادس قبل الميلادى الا ان الفتح اليونانى لمصر كان فى القرن الرابع قبل الميلاد حيث استطاع الاسكندر الاكبر أن يغزو مصر ٠

وهكذا نرى من خلال هذا العرض لفترة الاحتلال والسيطرة الاجنبية كيف ان البلاد قد بدأت تأخذ بعدا جنسيا وسلاليا مغايرا الى حد كبير عن البعد القديم حيث بدأت أفواجا لا تكون لها أدنى صلة بالساميين أو الحاميين ولم تشارك المصريين أصولهم العرقية القديمة ممثلة فى الغزوة الاوربية اليونانية الاغريقية الرومانية البيزنطية ٠

ذلك لانه اذ كانت العناصر الاشورية وان كانت سامية الا انها أزيحت عن طريق القهر الفارسى وكذلك الغزو الفارسى أزيح من البلاد ، لكن الغزوة الاوربية تركت بعدا مغايرا الا ان البنية المصرية القوية استطاعت أن تمتص هذه الغزوة ٠

لكن أثناء الوجود الاوربى فى مصر فان الوجود العربى كان قويا فى نفس الفترة ومن ذلك تلك المستوطنات السبائية القريبة من الحدود المصرية وكذلك وجود العلاقات المصرية المعينية حيث كانت توجد العناصر العربية الجنوبية بكثرة والذين كانوا يعيشون فى شمال غرب الحجاز فى المنطقة الغربية من فلسطين ثم هاجر بعضا منهم الى مصر لاسيما ان سبأ

الشمال تعرضت التيارات حضارية مصرية بعد أن تلقحت حضارة شمال غرب الجزيرة العربية بالحضارة المصرية الفرعونية .

وهنا يتضح امتزاج الدماء المصرية بالعرب والذين عرفوا بالعرب المستعربة أو العدنانيين

ولقد كان الخضوع للفرس والاشوريين قد سهل الاتصال بين مصر وبلاد الجزيرة العربية وسهل حركة الصلة والترحال وقد وردت نصوص في التوراة تفيد عمق الصلات بين مصر وبلاد الجزيرة العربية بل وأكثر من ذلك فقد وردت بعض النصوص التي تفيد أن المعينيين (دولة معين) قد عاشوا في مصر وخلفوا نصوصا تثبت تلك الاقوال .

كذلك لعب الانباط فى تاريخ مصر دورا لا يقل عما لعبته معين وسبأ وقتبان فى الصلات المصرية العربية حيث أقام الانباط دولتهم على حدود مصر الشرقية فى منطقة واسعة تمتد من سوريا شمالا وبلاد العرب جنوبا وبين الفرات شرقا والبحر الاحمر وشبه جزيرة سيناء غربا

ولقد سيطر الانباط على شبه جزيرة سيناء لانهم حرصوا على أن يكونوا سادة هذا الطريق الهام حتى يتمكنوا من الزعامة التجارية فى تلك المنطقة .

لكن الرومان وقفوا للانباط بالمرصاد وحولوا التجارة الشرقية الى الموانىء المصرية على البحر الاحمر لكن رغم ذلك كانت توجد جاليات نبطية كبيرة داخل الاراضى والمدن المصرية وانهم تسربوا فى البلاد حتى بلغوا صعيد مصر العليا .

وقد عثر ليتمان على العديد من النقوش داخل الاراضى المصرية التى تؤكد البعد العربي الخالص ودوام الاتصال في ظل الاحتلال والسيطرة الاغريقية أو الرومانية .

ومن هنا فانه يتضح أن تقلص كانت دائما بالعديد من القبائل النبطية التى كانت تنتشر فى بعض المدن والذين كانت لهم الحياة يتنقلون فيها ، بل اكثر من ذلك ان هناك جماعات نبطية كثيرة سكنت على ضفاف النيل فى العديد من المدن وفى الصحراء الشرقية والغربية وليس ببعيد أن يكون القضاء على مملكتهم من أسباب رحيلهم الى مصر وبلاد الشمال الافريقي .

ومن هنا فان وجودهم فى الديار المصرية قد أضاف بعدا جديدا فى السلالة الجينية وانتشارها فى أجزاء متعددة من العالم العربى بل اكثر من ذلك فان نفوذ النبط قد سيطر على مقاليد الامور فى روما حيث استطاع الامبراطور فيليب الذى حكم روما عام ٢٤٤م والذى كان نبطى الاصل عربى المولد .

كذلك كان أحفاد سبأ من قضاعة قد أمدوا مصر بالموجات العربية المهاجرة والذين تحركوا من ديارهم فى بادية الشام فى القرن الاول الميلادى عبورا للاراضى المصرية للاستقرار النهائى حيث كانوا قد تجاوزوا صحراء مصر الشرقية كما فعل الانباط من قبل وسيطروا على المنطقة الواقعة ما بين نهر النيل والبحر الأحمر فى أعلى صعيد مصر وذلك بعد أن تهدم سد مأرب فى حوالى ٦٥٠ قبل الميلاد وهذا يعنى ان الهجرة السبائية الى مصر قديمة قبل ظهور الاسلام بأكثر من اثنى عشر قرنا

كذلك نزحت بطون من كهلان سبأ الى مصر فى العصر الجاهلى ومنها بطون خزاعة وانتشروا فى مصر على نطاق واسع وكذلك فان هجرة الاسماعيلية احفاد اسماعيل بن ابراهيم الى مصر ثم هجرة سبأ ومعين وحمير والانباط ومدين ثم قضاعة وما تفرع منها من قبائل .

وكل هذه القبائل عبرت سيناء ثم اتخذت منازل لها الى الفسطاط (العريش) وصحراء مصر الشرقية وبلاد الدلتا الشرقية فى مراحل قبل الميلاد .

وقد ظلت هذه القبائل فى اندفاعها الشديد طوال القرون الثلاثة الميلادية وقبل الفتح الاسلامى بثلاثة قرون حيث وصلت قبائل من جذام

ولخـم وربيعة وثعلب وبنى حمزة الى منطقة صـان الحجر وانهم امتزجوا بالمصريين الاقدمين وخلفوا فيهم آثارا سلالية ٠

ولقد كان لجماعات أعقاب سـبأ الذين بدأت طلائعهم تتسرب الى مصر فى الجاهلية هم أنفسهم الذين كانوا فى جملة القبائل التى دخلت الى مصر مع عمرو بن العاص اذ كيف يقود عمرو بن العاص ثلاثة آلاف جندى ويكون عدد القوات التى اشتركت فى دخـول مصر وحصار حصن بابليون تزيد عن عشرين ألف جنـدى وكيف يتـم توزيع ثلاثة آلاف فى كل أنحـــاء القطـر المصرى ٠

ان القبائل العربية المصرية ساعدت اخوانها فى قتال الروم وفتـح حصونهم وليس قتـال اخوانهم المصريين ٠

ومن هنا فان أعقاب سـبأ الذين نزلوا مصر قبل الفتح العربى حيث انفتح مجال الهجرة واسـعا أمامهم ٠ وكانت قبائل سـبأ تشـكل العمـود الفقرى للزحف العربى فى ظل الحكم الرومانى قبل الفتح الاسلامى ٠

كذلك وجدت علاقات مصرية ثمودية فى القرن الخامس دبل الميلاد مع مدائن صالح وقد وجدت وفود من ثمود فى العلا فى عهد بعيد قبل ظهـور الاسلام وكانت عاد وثمود تسكن فى أعالى الحجاز فى دومة الجندل والحجر وكانت مدينة الحجر هذه القرية الثمودية تصل بتجارتها الى مصر ٠

ومن هنا كانت العلاقات قوية مع ثمود والمصريين حيث اثبتت النقوش الثمودية وجـود علاقات بين المصريين والثموديين قبل الميلاد ٠

وهكذا كان العرب يحسون احساسا واضحا بما يجمعهم بالمصريين ٠ حيث ان فترات التاريخ المصرى البعيد اثبتت أن الساميين العرب الاسيويين كانت لهم أماكن سكنى فى طول البلاد وعرضـها فى منف العاصـمة وبعدها طيبة وفى المدن الكبرى وكيف نقلوا آلهتهم التى كانوا يعبدونها الى مصـر وكيف أثرت لغـاتهم السامية فى اللغات المصرية القديمة ٠

وقد تمـكن الانصهار والاختلاط وتجدد الدم المصرى بالزواج وأصبح ذلك الاختلاط عاملا من عوامل الاحتفاظ بالبقاء وعـدم تسرب الشيخوخة

الى المصريين كجنس أو أمة أو شعب ولازال الشعب المصرى قريا بالاختلاط العربى .

وقد شهد العصر البطلمى نوعا من التسامح الدينى حيث ترك لهؤلاء العرب ممارسة شعائرهم الدينية فى ظل هذه السياسة وكان تكوين الامبراطورية البطلمية التى ضمت فلسطين وفينيقيا وجزء من سوريا وبعض الاقاليم الواقعة على شواطىء آسيا الصغرى الجنوبية والسيطرة على بلاد العرب الغربية .

كل هذه البلاد وانطواتها تحت سلطان دولة واحدة سهل حركة الاتصال بين العرب والمصريين واحتكوا بعضهم بالبعض وظلوا يتبادلون السلع ويمارسون فيما بينهم المعاملات التجارية والعلاقات الاقتصادية طوال العصر البطلمى الذى دام ثلاثة قرون وفى ظل الامبراطورية الرومانية كانت مصر واحدة من ولايات الامبراطورية بعد أن بسطوا نفوذهم على بلاد العرب .

لكن ذلك النفوذ لم يدم طويلا ، وهكذا أيضا فى ظل النفوذ الرومانى ظلت الصلات بين مصر والامارات العربية التى ظهرت فى شبه الجزيرة العربية قوية الا ان مصر كانت لها صلات وعلاقات أقوى بمملكة تدمر العربية وكيف ان نفوذ تدمر قد امتد ليخضع مصر لسيادتها حيث قامت « الزباء » بالاستيلاء على مصر وفتحها القائد التدمرى (زيد) على رأس سبعين ألف رجل عام ٢٦٨م وترك بها حامية مكونة خمسة آلاف جندى واعترف الرومان بحكم التدميريين لمصر تحت سيادة روما .

وهكذا فانه من خلال ما عرضنا له من أوجه العلاقات والصلات مع الامارات العربية التى ظهرت فى بلاد الشام وجنوب غرب البلاد وشمال غرب الجزيرة العربية وجنوبها الغربى (اليمن وحضرموت) تدرك مدى العمق السلالى والجنسى والبعد الزمنى فى هذه الروابط ومدى الارتباط السلالى والثقافى والاقتصادى حيث ان كل هذه الصلات كانت توضح وحدة الجنس ، بل أن بتلر فى كتابه فتح العرب لمصر يذكر ان الجنود التى فتح بها كسرى مصر فى أواخر عام ٦٢٨م كانت تضم عناصر عربية .

[illegible] والرومان [illegible] للاغريق

منذ القرن الرابع قبل الميلاد ٣٣٢ ق٠م الى ٦٤١ ميلادية يعنى قرابة [illegible]

قرون أى الالف عام حتى قدوم العرب يدرك أن طول هذه الفترة كانت

أعداد الاغريق كثيرة فقد شهدت البلاد خلال القرن الرابع قبل الميلاد هجرة

يونانية قوية لكن هذه الهجرة فقدت قوة اندفاعها وتضاءلت أعدادها بعد

ذلك أواخر العصر البطلمي .

لكن بعد أن تحولت الى استعمار استيطانى ، لكن هذا الاستعمار

الاستيطاني المعزول فى أماكن محددة كالاسكندرية والفيوم والبحيرة

ذاب فى البوتقة المصرية التى صهرته [illegible] فى باطنه [illegible]

الزمن حيث ان الحاجة لبناء القوات العسكرية كان من الاسباب القوية الى

قدوم هذه الهجرات .

لكن عهد بطليموس الرابع شهد ادماج المصريين بالعرب فى قواته ، ومن

الواضح ان الاغريق النازحين الى مصر لم يغادروها الى وطنهم الاصلى

بعد نهاية سيطرتهم وعصرهم ولكن هذا لا ينفى رحيل بعض الاسر بعد

زوال النفوذ الاغريقى الرومانى والصراع مع الفرس .

وكذلك نزوح غالبية الرومان وبقاياهم من مصر فى فترة الفتح العربى

الاسلامى حيث رحل الرومان من الاسكندرية والبلاد التى كانوا يتمركزون

فيها ، وكان الباقى الذى لم يرحل قد ضعفت روحه الاغريقية بالزواج من

المصريين .

وكان هذا العامل قد أدى الى ضعف الروح الاغريقية فى المدن التى

كانت تسكنها غالبية اغريقية ، ذلك لان هؤلاء الاوربيين قد عبدوا الآلهة

المصرية وتعلموا اللغة المصرية وتزوجوا مصريات واتخذوا أسماء وعادات

مصرية لا بعد أن أباح الامبراطور الرومانى هادريان الزواج بين المصريين

والاغريق [illegible]

[illegible]

كانوا يرون فى الوجود الرومانى [illegible]

ومحتلة أجنبية [illegible] بالثورة وقامت طيبة [illegible] الثورة لكن
الحاكم الروماني [illegible] استطاع القضاء على الثورة التي قام بها العرب
الرعاة في عام ١٧٢م في منطقة الدلتا [illegible] شرق الاسكندرية وكان
قد قادها كاهن مصري.

وهكذا اتصلت بلاد العرب بالمصريين ابتداء من عصر ما قبل الإسرات حتى نهاية الحكم الروماني في مصر أي حوالي احدى وأربعين قرن ونصف من الزمان وان هذه العلاقات لم تنقطع ولم تقف في وجهها أية عوائق لان السلالة الجينية والعرقية والجنسية واحدة فهي صلات أصول عرقية وسلالية قبل أن تكون صلات اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية أو فكرية أو سياسية انما هي صلات قوية حية متجددة، بل انها تصل في عمقها الى أول انسان مصري سار على أرض مصر حيث ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد.

كما أشار الى ذلك كولين ماكفيدي الي قوله ان مصر والجزيرة العربية وشمال افريقيا قد غمرتها سلالة سامية بيضاء قادمة من الجزيرة العربية وتوطنت في وادي النيل وبلاد النوبة والصحراء الشرقية وشمال افريقيا.

[illegible] المسيحية [illegible] الإسلامية [illegible] القرن الاول
الميلادي [illegible] المسيحية [illegible] فلم تكن [illegible]
[illegible] الاسلامي [illegible]
النصرانية الى [illegible]

فقد قال ليفيفر « إن المسيحية لم تغير شيئا من روح الجنس المصري ولم تصل الى التأثير في الحياة الخاصة للافراد ولم تتحول الارواح تحولا صادقا للمسيحية ».

[illegible] الذي لم يكن [illegible] عندما
[illegible] العقيدة [illegible]
عقيدية مع البيزنطيين ».

ولقد كانت آثار الوثنية باقيــة ماتزال تختلط بمفهوم المسيحية عنــد معظم العوام ولم يكن أهل القطر المصرى جميعا فى أوائل القرن الســـابع مسيحيين أو أن المسيحيين منهم كانوا عارفين بأصول العقيدة ·

ومن هنا فان الاسلام بالنسبة للمسيحى لم يكن الا مخرجا من متاهة المذاهب المتضاربة ومشاكل الطبيعة الواحدة أو الطبيعتين للسيد المسيح حتى لقد رأى بعض المسيحيين فى الاسلام راحة نفسية لهم فالانتقال من المسيحية الى الاسلام فى نظر الكثيرين منهم لم يكن خروجا من دين الى دين ، كما ان فترة المسيحية فى مصر وانتشارها لم تحل دون استمرار الصلة مع الجانب العــربى الســامى فى بــلاد الشــام والجــزيرة العــربية بل ان المســيحية لم تنتشر على نطـــاق يذكر فى شـــبه الجـــزيرة العــربية لكنهــا انتشرت فى فلسطين والاردن والعراق ووجد الرهبان المصريون طريقهم الى اخوانهم العرب فى بلاد الشرق حيث انتشرت الاديرة وظهرت على النمط المصرى ووجد الرهبان المصريون فى كثيرا من هذه البلاد · ووجد بعــض الاقباط المسيحيين الذين سكنوا بلاد الحجاز قبل ظهور رســـالة الخـــلود رســـالة الاســـلام ·

وفى كل هذه الاحوال والظروف والملابسات التاريخية التى مررنا بها كانت خاتمة المطاف وومضة المعالم العربية وبعث المــاضى البعيد وربطــه بالحاضر فى الموجة الاسلامية العربية التى قدمت من جزيرة العــرب لتتــم البناء الوطيد العميق الجــذور فى التربة المصرية ولتــربط الصـــلة بروح الاسلام تعبيرا عن الوجدان العربى الاصــيل فى الشعب المصرى فكان الفتح العربى الاسلامى فى ١٦ شوال ٢١هـ/١٧ سبتمبر ٦٤٢م ·

وضــم العرب القطر المصرى الى اخــوة العرب والاسلام فى اطــار العلاقات القديمة التى تضرب بجذورها فى أعماق التربة المصرية منذ أن سار أول انسان على الارض المصرية معمرا وادى النيل ومقيما للحضــارة كانت الجنة (النطفة) الاولى عربية سامية ·

فجاء الفتح العربى ليضىء الطريق من جديد وليتم الوضـــوح على المدى البعيد فان الموجة العربية التى سعت بالاسلام لم تكن الا اضافة أعمق أقدم من عصور ما قبل التاريخ ·

ولقد رأينا فى الصفحات السابقة مدى الصلات العرقية والجنسية والسلالية بين الشعبين بل الشعب الواحد بل تؤكد المصادر أن المناطق الواسعة الممتدة من جنوبى فلسطين الى أطراف الدلتا كانت تعمرها قبائل عربية معظمها من بطون قضاعة وفى نواحى العريش كانت منازل بنى راشد وقبائل أخرى من لخم وجذام ٠

وكانت تسكن فى شبه جزيرة سيناء والناحية الشرقية للدلتا وهذا يفسر لنا كيف استطاع الجيش العربى المكون من ثلاث آلاف بما قدم له العرب من دعم أن يصل الى حصن بابليون ليكون تعداده اكثر من عشرين ألف مقاتل كانت كلها قبائل عربية مقيمة فى مصر ولم يكن العرب يقاتلون العرب المصريين ، بل كانوا يقاتلون الروم وحاصرت أعداد كبيرة حصن بابليون بحيث أن الغزوة العربية شاركت فيها أكثر من ثلاثين قبيلة ٠

وكان رد الفعل واضحا جليا فى ناحية عرب الداخل (اقباط مصر) اذ ادرك رؤوسائهم ان الزحف العربى جاء ليقيم جسور الاخوة مع أبناء البيت الواحد والنسب الواحد والسلالة الواحدة ليعيد صلة الربط ووجدوا قبولا من المصريين لاحساسهم وادراكهم ان هؤلاء القادمون من الشرق هم اقاربهم وأبناء عمومتهم وليسوا بغرباء وأجانب بل من بنو جدتهم وانهم الاقارب الاقرب وان عرب الجزيرة ومصر والذين يمثلون معا مجموعة أشد تقاربا وأكثر تداخلا ، لذا كان الفتح الاسلامى ليس الا هجرة الى اخوة عربا شاميين لكى يحرروهم من نير وظلم واضطهاد وعسف وتعنت المحتل البيزنطى الذى دفع بسياسة الاضطهاد الى أن يقوم الانبا بنيامين بطريرك الاقباط بالفرار الى الصحراء طوال عشر سنوات ٦٣١ ـ ٦٤١م قبل الفتح الاسلامى بحيث لم يستطع أن تدركه قوات البيزنطيين فكانت الموجة الاسلامية التى فتح لها الشعب المصرى ذراعيه وقابلها بكل ود وترحاب فى ظل العروبة والاسلام ٠

ومن ثم كانت هناك عدة عوامل عربية اتبعتها القيادة الاسلامية والولاه وهى الارتباع والمرابطة والضيافة والهجرة الداخلية كل هذه العوامل ساعدت على اكتساب الوجه العربى الاسلامى الخالد الذى امتد

ويمتد الى أن يرث الله الارض ومن عليها محفوظا بالقرآن الكريم واللغـــه العربية الخالدة التى نزل بها هذا الكتاب المبين ·

وهكذا قدر للمصرى أن يعود الى اخوته فى الجزيرة العربيـــة وبلاد الشرق العربى كما ان التاريخ يعيد السيرة الاولى قبل ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد حين ذكر كولين ماكيفيدى ان هناك عناصر بيضاء تنتمى الى الساميين فى شبه الجزيرة العربية قد قدمت لتسكن وادى النيل ولتعمر بلاد النـــوبة وبلاد الشمال الافريقى هاهى الموجة العربية السامية تعيد نفسها بعد ثمانية آلاف وستمائة عام فى نفس الطريق لينزيل عن الكيان العربى المصرى السامى كل ما علق به من أردان القوى الاستعمارية ولتبقى الوجه العربى المصرى باقيـا خالدا رغم فترات الاستعمار والاستيطان ·

فهذا الشعب الذى حفظه الله فى قرآنه الكريم وتلك البـلد الطيبة التى ذكرت فى ثنايا الآيات القرآنية الكريمة ما يقرب من سبعة عشر مرة والاحاديث النبوية الشريفة محفوظة من كل أردان الشك والريبة التى تحاول أن تنال من عروبة هذا الوطن المبـارك الطيب الذى شرف بالذكر فى القرآن الكريم وورد اسمه صريحا فى أربعة مواضع ·

حيث كانت مصر أول امة فى التاريخ القـديم وظلت أعظـم حقيقـة سياسية فى الشرق وخضع تاريخها الطويل لتيارات عربية سامية مستمرة ومتصلة تدق أبوابه من شـبه جزيرة سـيناء وصـحراء مصر الشرقيـة حيث الوديان التى تصل ما بين النيل والبحر الاحمر وباب المندب وكلها كانت تصب فى الوادى الذى كانت تلك الموجات المهاجرة تدفعه الى التفتح والحيوية والقوة وتمنحه شر الشيخوخة او الانهيار ·

وكانت دورات الهجرة العربية المكثفة فى تاريخ مصر القديم هى أربع موجات متواصـلة كانت من العمق والكثرة بحيث شكلت كيان الانســان المصرى وكانت كل هذه الموجات تضفى على مصر ملامح الشباب بكل معنى وتؤكد عودة الدماء الجديدة لتتابع دورتهـا حين كانت مصر فى مرحـلة تحاول فيها أن تضعف أو تترنح تحت ضربات المحتل الذى كان يحـاول أن

يفرض وجوده بالقوة لتكون تلك الموجات العربية بعيدة المدى فى وجدان الشعب المصرى القمة والقلب وفى هذا المقام كان السر فى قوة مصر العربية منذ فجر التاريخ والذى مكن لها أن تكون قادرة على التخلص من الشوائب والرواسب بحيث يستطيع التراب المصرى أن يمتص كل العناصر والانواع البشرية الاجنبية لكى يبقى الوجه المصرى عربيا ساميا بصفاته وطباعه وشخصيته المتميزة البارزة المعالم والخالدة الباقية بقاء الجنس البشرى المترابطة جنسيا المتماسكة بشريا المتجانسة بشريا الدامغة فى وحدتها الانثربولوجية سواء كانت مسيحية أو مسلمة فكلاهما من أصول عربية سامية فهى شعب من جنس واحد ٠

وهكذا نرى ان البعد العربى بالنسبة لمصر هو الجسم والكيان والجوهر فهو الوجه ومصر الواجهة هو الهوية لمصر ٠ ذلك لان العروبة لمصر هى وجودها فان الاساس العربى لمصر هو الوصلة التى تستقطب اليها كل الابعاد ٠

ذلك لان الانتماء العربى المصرى البعيد هو وزنها وثقلها وقطب استقرارها فرغم ان مصر فى افريقيا موقعا جغرافيا الا انها أبد الدهر أسيوية شرقية عربية ، هى فى افريقيا جغرافيا لكنها فى آسيا تاريخيا هى افريقيا طبعا لكنها فى آسيا بشريا وسلاليا وعرقيا وجنسيا وانثربولوجيا وبيولوجيا بل اركيولوجيا ٠

فقد كانت الدلتا المصرية مرتبطة بالشام والصعيد مرتبط بالحجاز وفى ذلك يقول الكندى : صعيدها أراضى حجازية ودلتاها شامية ٠ لذا فقد كانت مصر القديمة عبر تاريخها الطويل أسيوية أكثر منها افريقية أو أى اتجاه سياسى فكل هذه الامور تأكد وتعمق عروبة مصر الابدية منذ أن ظهر أول الانسان فى وادى النيل ليكون نواة التكوين البشرى المصرى الذى اقام حضارته وعمرانه وفنونه فى وادى النيل ٠

بل اكثر من ذلك فان الصلات العربية المصرية ازلية أبد الدهر وفى ذلك يقول جمال حمدان فى كتابه شخصية مصر الجزء الرابع ان جالية

مصرية كبيرة قدمت من صعيد مصر وانتقلت الى الجزيرة العربية وسكنت الاراضي الحجازية فى مدينة يثرب (المدينة المنورة) وذلك قبل الاسلام بفترة طويلة وانها استقرت وتوطنت هناك ويقال ان أصل ابنائها هم الذين استقبلوا الرسول النبى محمد ﷺ بالترحاب قبل فتح مكة والذى تبسط طبيعته وتكوينه الانسان المدنى فى الحجاز ويرى سماحة أهلها وبشاشتهم وحسن تعاملهم مما يوحى بأنهم مختلفون فى الطبع والطباع والسلوك عن بقية سكان الجزيرة العربية البدوية ٠

ومن هنا كان البعد العربى السامى المؤكد فى البيئة المصرية وفى اللغة العربية المصرية القديمة وفى النقوش فى شبه جزيرة سيناء الهيروغليفية الاصل ٠

ويلاحظ ان كل الدماء التى تسربت وانتشرت هى دماء عربية سواء أفراد أو جماعات جاءت كلها تقريبا من الجهة الاسيوية لاسيما فى العصور القديمة قبل الاسلام ذلك لانه كما سبق القول فى صلب الموضوع فأن مصر تصل عن طريق سيناء بالشام والجزيرة العربية بالصعيد واننا نجد اتصالها بالشام أقرب وأسهل ٠

ومن هنا كانت سيناء وساحلها الجنوبى المؤدى الى الشام تلقائيا مع هذه النواحى لكن مع كل هذا فان الجزيرة العربية كانت مصنع الموجات العربية المهاجرة منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد فتلك هى الحقيقة التى تؤكد عمق العروبة فى مصر ٠

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ الاحاديث النبوية (صحيح البخارى) ٠

٣ ـ التوراة : العصر القديم ٠ سفر الملوك الاول ٠ الصحاح العاشر ٠

(أ) المصادر :

١ ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ٠ القاهرة ، ١٢٨٤هـ ٠

٢ ـ ابن عبد الحكم (ت ٢٥٣هـ) فتوح مصر وأخبارها ٠ ليدن ، ١٩٢٠م ٠

٣ ـ السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ٠ القاهرة ، ١٩٥٩م ٠

٤ ـ ابن تغرى بردى (أبو المحاسن يوسف) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٩٣٥م ٠

٥ ـ الكندى (ت ٣٠٠ هـ) : ولاة مصر وقضاتها ٠ بيروت ، ١٩٠٨م ٠

٦ ـ القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ ـ : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ٠ ٢٤ جزء ٠ القاهرة ، ١٩٢٢م ٠

٧ ـ المقريزى : (تقى الدين أحمد بن على ت : ٨٤٥هـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٠ القاهرة ، ١٨٥٤م ٠

٨ ـ المقريزى : (تقى الدين أحمد بن على : ت ٨٤٥هـ) البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ٠ القاهرة ، ١٩٦١م ٠

٩ ـ ياقوت (أبو عبد الله ياقوت الحموى ٦٥٦هـ ـ معجم البلدان ٠ القاهرة ، ١٩٠٦م ٠

١٠ ـ اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب) : كتاب البلدان ، ليون ، ١٨٩١م

١١ ـ الهمذانى : صفة جزيرة العرب · القاهرة ، ١٩٥٣م

١٢ ـ الدنيورى : أبى حنيفة : الاخبار الطوال · القاهرة ، ١٩٦٠م ·

١٣ ـ المسعودى (أبو الحسن على ت ٣٤٥هـ) : التنبيه والاشراف · ليدن ، ١٨٩٣ ·

(ب) المراجـــع :

١٤ ـ ابراهيم أحمد العدوى : مصر الاسلامية · القاهرة ، ١٩٥٧م ·

١٥ ـ أحمد فخرى : مصر الفرعونية · القاهرة ، ١٩٦٠م

١٦ ـ أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم جـ١ · القاهرة ، ١٩٥٨م ·

١٧ ـ ابراهيم نصحى : مصر فى عصر البطالمة (فصل) تاريخ الحضارة المصرية · القاهرة د · ت ·

١٨ ـ أحمد فخرى : مصر الفرعونية (فصل) تاريخ الحضارة المصرية القاهرة · د · ت ·

١٩ ـ جمال حمدان : شخصية مصر · ٤ اجـزاء · القاهرة ، ١٩٨١م ·

٢٠ ـ جمال حمدان : انثربولوجية اليهود · القاهرة ، ١٩٦٧م ·

٢١ ـ حسين مؤنس : تاريخ مصر من الفتح الاسلامى الى الدولة الفاطمية (فصل) تاريخ الحضارة المصرية · القاهرة · د·ت ·

٢٢ ـ جـمال مختـار : تاريخ الحضـارة المصرية (العصر الفرعونى) القاهرة · د·ت ·

٢٣ ـ جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام · بغداد ١٩٥٠م ·

٢٤ ـ جريدة الاهرام القاهرية : منطقة حلايب المصرية · مارس ١٩٩٢م ·

٢٥ ـ سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى فجر الاسلام . القاهرة ، ١٩٤٧م

٢٦ ـ سليم حسن : مصر القديمة ، ١٤ جزء . القاهرة ، ١٩٤٥م .

٢٧ ـ سليمان حزين : تطور الصفات السلالية لسكان وادى النيل (فصل) تاريخ الحضارة المصرية . القاهرة . د.ت .

٢٨ ـ برستد (جيمس هنرى) تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسى (مترجم) القاهرة ، ١٩٣٩م .

٢٩ ـ اسرائيل ولفنستون : تاريخ اللغات السامية . القاهرة ، ١٩٣٥م .

٣٠ ـ احمد عبد الحميد يوسف : مصر فى القرآن والسنة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨م .

٣١ ـ بتلر فتح العرب لمصر . القاهرة ، ١٩٣٣م .

٣٢ ـ جورجى زيدان : تاريخ العرب قبل الاسلام . القاهرة ، دار الهلال د.ت

٣٣ ـ دريتون مصر (الترجمة) القاهرة . د.ت .

٣٤ ـ رابح لطفى جمعه : سبأ بين التاريخ والنص القرآنى . مجلة الدارة السعودية ، ١٤١٢هـ .

٣٥ ـ سيد الناصرى : تاريخ الجزيرة العربية فى عصور ما قبل الاسلام . مجلة الدارة السعودية ، ١٤١٢هـ .

٣٦ ـ سجلمان : السلالات البشرية فى افريقية ، ترجمة يوسف خليل القاهرة ، ١٩٥٩م .

٣٧ ـ عبد الحميد يونس : الهلالية فى الادب والتاريخ القاهرة ، ١٩٥٦م .

٣٨ ـ عباس عمار : المدخل الشرقى لمصر . القاهرة ١٩٤٦م .

٣٩ ـ عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر . القاهرة ، ١٩٦٧م .

٤٠ ـ عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل (البيان والاعراب) القاهرة ، ١٩٦٠م ·

٤١ ـ عبد الفتاح مقلد الغنيمى : موسوعة المغرب العربى · ٦ اجزاء القاهرة ، ١٩٩٢م ·

٤٢ ـ عبد الحميد زيدان : الشرق الخالد · القاهرة ، ١٩٦٥م ·

٤٣ ـ دوماس ، فرانسوا : آلهة مصر · ترجمة زكى سوس · القاهرة ، ١٩٦٦م ·

٤٤ ـ احمد سوسة : حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور · بغداد ، ١٩٧٩م ·

٤٥ ـ جاردنر ، الن : مصر الفراعنة · ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم · القاهرة ١٩٨٧م ·

٤٦ ـ احمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ · القاهرة ، ١٩٦٤م ·

٤٧ ـ صبحى وحيدة : فى اصول المسألة المصرية · القاهرة د·ت ·

٤٨ ـ عبد الله حسن مصرى : الجزيرة العربية قبل الاسلام · الرياض ١٩٨٤م ·

٤٩ ـ حمدى البكرى ، مراد كامل : تاريخ الادب السريانى ، القاهرة ، ١٩٤٩م ·

٥٠ ـ فيليب حتى : تاريخ العرب · بيروت ، ١٩٥٨م ·

٥١ ـ رود كاناكيس : التاريخ العربى القديم · ترجمة فؤاد حسنين على · القاهرة ، ١٩٥٨م ·

٥٢ ـ هيرودوت : تاريخ هيردوت · القاهرة ، ١٩٤٦م ·

٥٣ ـ جون ولسون : الحضارة المصرية · القاهرة ، ١٩٥٥م ·

٥٤ ـ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية · القاهرة د·ت ·

٥٥ ـ محمد على الصابونى : النبوة والانبياء · مكة المكرمة ١٤٠٠هـ ·

٥٦ ـ محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية القاهرة ، ١٩٦٥م ٠

٥٧ ـ ماكيفيدى ، كولين : أطلس التاريخ الافريقى ٠ ترجمة مختار السويفى ٠ القاهرة ، ١٩٨٧م ٠

٥٨ ـ مصطفى محمد مسعد : الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ٠ القاهرة ٠ ١٩٦٠م ٠

٥٩ ـ محمد عزة دروزة : تاريخ الجنس العربى فى مختلف الاطوار والادوار والاقطار ٠ بيروت ، ١٩٦٢م ٠

٦٠ ـ محمد كامل حسين : أدب مصر الاسلامية ٠ القاهرة ٠ القاهرة ، ١٩٥٩م ٠

٦١ ـ مراد كامل : من ديوقلديانوس الى دخول العرب (فصل) الحضارة المصرية ٠ القاهرة ٠ د٠ت ٠

٦٢ ـ مصطفى كامل الشريف : عروبة مصر من قبائلها ، القاهرة ، ١٩٦٢م

٦٣ ـ احمد لطفى السيد : قبائل العرب فى مصر ٠ القاهرة ، ١٩٣٥م ٠

٦٤ ـ ابن حزم الاندلسى : جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ٠ القاهرة ، ١٩٨٢ ٠

(جـ) المراجـع الاجنبيـة :

1 — Dow Brain : Southern Arabia. Cambridge, 1971.

2 — Coon, C.S. : Races of Europe New York, 1939.

3 — Jamme, Albert : The South Arabia, Washington, 1963.

4 — Haddan, P.C. : The races of man. Cambridge, 1924.

5 — Keith. Arthur : A new theory of human evoaliton London. 1948.

6 — Littmann E. Nabataean Inscription from Egypt. Cambridge, 1924

7 — Montgomery ,James : Arabia and the Bible, 1968.

8 — Smith, W.S. : Ancient Egypt. Cambridge, 1931.

9 — Maspero, C. : Life in Ancient Egypt and Assyria. London, 1892.

10 — Petrie, Flinders : Migrations. J.R.A.I. 1906.

11 — Seligman, C.G. : Races of Africa, 1939.

12 — Pearl Raymond ; Studies in human biology. 1924.

13 — Unllendorff The History of the Church of Egypt. London.

14 — Grant, Michael, Ancient History. London, 1952.

15 — Butcher, E.L. : The History of the Church of Egppt. London, 1897.

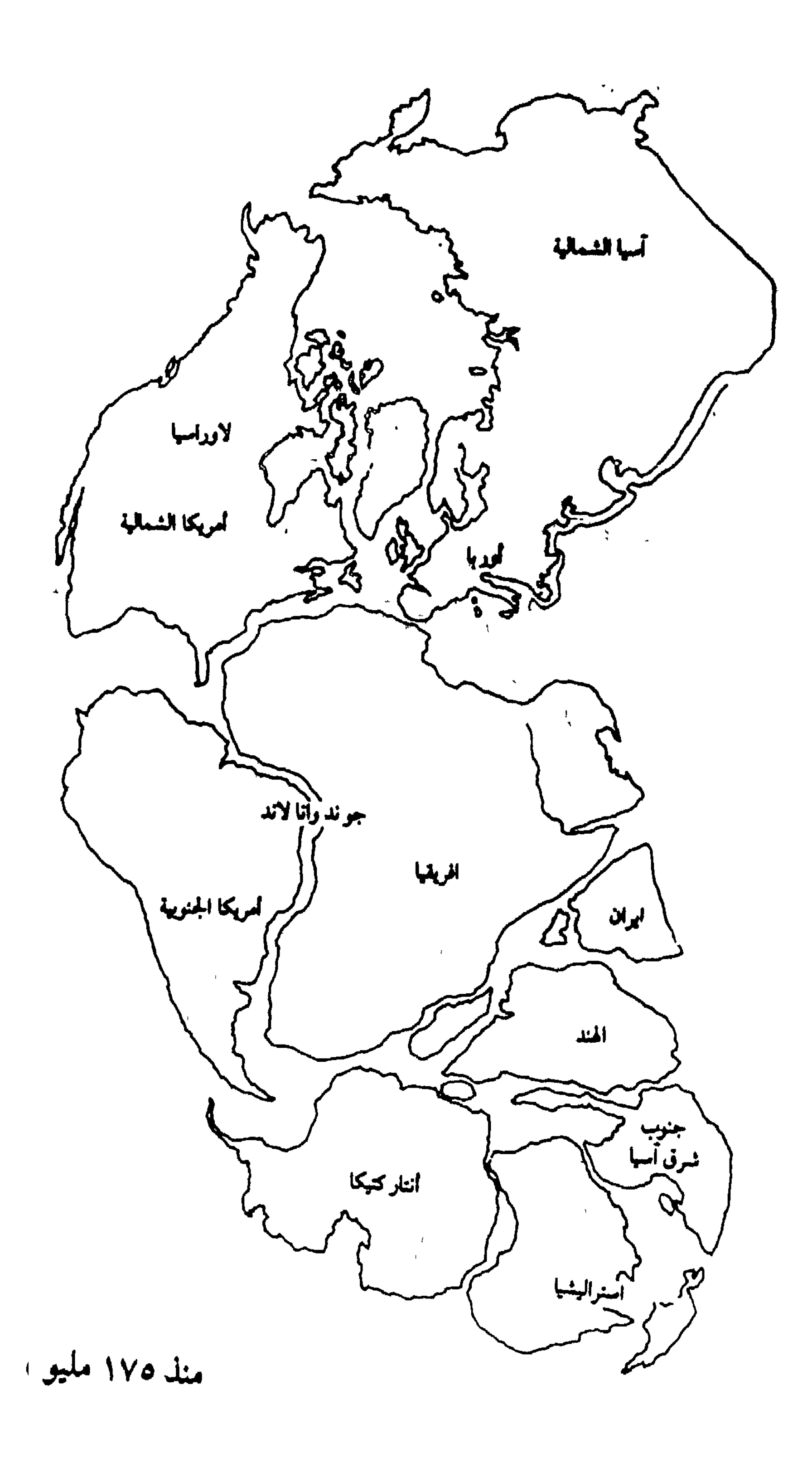
16 — Encyclopedia of Islam. London, 1934. —

17 — Deniker, J. : Les Races et les Peuples. Paris, 1926.

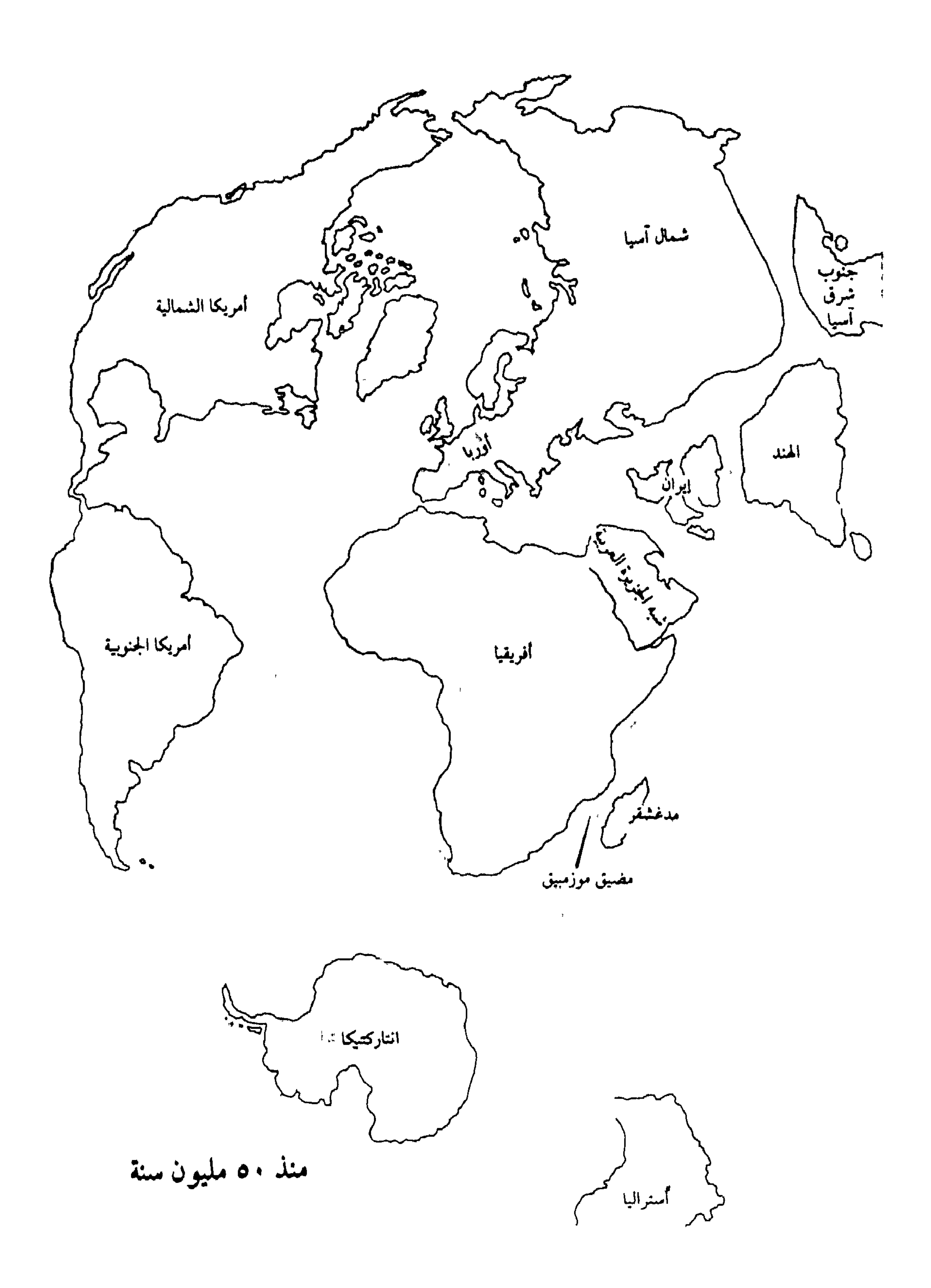
18 — Fitzgerald, W : Africa. London, 1950.

محتويات الكتاب




آسيا الشمالية
لاوراسيا
امريكا الشمالية
اوربا
جوندوانا لاند
افريقيا
امريكا الجنوبية
ايران
الهند
جنوب
شرق آسيا
انتاركتيكا
استراليشيا

منذ ١٧٥ مليو



منذ ٥٠ مليون سنة

كتب صــدرت للمؤلف

١ ـ موسوعة تاريخ المغرب العربى ـ ستة أجــزاء

الجزء الاول : المغرب العربى فى القرن الاول الهجرى

الجزء الثانى : المغرب العربى بين الاغالبة والادارسة وبنى رســتم

الجزء الثالث : المغرب العربى بين الفاطميين والمرابطين والموحدين

الجزء الرابع : المغرب العربى بين بنى زيرى وبنى هلال وبنى حماد

الجزء الخامس : المغرب العربى بين بنى حفص وبنى زيان وبنى مرين

الجزء السادس : المغرب الاقصى بين بنى وطاس والسعديين والاشراف العلويين

نشر مكتبة مدبولى

٢ ـ دور مصر الحضارى فى القارة الافريقية قبل الاستعمار الاوربى
نشر دار الموقف العربى

٣ ـ الاسلام والثقافة العربية فى أوربا — نشر عالم الكتب

٤ ـ الاسلام والعروبة فى السودان — نشر العربى

٥ ـ حركة المد الاسلامى فى غرب افريقيا — نشر نهضة الشرق

٦ ـ الاسلام والمسلمون فى جزر البحر المتوسط — نشر نهضة الشرق

٧ ـ العديد من المقالات والابحــاث فى مختلف المجلات والصــحف المصرية والعربية والاسلامية التى تصل الى ألف مقال وبحث ٠



رقم الايداع بدار الكتب القومية
٩٣/٢٧٦٥
الترقيم الدولى
I. S. B. N : 977 -- 00 -- 4918 -- 2

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شركة دار الاشعاع للطباعة
١٤ ش عبد الحميد - السيدة زينب
ت: ٣٦٢٠٤٦٩

